الهلال

مائة عام من التحديث والتنوير

١٨٩٢ – ١٩٩٢

بقلم: أحمد حسين الطماوى

الهــــلال

١٠٠ عــام

من التنوير والتحديث

بقلم

أحمد حسين الطماوى

دار الهــلال

تصميم الغلاف

الفنان : عبد الغنى أبو العينين

مقدمة

هذا الصرح الثقافى الذى نحتفل به بعد أن ظل راية خفاقة على مدى قرن من الزمان ، شارك فى تألقه حشد هائل من مشاهير المبدعين والكتاب والصحفيين من بينهم العقاد وطه حسين وخليل مطران وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل وسلامة موسى وميخائيل نعيمة وزكى مبارك والمازنى وجبران خليل جبران وأنطون الجميل وأحمد زكى شيخ العروبة وأحمد تيمور ومصطفى صادق الرافعى وفريد وجدى والشيخ مصطفى عبد الرازق وعلى أدهم وإبراهيم المصرى وحبيب جاماتى وأحمد بهاء الدين ومحمد عوض محمد ومحمود تيمور وأمير بقطر وعبد الرحمن صدقى وغيرهم .

بدأت «الهلال» متواضعة ، فى دكان صغير بحى الفجالة فى القاهرة ، وقت أن كان هذا الحى ملتقى للأعيان والتجار وأرباب المطابع وأصحاب المكتبات والمقاهى الثقافية .

كان فى إمكان أى شخص عنده الاستعداد الثقافى أن يصدر دورية بمنتهى السهولة مادام يملك عشرة جنيهات ، فلم يكن هناك حائل يقف أمام إصدار الصحف ، ولم يكن المثقفون يهتمون بقانون المطبوعات وكان التحايل عليها مسألة عادية .

كانت العقبة الوحيدة أمام إصدار أى صحيفة هى المنافسة الشديدة بين أهل تلك المهنة ، فقد كان باستطاعة كل من هب ودب أن يصدر مطبوعة ، ولذلك وجدت عشرات الجرائد والمجلات فى تلك الفترة ، وبطبيعة الحال كان لابد أن تستمر القلة الجادة وتحتجب الكثرة الدخيلة .

وفى هذا الجو ولدت وتألقت مجلة «الهلال» عندما تمنى مؤسسها «جرجى زيدان» أن تتدرج فى مدارج الكمال حتى تصير بدراً كاملا ، وقد سطعت أضواؤها وصارت بدراً منيرا ، حتى قال أحمد شوقى عنها عندما رحل زيدان :

قد أكمل الله ذيّاك الهلال لنا فلا رأى الدهر نقصا بعد إكمال

فاستجاب الله لدعاء الداعى ، وواصلت الهلال إشعاعها الثقافى ، وتألقت بجانبها مجلات كبرى مثل المصور ، والاثنين والكواكب ، وحواء ، وسلسلة روايات الهلال ، وكتاب الهلال ، وطبيبك الخاص ، والكتاب الطبى ، وسمير وميكى وغير ذلك .

لقد أثرت الهلال بمادتها الغزيرة المتنوعة فى مختلف نواحى الحياة الثقافية ، وكانت قادرة – بتوافر معارف مؤسسها والذين جاءوا من بعده – على مواكبة التمدن الحديث ، ونقل ما يلائم حاجاتنا إلى التحضر والتقدم ، فضلا عن بعث الماضى حيا والسمو به عن طريق البحث والحوار .

إن المجلة الرائدة هى التى تتميز عن غيرها بما تشقه من طرق جديدة ، وما تضيفه من أفكار يتطلع إليها العصر ، وتنبه إلى علوم تلبى مطالب النهضة .

وقد كانت أول مقالة فى الهلال إضافة علمية حقيقية ، فقد أرخت فيها للصحافة العربية ولم تسبقها مجلة فى هذا الميدان ، ومن هنا عرف الآخرون التأريخ لصحافتنا ، فكأنها أضافت علماً جديدا أو فرعا مهما فيه ، ولفتت الأنظار إليه .

وتوالت أعمال الهلال الرائدة بعد ذلك فكانت أول دورية دعت إلى إنشاء الجامعة المصرية عام (١٩٠٠) وترسم الخطة وتتابع التنفيذ ، وتنادى بتعريب العلوم (١٨٩٧) .

وكانت أول مجلة تطالب فى الخمسينات بإنشاء وزارة للبحث العلمى لربط العلم بحياة المجتمع .

وأول مجلة تكتب مقالا عن الموسيقى (١٨٩٤) وتعدها من علوم اللغة .

وأول مجلة تسجل تاريخ أول نقابة عمالية مصرية (١٨٩٦) .

ولقد طالبت الهلال بحقوق المرأة عام (١٨٩٤) قبل قاسم أمين (١٨٩٩) وكتبت عن السينما (مايو ١٨٩٥) قبل أن يعرض أى فيلم فى مصر ، ثم كتبت المؤيد (١٨٩٦/١/٢٧) والمقطم (١٨٩٦/١٢/١) بعد أن عرض فيلم فى الإسكندرية وآخر فى القاهرة .

وفى النواحى الوطنية طالبت بالعفو عن أحمد عرابى (١٨٩٦) قبل أن يطلب عرابى العفو عنه عام (١٩٠١) عن طريق ولى عهد إنجلترا ، وكانت أول مجلة تنشر سيرة عرابى بقلمه (١٩٠١) فأتاحت الفرصة لعرض الوجه الآخر من تاريخ الثورة العرابية فى وقت انهالت فيه الإهانات على أحمد عرابى ، كذلك أرجعت الهلال أصل فكرة ثورة ١٩١٩ إلى عام ١٩١٣ وليس عام ١٩١٨ كما قال عبد العزيز فهمى باشا فى مذكراته . ودعت الهلال إلى استقلال مصر عن طريق العلم وليس عن طريق الشعارات والهتافات ، وحثت المصريين على التشبه بالإنجليز فى التربية العقلية والعلم، وقالت إنهم «ليسوا من طينة خصوصية .

ومن الطبيعى أن يقصر الباحث فى سرد مآثر الهلال . وجليل أعمالها فى مائة سنة . نظراً لعدم وجود ببليوجرافيا كاملة عنها ترشد إلى مضامينها ، واتساع المدى (١٨٩٢ - ١٩٩٢) الذى لابد أن يعمل على توزيع المجهود الذهنى ، وضيق الفترة الزمانية المتاحة لإنجاز العمل ، والارتباط بمساحة محددة من الصفحات ، فكل هذا يؤدى إلى التقصير والخذلان ، ومن ثم أوردنا أشياء ، وأشرنا إلى غيرها ، وأغفلنا ما ضاقت عنه الأوراق .

ولما كانت مجلة الهلال هى طريقى وهدفى فإننى لم أخرج عنها فى الغالب ، لذلك تحدثت فى الفصول الأولى عما يتعلق بالهلال من أعمال جرجى زيدان مثل الروايات التاريخية وكان ينشرها منجمة فى الهلال، ثم يجمعها ويوزعها على مشتركى مجلته عندما تحتجب شهرين فى السنة ، وتناولت دور زيدان فى التأريخ للصحافة العربية لأنها منشورة فى الهلال، ورأيت أن هذا يندرج تحت جهود زيدان فى الهلال، مع تتبع خطاه فى الموضوعات التى عرضت لها . أما كتبه الأخرى مثل التمدن الإسلامى وتاريخ آداب اللغة والفراسة وغيرها .. وغيرها فإن أفضل طريقة لدراستها هى عمل مستّقل يحمل اسم زيدان . وفى كل الحالات كان دأبى إبراز صورة المجلة أكثر من إظهار مواقفى الشخصية لذلك كنت أعرض وجهات النظر المتباينة فى الموضوعات التى مازالت محل خلاف بين الكتّاب من خلال ما جاء فى الهلال وهذا تجلى فى الفصول التى اشتملت على الروايات التاريخية والاشتراكية والثورة العرابية وثورة ١٩١٩ .

ويجب أن ننوه بالجهود السابقة في هذا المجال ، فقد احتفلت الهلال فى أغسطس ١٩٣٩ بمرور ربع قرن على وفاة جرجي زيدان بإصدار عدد خاص تناول مؤسس الهلال وأعماله ، وأعد الدكتور رشدى محمود فكار رسالة لنيل شهادة الدكتوراة من السربون فى الصحافة الأدبية وخص منها الهلال بمائة وسبع صفحات ، وأصدر محمد عبدالغنى حسن كتابا عن جرجى زيدان وتطرق فى الثنايا إلى الهلال ، وأعد د. أحمد حسين الصاوى كشافا للهلال فى جزءين الأول يتناول الهلال من (١٨٩٢ - ١٩١٤) والثانى يتناول الفترة من (١٩١٤ - ١٩٣٦) وهو دليل الباحث فى رحلته مع الهلال فى هذه الفترة . وهناك مقالات متناثرة نشر معظمها فى مجلة الهلال نفسها .

ولعل ما قمنا به فيه فائدة ونعتذر عن الخطأ والسهو ، ونسأل الله العفو، والله المستعان .

أحمد حسين الطماوى

القاهرة فى ٣١ / ٥ / ١٩٩٢

قصة الميلاد

صدر العدد الأول من مجلة «الهلال» فى شهر سبتمبر ١٨٩٢ من مطبعة «التأليف» التى صارت بعد ذلك مطبعة «الهلال» ، وكانت تحتل دكانا فى حى الفجالة العريق الذى زحف عليه العمران من كل جانب بعد إقامة عباس الأول فى العباسية ، وبعد أن أصبح هذا الحى بمرور الزمن واجهة مشرقة للقاهرة ، يحظى بجمال الرونق والتنظيم وتنتشر فيه المقاهى والفنادق والمنازل والدكاكين التجارية .

وقداختار جرجى زيدان سكنه ومقر عمله فى الفجالة حى الأعيان والوجهاء والغرباء حتى يكون قريبا من مواطنيه السوريين واللبنانيين ، ولكونه حيا عامرا يقع فى منطقة متوسطة من القاهرة ، ويقع فى مواجهة محطة قطارات السكة الحديد ، مما يسهل عليه تصدير مجلته إلى أنحاء القطر دون صعوبة أو تكلفة .

وبدأت فكرة المطبعة - نفسها - عندما حدد جرجى زيدان مستقبله فى العمل الثقافى ، فاشترك مع مواطنه نجيب مترى (صاحب دار المعارف فيما بعد) فى مطبعة لطبع الكتب عام ١٨٩١ م ، هى مطبعة التأليف وسرعان مادب الخلاف بينهما ، فاستقل بها وأخذ يعمل على تطويرها ، إلى أن التقى يوما على مقهى «الشانزليزيه» مع بعض أصدقائه أمثال نجيب الحداد وسليمان البستانى (مترجم الإلياذة إلى العربية) والعالم اللغوى والشاعر والأديب والصحفى إبراهيم اليازجى الذى اتفق معه باعتباره صانعا لأمهات الحروف العربية التى تطبع بها الكتب على صنع مجموعات من الحروف العربية فى أقيسة مختلفة ، وهى التى طبعت بها مجلة «الهلال» فى مرحلة من مراحلها .

وكان الإخراج الصحفى للعدد الأول من «الهلال» بسيطا للغاية ، فغلافه غير مزدحم بالرسوم ، ولا تتعدد فيه الألوان ، وإن كان محاطا بإطار زخرفى جميل تتصدره كلمة «الهلال» بخط بارز ، أسفله التعريف بها على أنها «مجلة علمية تاريخية أدبية» ، لمنشئها جرجى زيدان ، مع عدم إغفال قيمة الاشتراك وتاريخ الصدور الذى قدم فيه التاريخ الافرنجى على التاريخ العربى بعكس المجلات الأخرى الصادر ة فى ذلك الوقت !

وبالرغم من أن جرجي زيدان عرّف «الهلال» بأنها «مجلة» إلا أنه اعتبرها من ضمن «الجرائد العربية التى لاتزال حية» فى ص ١٣ من العدد الأول ، وأطلق عليها جريدة مرة أخرى فى العدد نفسه فى صفحة ٤٤ ، وعلى الغلاف يعرفها بأنها (Journal) مما يعنى أن اسم «مجلة» لم يرسخ حتى ذلك الوقت فى الأذهان ، فجاء التخبط فى التسمية .

ومع أنه عرف مجلته بأنها «علمية تاريخية أدبية» وقدم كلمة «علمية» على كلمتى «تاريخية وأدبية» ، بل إنه فى تصنيفه لأنواع المجلات والجرائد، عد «الهلال» من الجرائد العلمية ، نقول مع هذا ، فإن المتصفح للعدد الأول من «الهلال» والأعداد التالية ، يجد أن المادة التاريخية قد غلبت بوضوح على كل مواد المجلة ، ولكننا لانعدم موضوعات علمية بارزة فى أعداد «الهلال» المختلفة ، وربما قصد زيدان من كلمة «علمية» معناها العام الأكاديمى ، أى أنه يتناول الموضوعات التى يعرض لها تناولا علميا موضوعيا ، ومعه الحق فى هذا ، فإن بعض المجلات السابقة على «الهلال» كانت مادتها أدبية إنشائية ، صادرة عن ذوق شخصى ، لايضبطه تمحيص موضوعى ، أو تحقيق علمى ، وعلى أية حال فإن هذا التعريف متواضع جدا بالنسبة لما نطالعه فى «الهلال» على مدار سنواتها فى الفنون ، والأديان الكتابية والوضعية ، وفى أحوال الاجتماع البشرى والعمرانى ، وفى موضوعات صحفية ، وروايات تاريخية ، ونقد أدبى ، وتقريظ وأحاديث جادة عن اللغات الحية والمهملة وغيرها .

وقد كانت الجرائد والمجلات تتخذ أسماءها من أسماء الزمان مثل «الصباح» و«الفجر» و«الأيام» ، أو من أسماء المكان مثل القاهرة الحرة والفيوم والحجاز والمقطم وطرابلس ، أو من أسماء الرياض مثل «روضة المدارس» أو «حديقة الأخبار» أو من أسماء البحار والأنهار مثل النيل والفرات والمحيط ، أو من أسماء الكواكب مثل الثريا والكوكب الشرقى والشمس .. (١) وعلى غرار النوع الأخير جاء اسم «الهلال» .

صدر العدد الأول من «الهلال» فى (٤٨) صفحة متضمنا «فاتحة» وضح فيها صاحبها خطته وسبب تسميته لها بالهلال فقال : «وقد دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة أسباب :

---

(١) طرازى . تاريخ الصحافة العربية جـ١ ص ٢٨ .

● «أولا : تبركا بالهلال العثمانى الرفيع الشأن شعار دولتنا العلية أيدها الله» (٢) .

● «ثانيا : إشارة لظهور هذه المجلة مرة كل شهر»

● «ثالثا : تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج فى مدارج الكمال ، فإذا لاقت قبولا وإقبالا تصير بدرا كاملا بإذن الله» .

أما أبواب المجلة فكانت على هذا النحو :

● أولا : باب «تاريخ أشهر الحوادث وأعظم الرجال» وهو من أهم أبواب المجلة ، يتحدث فيه عن واقعة كبيرة ، أو شخصية بارزة من تلك التى أثرت فى الحركة التاريخية أو العلمية أو الأدبية ، سواء أكانت من القدماء أم من المحدثين ، من الشرقيين أم من الغربيين مثل ما كتبه عن محمد على ونابليون وأمرىء القيس وجابر بن حيان ... إلى آخره .

ومما يحمد للهلال أنها تناولت حياة بعض الفلاسفة ، وعرضت لآرائهم ومذاهبهم الفلسفية فى وقت مبكر من النهضة ، فقد كتبت عن ابن رشد وفلسفته عام ١٨٩٣ وتوالت مقالاتها عن أفلاطون وأرسطو والكندى وغيرهم ، وهذه الكتابات المبكرة جزء مهم من تاريخ نشر الفكر الفلسفى فى مصر ، وبالرغم من أن ماكتبه زيدان عن هؤلاء ومذاهبهم ليس عميقا محيطا ، فإنه فتح أذهان القراء إلى معنى الفلسفة ، ولفت أنظارهم – إلى حد ما – عن أدب المقامات والمناظرات ، والخطرات النفسية ، والنظرات الشخصية ، والأشعار التقليدية التى شاعت فى بعض مجلات تلك الفترة .

وقد كان نصيب الشخصيات الحديثة والتاريخية أكثر من نصيب الشخصيات القديمة والعلمية ، بالرغم من أننا نقع على تراجم لشخصيات علمية مثل «دارون» وشخصيات أدبية مثل المتنبى وإبى نواس وغيرهما .

وكان هذا الباب فى غاية الأهمية لأنه يؤرخ للأحداث أو يترجم للأعلام فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وقد جمع زيدان كثيرا من تراجمه تلك فى كتابه الذائع «تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر» .

(٢) كان العلم العثمانى فى ذلك الوقت أحمر اللون ، يتوسطه هلال أبيض بداخله نجمة .

● ثانيا : باب «المقالات» وكان يشتمل على مقالات فى مختلف الموضوعات . وحسبنا أن نشير إلى مقالاته المتتالية فى «تاريخ آداب اللغة العربية» التى نشرها عام ١٨٩٤ فقد كانت نواة لكتابه* الشهير «تاريخ أداب اللغة العربية» بأجزائه الأربعة .

وقد استفاد فى هذه المقالات وهذا الكتاب من جهود المستشرقين فى مجال التأريخ للأدبيات العربية ، كما استفاد من كتاب سابق عليه هو «تاريخ العرب وآدابهم» لإدوارد فانديك وقسطنطين فيليبذس ، وكان قد صدر قبل أن يكتب زيدان مقالاته فى تاريخ آداب اللغة ، وقد قرظه زيدان فى هلال أغسطس ١٨٩٣ . لذلك فإننا لا نقبل مقولته التى يذهب فيها إلى أنه أول من أرخ لآداب اللغة العربية ، وإن كان ماكتبه زيدان أعمق وأشمل وأدق مما جاء فى هذا الكتاب .

وقد كتب عدة مقالات عن أهمية الترجمة والتعريب ، وكان من أرائه أن تترجم أولا عن الغرب لأنه أكثر فهما للموضوعات ، وأشار إلى أهمية ترجمة الكتب الطبيعية ، والكتابة فى فلسفة التاريخ ، وفلسفة الأخلاق بأسلوب علمى ، والتأليف فى فن التربية (بيدا جوجيا) والاقتصاد السياسى وما إلى ذلك . ومما هو جدير بالذكر أن على أبو الفتوح (١٨٧٣ - ١٩١٣) كان قد أنشأ جمعية للتعريب عام ١٨٩٣ الغرض منها تعريب الكتب الاقتصـادية والاجتمـاعية ، ونشـر هذا فى مجلته « التقدم المصرى » التى صـــدرت عام ١٨٩٣ .

ولزيدان مقالات رائدة من بينها ما كتبه عن الاشتراكية عام ١٨٩٧ (٣) وعن تاريخ المسرح عند العرب ، وعن انتحال الشعر ، والشعر العصرى ، وعن العوامل الخفية فى الهيئة الاجتماعية ، ودوائر المعارف وأهميتها ... وغير ذلك ، وأحيانا كانت تطول مقالاته وتتوالى فى موضوع واحد حتى إننا نستطيع أن نكوِّن منها كتيبات مثل مقالاته عن الانقلاب السياسى العثمانى ، وتاريخ الحكومة الدستورية فى أوربا ، وهذا بخلاف مقالات كثيرة يدافع فيها عن العرب ، فقد ذكر فضل عرب الأندلس على أوربا ، وفضل آداب اللغة العربية على أوربا فى إنشاء التمدن الحديث ، وفتوح العرب المسلمين فى ايطاليا ، وأظهر أن العرب من الأمم الراقية ، وأن لهم تمدنا قديما له صلة بتمدن بابل وآشور ،

(٣) تناولت مجلة المقتطف فى عددى مايو ويونيه ١٨٨٧ مشاكل العمال وأصحاب رأس المال.

وقال إن العرب أقدم من نظم شعرا ، وقال عن اللغة العربية إنها قوام الأمة أو العنصر العربى ، ولا بقاء للأمة إلا بلغتها .

وإذا تأملنا مقالات زيدان فسنجدها سهلة الأسلوب ، واضحة الفكرة ، تتسم بالتجديد ، وعباراتها تخلو من التأنق ، وتنأى عن الاحتفال بالزخرف ، وتترفع عن اللهجة العاطفية الغارقة فى الكلمات الشعرية الحالمة ، وتسمو على العناصر الذاتية ، فزيدان قلما يتحدث عن نفسه إلا فى مجال تأكيد شىء رآه أو سمعه . لذلك فإن مقالاته تثير الذهن أكثر مما تثير الانفعال والوجدان ، وهى صورة جلية لشخصيته وفكره .

● ثالثا : باب «الروايات» وقد استهل زيدان هذا الباب بنشر رواية «استبداد المماليك» فى حلقات ، ولكنه لم يبتكر هذا اللون فى المجلات العربية فقد سبقته إلى ذلك مجلة «اللطائف» لشاهين مكاريوس التى صدرت فى القاهرة عام ١٨٨٦ ونشرت عدة أقاصيص مثل «دار الغريب» و «انقلاب الزمان» (٤) ، ومجلة «الفرائد» التى صدرت قبيل الهلال بنحو شهرين .

ولعل زيدان أراد أن يسهل على الناس قراءة التاريخ ، ويحببهم فيه ، بسرد أحداثه فى أعمال روائية جارى فيها «والترسكوت» الإنجليزى ، وديماس الكبير الفرنسى .

وقد كانت سنة الهلال عشرة أشهر ، ولما كان المشتركون يدفعون اشتراكهم عن سنة كاملة ، فإن الهلال كانت تعوض مشتركيها عن الشهرين الباقيين برواية من رواياتها، وهذا التقليد لم يبتدعه مؤسس «الهلال» ، فقد سبقته فيه مجلة «المقتطف» عندما وزعت على مشتركيها رواية «قلب الأسد» عام ١٨٨٧ .

وقد اختلفت الآراء حول قيمة روايات زيدان من الناحيتين الفنية والتاريخية ، إذ اتهمه بعض النقاد بضعف الجوانب الفنية والحبكة القصصية ، علاوة على أن بعض مواقفها ينكره التاريخ الإسلامى ، ولكن الكتّاب أجمعوا على أنه من أكبر كتاب التاريخ بأسلوب القص والحكاية ، وقد قلده كثيرون منهم عبد المسيح الانطاكى صاحب «روايات تاريخ النصرانية الأكبر» الذى استهل رواياته برواية «فتاة إسرائيل» عام ١٩٠٤ فى مقابل «عذراء قريش» لجرجى زيدان ، والرواية الثانية «شهيد الجلجلة» وتتناول تاريخ السيد المسيح .

---

(٤) د. محمد يوسف نجم . القصة فى الأدب العربى الحديث . دار الثقافة – بيروت .

● رابعا : «تاريخ الشهر» وكان يورد فيه كثيرا من الأخبار المحلية ، وأهم الأحداث العالمية شهرا بعد شهر . ويضعها تحت عناوين مناسبة . وهذا العمل بمنزلة تغطية صحفية لما كان يجرى هنا وهناك من وقائع سياسية ، أو أحداث اجتماعية ، أو أخبار ثقافية ، ومن خلال هذا الباب يقف القارىء على أهم اللوائح والقرارات التى أتخذت وتواريخها ، ومن هذا أن مصلحة «البوسطة» المصرية اصطنعت «طوابع أميرية» لتستعمل فى المصالح الحكومية وتلصق على المكاتبات الأميرية اعتباراً من أول عام ١٨٩٣ ، وأن الحكومة رخصت عام ١٨٩٣ للمسيو «مرتينو» بالحفر فى الإسكندرية بحثا عن قبر الإسكندر الأكبر، وهذا يبين أن البحث عن قبر الإسكندر أمر غير جديد ، وفى عام ١٨٩٣ صدر أمر بإنشاء قسم لتعليم الطب البيطرى فى مدرسة الطب المصرية ، ومن الأحداث الخارجية ذكرت الهلال فى عدد مايو ١٨٩٤ أن عدد اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين فى السنين الأخيرة يبلغ مائة ألف نفس . وهذا يظهر مدى تقاعس حكومة السلطان عبد الحميد عن حماية فلسطين من هجرة اليهود .. وهكذا تقف فى هذا الباب على حقائق وطرائف عديدة ولكنه لم يستمر !

● خامسا : باب « منتخبات » وكان يورد فيه بعض أقوال المجلات والجرائد الأخرى ، مما يساير موضوعات الهلال ، ويتضمن نتفا مفيدة منتقاة مما فاضت به قرائح الآخرين ، ثم تغير اسم هذا الباب - فيما بعد - إلى باب « التقريظ والانتقاد » وكانت المجلات السابقة تقرظ الكتب فقط ، تحت عنوان تقاريظ ، فأضاف إليه « الانتقاد » ورفع فيه الانتقاد فوق التقريظ ، وتوسع فى ذكر رسالة النقد ، وقد انتقد من خلاله أعمالا أدبية غير قليلة أهمها روايات مثل «الأمير مراد» لخليل سعد و « سمير الأمير » لسعيد البستانى و «معاناة الغرام» لنجيب كنعان ، و «عذراء الهند» لأحمد شوقى (والتى قال عنها بعض الكتّاب والنقاد إنها لم تظهر أصلا) وكان الانتقاد عنده يتكئ على مبادئ أهمها : مطابقة أحداث الرواية للحقائق التاريخية والعلمية ، ومسايرتها للأخلاق الكريمة حتى لا تخدش حياء العذراء ، وأن تكتب بلغة سهلة .

ولكن زيدان أمسك عن النقد - إلا فى النادر - عندما ضاق الكتّاب بالانتقاد ، فتغير اسم هذا الباب إلى «مطبوعات جديدة» وكان يعرض فيه كثيرا مما يستجد على الساحة الثقافية من صحف ومجلات وكتب ، وفى أغلب الأحيان كان يقرظها ويحث القرا على شرائها ، وأهمية هذا الباب أنه حفظ لنا نبذا وكلمات عن كتب وجرائد ومجلات وجود لها فى دار الكتب المصرية .

وإذا كانت هذه هى أبوب الهلال فى سنتها الأولى ، فإنه فيما بعد أضيفت إليها عدة أبواب أخرى زادت فى قيمتها ، وأثرت مادتها ، ومن هذا باب «صحة العائلة» وباب «رسوم مشاهير العصر» وتقع فيه على صور نادرة لأعلام تلك الفترة من الشرق والغرب على ورق خاص مصقول وباب «عجائب المخلوقات» المقتبس من باب «عجائب الخلق» فى المقتطف و «غرائب العادات والأخلاق» و «التهانى» و «التعازى وباب «السؤال والاقتراح» وهو صدى لباب «أسئلة وأجوبتها» فى المقتطف ، وكان زيدان يجيب عن اسئلة القراء الذين كانوا يبعثون بها إلى الهلال من أماكن مختلفة فى مصر وخارجها ، ومما يجدر ذكره أن اسئلة القراء تزيد فى ثقافة الكاتب بالبحث عن إجاباتها ، كما أن هذه الأسئلة تنبه إلى موضوعات كثيرة ربما لم يرد معظمها على الذهن ، ومن أهم الأسئلة التى وجهت إلى زيدان ، ما طلبه أو سأله أحد القراء عن ذكر شىء عن «تاريخ آداب اللغة العربية» فأجابه زيدان بسلسلة طويلة متلاحقة من المقالات المدروسة .

وبهذه الأبواب وما تخللها من مادة ثقافية غزيرة ، تقدمت الهلال إلى قرائها فى الشرق والغرب ، وارتفعت بمستوى التفكير ، وأرشدت إلى المفيد من العلم ، ونمت حوارها مع قارئها . وإذا كان زيدان لم يرفع شعار المقتطف «مناظرك نظيرك» فإنه عمل به ، فلم يسخر من سؤال ، ولم يهزأ بإنسان ، وإنما كان جوابه لائقا ، وصوابه فى الغالب لائحا ، وعطاؤه للمسائل بغير حدود .

وقد تركت الهلال أثرا كبيرا فى بعض المجلات التى صدرت بعدها ومن أمثلة ذلك أن مجلات مثل «التقدم المصرى» الصادرة عام ١٨٩٣ والناطقة باسم «جمعية التقدم» التى رأسها على أبو الفتوح ، ومجلة «المحيط» التى أصدرها عوض واصف عام ١٩٠٢ قد استخدمت عنوان زيدان لباب «التقريظ والانتقاد» واستبعدت عنوان المقتطف «هدايا وتقاريظ» . واقتبست «المحيط» باب «تاريخ الشهر» من الهلال وجعلته «التاريخ اليومى فى شهر» وحولت باب «منتخبات» فى الهلال إلى «عالم الصحافة» .

أما أكثر المجلات تأثرا بالهلال وأبوابه فكانت «الجامعة» التى أصدرها فرح انطون عام ١٨٩٩ ، فقد حولت باب «أشهر الحوادث وأعظم الرجال» إلى باب «مشاهير المتقدمين والمتأخرين» وقلدت الهلال فى تصدير كل عدد بصورة الرجل المشهور الذى تكتب عنه ، أما باباها «المقالات» و «التقريظ والانتقاد» فهما نص بابى الهلال ، وكذلك «تدبير الصحة» و «أشهر حوادث الشهر» ما هما إلا تعديل لبابى الهلال : «صحة العائلة» و «تاريخ الشهر» .

وقد كانت بعض الجرائد والمجلات فى أقطار أخرى تنقل عن الهلال ، وأحيانا تغفل الإشارة إليها ، ومن هذا أن جريدة «أود أخبار الكهنو» (جريدة هندية) ترجمت ترجمة حرفية مقالة «تاريخ الإنسان فى أوائل العمران» المنشورة فى هلال أول سبتمبر ١٨٩٦ ، وادعى محرر الجريدة أنها من إنشائه ، وهناك مقالات أخرى نقلتها جرائد هندية وأظهرت فيها اسم الهلال (٥) .

ولهذا فقد صدقت مجلة «المنهل» (القدس) فى رثائها لزيدان عندما قالت : «كان الهلال قدوة لأكبر أصحاب المجلات يقلدونه فى ترتيبه ومواضيعه» .

ومما لاشك فيه أن الهلال نجحت فى وقتها نجاحاً باهرا ، والبرهان على ذلك واستمرارها :

– كانت شهرية فى السنة الأولى ، وبعد تألق نجمها صارت نصف شهرية من بداية السـنة الثانية وحتى السنة الثانية عشرة ، وكان كل عدد يحتوى على أربعين صفحة ، وفى السنتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة غدت شهرية (٦) .

– وصولها إلى ما وراء البحار بعد استحسانها ، والقول بأن الهلال صار لها مشتركون منذ صدورها خطأ ، والصواب أنه بعد نظر القراء فيها ، ورضاهم عن مادتها، أقبلوا عليها واشتركوا فيها وراسلوها من أماكن بعيدة .

والقراء معهم الحق فى الإقبال على الهلال، فقد كان زيدان لا يكف عن تحسينها، ولا يمل من ترديد القول : «كلما زادونا إقبالا زدناهم استحسانا» ، ومن وجوه التحسين أنه زودها بالصور منذ أول عدد إذ نشر صورتين لـ بومبيوس ، ويوليوس قيصر ، وفى العدد الثانى نشر صورة مسلة المطرية ، وهكذا توالت الصور التى عملت على تزيين المجلة . ولم تكن هذه الصور ميزة فى الهلال تميزها عن المجلات الأخرى ، فقد دخل التصوير إلى الجرائد العربية عام ١٨٦٣ ، ومن ذلك صحيفة كان يصدرها المرسلون الأمريكان فى بيروت عن الإنجيل ، ويذكر «طرازى» أن أول مجلة عربية مصورة كانت «النحلة» التى أصدرها لويس صابونجي عام ١٨٧٧ فى لندن . وعلى هذا فإن نشر الصور فى الهلال من وجوه التحسين وليس من علائم التميز فيها . فتميز شىء من شىء يعنى وجود صفة فيه يفتقدها الشىء الآخر .

(٥) الهلال – ١٨٩٧/٦/١ .

(٦) لما كانت سنة الهلال عشرة أعداد . فإنه يمكن القول إن مجموع أعداد الهلال فى حياة زيدان بلغ ٣١٠ أعداد ويجب الأخذ فى الاعتبار الفترة التى كانت تصدر فيها مرتين فى الشهر .

وكان زيدان يعرف كيف يجذب القراء ، وينشط قرائحهم ، فأشركهم معه فى التحرير بطريقة طرح الأسئلة عليهم ، ومطالبتهم بالجواب عنها ، ونشر ما يصل إليه منهم تشجيعا لهم ، ومن هذا أنه اقترح على الشعراء معنى فيه فضيلة أو حكمة صاغه نثرا واقترح صياغته شعرا .

كذلك تردد فى صفحات الهلال سؤال : كيف كان حال العالم لو لم يفتحه المسلمون؟

وقد جارت مجلة «الجامعة» الهلال فى هذا المجال ، فكانت تقترح الأسئلة ، وتنتظر الإجابات وتنشرها ، مثل «النهضة الأدبية الحديثة فى مصر والشام . هل هذه النهضة نهضة حقيقية أم لا ؟» (٧) . واستمرت الهلال فى هذا الاتجاه بعد موت جرجى زيدان ، وأطلقت على هذا النوع من الأبواب «استفتاء» . والوسيلة إلى ذلك وضع عدة أسئلة عن موضوع ، وإرسالها إلى عدد من مشاهير الكتاب للإجابة عنها ، ثم تنشر ما يرد إليها منهم . وعلى سبيل المثال استفتاء المجلة عن «مستقبل اللغة العربية» والأسئلة المطلوب الإجابة عنها هى :

– ما هو مستقبل اللغة العربية فى نظركم ؟

– وما عسى أن يكون تأثير التمدن الأوربى والروح العربية فيها ؟ وماذا سوف يكون تأثير التطور السياسى الحاضر فى الأقطار العربية ؟

– هل يعم انتشارها فى المدارس العالية وغير العالية وتُعلم بها جميع العلوم ؟

– هل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها ؟ وما هى خير الوسائل لاحيائها ؟ (٨) .

وقد تلقت الهلال إجابات المستشرق جويدى ، وكوتهيل ، والأب لامنس ، ومصطفى صادق الرافعى وانطون الجميل وجبران خليل جبران .

وكررت هذا باستفتاء حول «نهضة الشرق العربى وموقفه بإزاء المدنية الغربيه» الذى أجاب فيه أمثال : جبران والزهاوى ومحمد لطفى جمعه ، وميخائيل نعيمة وسلامة موسى .. وغيرهم (٩) .

---

(٧) الجامعة . مارس ١٩٠٢ .

(٨) الهلال . أكتوبر – نوفمبر ١٩١٩ .

(٩) الهلال عدة أعداد من سنة ١٩٢٢ .

واستفتاء حول التمثيل العربى ماضيه وحاضره ، وغيره فى «حاضر الصحافة العربية ومستقبلها» وهكذا .

وكانت هذه الطريقة مفيدة من عدة نواح ، فهى تثير قضايا حيوية على درجة كبيرة من الأهمية على الأقل فى وقتها ، وتوفر على الكتاب البحث عن موضوع ، وتقدم عدة تصورات عن القضية المطروحة للمناقشة ، وتثير الذهن والجدل والمنافسة بين المتناقشين، وتجعل القراء يتابعون ، وهذا يعمل على رواج المجلة .

الصحافة

فى عام صدور الهلال

كانت الصحافة العربية إلى حين ظهور مجلة الهلال قد نشطت وتعددت وتنوعت ، ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى معظم انحاء الوطن العربى .

وإذا كان الجانب السياسى هو الغالب على تلك الصحف ، فإننا لم نعدم وجود مجلات متخصصة أو شبه متخصصة فى النواحى التجارية والعسكرية والطبية والثقافية بوجه عام .

والواقع أن تلك الصحف عملت على رقى أذهان القراء وتبصيرهم بأحداث وواقعات ، وإرشادهم إلى علوم وآداب . كما هيأت النفوس لتلقى العلم ، والأهم من كل هذا أنها أمدت الراغبين فى إنشاء الصحف بالخبرة والدراية وأساليب الإعلان والإدارة ، فشجع ذلك جيلا جديدا على إصدار الدوريات بعد أن ألمّ بصناعة الصحافة واهتمامات القراء وما يحتاجون إليه من مواد ثقافية .

وقد صدرت عدة مجلات فى تلك الحقبة ، يعنينا منها ما صدر فى عام (١٨٩٢) وهو عام ظهور الهلال ، ومن بين تلك المجلات :

● البستان : صدرت فى ٩ من أبريل عام ١٨٩٢ . وبالرغم من أن مساحة صفحتها جاءت فى حجم مجلة الهلال ، فإنه ورد على غلافها : «جريدة شهرية علمية لمحررها وصاحب امتيازها عبدالواحد حمدى» وعدد صفحات الجزء ثمانى صفحات . وقد حصلنا على ثلاثة أعداد منها هى : الأول والثانى والسادس ، تناولت الموضوعات نفسها التى كانت شائعة فى تلك الفترة مثل : حاسة الشم ، الأحلام ، تاريخ الغمام ، إتخاذ الملابس من الخشب ، التنويم المغناطيسى ، وفكاهات ، ومسائل حسابية وهندسية .

ويبدو أن «البستان» لم تستمر فاحتجبت .

● الفرائد : أصدرها جرجى وفوزى فى ١٥ من يوليه عام ١٨٩٢ واستمرت إلى عام ١٨٩٤ ، وجاء على غلافها : «جريدة علمية أدبية صناعية تاريخية زراعية» وهى تزيد فى

الطول على مجلة الهلال عدة سنتيمترات ، وعدد صفحاتها ١٤ صفحة ، وقد أولت اهتماما بأخبار المدارس والتعليم والمجامع العلمية واللغوية ، وكانت حريصة فى معظم الأعداد على تقديم ترجمة عن أحد مشاهير تلك الفترة مثل أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ، وشريف باشا رئيس مجلس النظار وغيرهما ، وكانت تقدم رواية منجمة باللهجة العامية ، كما تحدثت عن فن الروايات والتشخيص ، وحاولت التأريخ للفن المسرحى ، وكان من أبوابها باب « وفيات أعيان وأنباء أبناء الزمان » تسجل فيه وفيات الأعلام فى تلك الفترة إلى جانب الموضوعات الصناعية والعلمية والتاريخية .

● المنظوم : صدرت فى ١٥ من نوفمبر عام ١٨٩٢ واستمرت إلى عام ١٨٩٣ ، وهى مجلة نصف شهرية . وربما كانت أول مجلة متخصصة فى الأدب ، فلم تتجاوز المنظوم والمنثور إلا فى النادر ، ويغلب عليها الشعر وبخاصة شعر المديح والتهانى بالزواج ، وكانت تفرد بابا للزجل والدور والمواليا ، وقد نشرت أشعارا لأحمد شوقى ، وحفنى ناصف ، وإبراهيم رمزى (صاحب مجلة الفيوم ، وهو غير إبراهيم رمزى الكاتب المسرحى الشهير) وعائشة التيمورية ، وعبد الله فريج ، وإسماعيل عاصم ، ومحمد أبو شادى (صاحب جريدة الظاهر) وإبراهيم العرب ومحمد النجار ، وأهم ما يميزها أنها كانت تفتح صفحاتها لانتقاد القصائد المنشورة فيها ، وهى تعطى صورة للنظم ، والمبادئ التى كان يستند إليها النقد الأدبى وبخاصة نقد الشعر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وقد قرظها جرجى زيدان فى هلال ديسمبر ١٨٩٢ ، وذكر أن محررها هو أحمد نجيب .

● الفتاة : صدرت فى العشرين من نوفمبر عام ١٨٩٢ واستمرت إلى ١٨٩٤ ، وكانت صاحبتها هند نوفل وجاء على غلافها « جريدة علمية تاريخية أدبية فكاهية » وهى فى حجم مجلة الهلال . وهند نوفل ، ولدت فى بيروت ، وهاجرت مع عائلتها إلى الإسكندرية ، وكانت من بيت علم وثقافة ، فأبوها مدير تحرير « الفتاة » ، وأمها مريم جبرائيل نحاس أو « مريم نوفل » مؤلفة ، ولها كتاب « معرض الحسناء فى تراجم مشاهير النساء » الذى طبع سنة ١٨٧٩ بأمر الأميرة «جشت أفنت هانم» إحدى زوجات الخديو إسماعيل ، وترجع أهمية هند نوفل ومجلتها إلى أنها أول امرأة عربية تنافس الرجال فى إصدار المجلات ، وأنها حطمت السياج التى كانت تختبئ المرأة خلفه ، فلم تعد المرأة العربية تنشر المقالات بأسماء مستعارة ، أو تمهرها بتوقيعات رمزية . وإنما

بصريح الاسم ، وأنها طالبت بحقوق المرأة بعد أن كان الرجال هم الذين يطالبون بذلك فتحدثت عن حقوق المرأة السياسية مثل حق الانتخاب ، وركزت على تعليم المرأة، وقد قال عنها جرجى زيدان : «إنها جمعت لطف المرأة ونشاط الرجل».

● وهناك مجلات أخرى مثل « الأستاذ » لعبد الله النديم التى صدرت فى ٢٤ من أغسطس عام ١٨٩٢ ، واستمرت إلى عام ١٨٩٣ ، وقد تحدث عنها كثيرون من أمثال د . على الحديدى فى كتابه عن عبد الله النديم (سلسلة أعلام العرب) وأحمد تيمور فى كتابه الذى ترجم فيه لأعلام القرن الثالث عشر الهجرى ، وأبو المعاطى أبو النجا فى رواية « العودة إلى المنفى » وغير ذلك . كما صدرت عام ١٨٩٢ « الرشاد » لمحمود سلامة واستمرت إلى عام ١٨٩٥ .

وهذه المجلات لم تصمد أمام التحديات ، فسرعان ما احتجبت إما لعدم رضا السلطات الحاكمة عنها ، أولعدم إقبال القراء عليها ، أو لظروف أصحابها التى نجهلها ، وترتب على ذلك أنها لم تستطع أن تكون موقفا ثقافيا ولم تترك أثرا عميقا فى المجتمع ، أو فى نفوس القارئين .

لقد توقفت كل هذه المجلات ، وبقيت الهلال تواصل العطاء ، وتمد القراء بمادة متنوعة ، والفارق بين هذه الدوريات والهلال يكمن فى طبيعة وثقافة هؤلاء الصحفيين من ناحية ، وطبيعة وثقافة جرجى زيدان من ناحية أخرى ، فلم يكونوا من طبقته فى الثقافة والإدارة ، ولا فى عزيمته واستعداده للكفاح من أجل النجاح والصعود ، هذا فضلا عن أن زيدان كان يساير الأمور ولا ينتقد السلطات الحاكمة ، ومن ثم لم تتعرض «الهلال» لما تعرضت له مجلة «الاستاذ» للنديم مثلا .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى المجلة التى صدرت فى بيروت وسبقت الهلال فى الظهور بنحو ستة عشر عاما، وانتظمت فى الصدور، وحققت نفوذا ثقافيا لدى قرائها، تلك هى مجلة «المقتطف» التى أنشأها فارس نمر ويعقوب صروف وفى عامها التاسع انتقلت إلى القاهرة ، وآزرها رياض باشا . وقد كانت اهتماماتها علمية فى المقام الأول إذ واكبت النهضة الصناعية فى أوربا ، فضلا عن أن «صروف ونمر» كانا من أساتذة العلم الطبيعى فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، لذلك حفلت بأخبار التقدم العلمى ، واتسعت صفحاتها لأنباء الاختراعات والاكتشافات ، وبينت فوائد كل ذلك وأثره فى

التطور والنهوض ، وساهمت إلى حد كبير فى تنوير العقول ، والتقليل من الاعتقاد فى الخرافة والشعوذة ، واستخدام الطرق البدائية فى العلاج .

بيد أن الساحة الثقافية والصحفية كانت فى حاجة إلى مجلة أخرى تعنى بالتاريخ والاجتماع البشرى ، والتطور العمرانى الناهض على التمدن الحديث ، وتهتم بالآداب إلى جانب المجالات العلمية الأخرى فكانت مجلة «الهلال» الى صارت ندا للمقتطف بمرور الزمن .

ولعل تلك الندية ترجع فى المقام الأولى إلى جرجى زيدان الذى كان محبا للمعرفة منذ بواكيره ، وقد سلح نفسه بالمعارف العلمية ، والتجارب الصحفية وكان له نشاط فى التأليف اللغوى والتاريخى قبل صدور الهلال .

لقد أتم زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤) دراسة اللغتين الإنجليزية والعربية واعتمد على نفسه أكثر من اعتماده على المدرسة ، ورغب فى تحصيل العلوم الطبيعية ، فالتحق بمدرسة الطب بالجامعة الأمريكية فى بيروت عام (٨٠ - ١٨٨١) بعد أن اجتاز اختبارها فى العلوم التجهيزية ، واستطاع بجهاده وعصاميته أن يحصل على شهادتى الامتياز فى الكيمياء واللغة اللاتينية ، وجاء إلى القاهرة ليلتحق بمدرسة طب قصر العينى عام ١٨٨٣ ولم يكتب له التوفيق ، فاتجه إلى الصحافة وحرر مع علكسان صرافيان الأرمنى جريدة «الزمان» من (٨٢ إلى ١٨٨٤) ثم تركها ورافق الحملة النيلية الإنجليزية إلى السودان ، وكان عمله فيها مترجما فى المخابرات الإنجليزية ، وشهد عدة مواقع حربية فى السودان مثل أبى طليح والمتمة ... ولما عادت الحملة إلى مصر عاد معها وكافأته السلطات البريطانية بالميدالية الإنجليزية والنجمة المصرية [١] ثم برح مصر إلى بيروت فاختاره المجمع العلمى الشرقى ليكون أحد أعضائه ، وفى هذه الاثناء توفر على دراسة العبرانية والسريانية وبعض اللغات الشرقية الأخرى ، ووضع مؤلفه «الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية » عام ١٨٨٦ فتلقفته المجامع المشرقية فى أوربا بإعجاب شديد ، وكافأته بتعيينه فى المجمع العملى الآسيوى بإيطاليا [٢] .

وفى عام ١٨٨٦ سافر إلى أوربا وزار عدة عواصم من بينها لندن ، ثم قفل عائدا إلى مصر ليعمل مديرا لتحرير المقتطف فى الفترة من (٨٦ إلى ١٨٨٨) ثم اعتزلها ،

(١) يوسف آصاف . دليل مصر لعامى ١٨٨٩ -١٨٩٠ . المطبعة العمومية بمصر .
(٢) المصدر السابق .

ولابد أنه اكتسب خبرة واسعة من عمله فى الزمان والمقتطف أفادته فى «الهلال» فقد عرف كيف يدير الأمور ، ويخرج مجلة حسنة الطباعة ، ويتعرف على اهتمامات القراء ، وبالجملة كانت هاتان الصحيفتان هما المدرسة الصحفية التى تعلم فيها ، وتخرج منها ليصدر مجلة لها طابعها المستقل ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى كان زيدان يعرف عدة لغات مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية، عدا اللغات الشرقية ، ويحيط بجملة من العلوم من بينها الطب والطبيعة والحيوان والجيولوجيا والكيمياء ، وبطبيعة الحال تتفاوت معرفته بهذه العلوم بين الاتقان والإلمام . وكان إلى جانب ذلك قد وضع كتاب «تاريخ مصر الحديث» فى جزءين ، و«تاريخ الماسونية العام » فعرفه الناس مؤرخا . . ومن كل هذه المعارف استمدت الهلال مادتها .

ومن ناحية ثالثة ، ترسخت ثقته فى نفسه وفى عمله بعد اختياره عضوا فى المجامع العلمية العربية والأجنبية .

وعلى هذا فإنه يمكن القول إن مجلة «الهلال» فى اثنين وعشرين عاما (١٨٩٢ - ١٩١٤) كانت صورة من صاحبها ، وانعكاسا لثقافته ومعارفه . ولم تكن الهلال فريدة فى هذا ، فقد كانت مادة معظم المجلات فى تلك الفترة تبرز ثقافة وميول أربابها . فقد كانت المقتطف التى غلبت عليها الموضوعات العلمية صورة أخرى ليعقوب صروف ، وكانت مجلة «الضياء» الحافلة بالبحوث اللغوية صورة من إبراهيم اليازجى .

الهلال

تؤرخ للصحافة العربية

كانت الصحافة العربية – الوليدة – فى القرن التاسع عشر آخذة فى النمو كما وكيفا ، وساعد على ذلك تقدم الطباعة ، وسهولة إصدار الصحف والمجلات ، وتزايد ما تخرجه المدارس من المتعلمين والمتعلمات ، وخفض أجور البريد على المطبوعات ، وتنوع الأحداث السياسية فى تلك الحقبة – سواء فى مصر أو فى الدولة العلية أو فى الممالك الأوربية – مما كان يستميل المثقفين وغير المثقفين إلى ملاحقة الأخبار ، ومراقبة الأحوال .

وكانت الصحف تصدر ثم تحتجب تماما ، أو تعود للظهور مرة أخرى ، وليس هناك رصد دقيق لما صدر أو اختفى من تلك الدوريات التى تعتبر مادة حية لتاريخ الأمة ، تسجل أحداثها المتنوعة يوما بيوم أو شهراً بعد شهر ، فكان لابد لها من شخص يؤرخ لها ، ويبعث ماضيها ، ويتابع ما يستجد فيها ، ويقف على ميولها ، ويترجم لأصحابها .

وهكذا ظهر في هذا المضمار اثنان هما : هنرى جلياردو وجرجى زيدان على نحو ماذهب فيليب طرازى الذى يرى أن جلياردو (ترجمان القنصلية الفرنسية فى القاهرة) هو أول من أرخ للصحافة العربية عندما وضع تقريرا عام ١٨٨٤ باللغة الفرنسية يتضمن تاريخ الصحف العربية التى كانت تصدر فى مصر وقتئذ مع ترجمة لأصحابها وميولهم السياسية . وتوجد نسخة من هذا التقرير فى وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس وأخرى فى الوكالة الفرنسية فى القاهرة .

ويبدو من حديث طرازى فى كتابه عن تاريخ الصحافة العربية ، أن جلياردو لم يكتب تقريره بهدف التأريخ العلمى للصحافة العربية أو المصرية ، ولكنه كان مجرد تقرير سياسى كلف به على نحو ما يفعل القناصل من كتابة التقارير السرية بغية الإفادة منها عند اتخاذ القرارات السياسية المناسبة تجاه تلك الدول فى الوقت الملائم . ونلفت النظر إلى التاريخ الذى سطر فيه هذا التقرير وهو عام ١٨٨٤ ، أى بعد أحداث الثورة العرابية

والاحتلال الإنجليزى ، فمن المرجح أن له صلة بالغرض من هذا التقرير ، فهو يبحث فى مدى نفوذ الصحافة الوطنية على الرأى العام المصرى الذى أيد الثورة العرابية ودعمها بالمال والرجال والطعام ، مثل صحافة عبد الله النديم : «التنكيت والتبكيت» و «الطائف» ، وصحافة أديب إسحق «مصر» و «التجارة» وغيرها من الصحف التى كانت توصف بأنها مهيجة للخواطر ، وكانت صحافة تلك الفترة تحمل على التدخل الإنجلو فرنسى فى ميزانية الدولة ، مما يهم فرنسا ، كذلك كان يتردد فى تلك الصحف شعارات الحرية والمساواة مما تعتبره فرنسا من شعارات ثورتها الكبرى ، وهذا يبين مدى اهتمام فرنسا بالصحافة المصرية ، ولو كان هذا الترجمان كتب ما كتبه بغرض التأريخ للصحافة العربية لنشر بحثه فى جريدة عربية أو أجنبية أو فى كتيب خاص ، ولكن الحاصل أن مصير هذا التقرير كان فى خزائن وزارة الخارجية الفرنسية ، أى فى المكان الذى يخدم الغرض من كتابته .

كما أن تدوين التقرير باللغة الفرنسية يظهر الهدف السياسى منه ، وإلا فلماذا لم يسجله باللغة العربية – وهو قادر على الكتابة بها بحكم أنه ترجمان – ومن ثم فإن القول بأن جلياردو هو أول من أرخ للصحافة العربية فيه مغالاة .

وعلى كل فقد قال طرازى «أما أول الذين كتبوا بعده أخبار الصحافة من الناطقين بالضاد فقد كان جرجى زيدان» وإذا صدقت مقولته هذه فإن جرجى زيدان يصبح المؤرخ الأول للصحافة العربية حتى مع وجود جلياردو الفرنسى ، فهو لم يقصر بحثه على الصحافة المصرية ، وإنما أرخ للصحافة العربية فى العالم مثل مصر وسوريا والأستانة ومراكش وقبرص وفرنسا ولندرا (لندن) ومالطة .... ، ونشر نتائج بحثه بالعربية للإفادة منها ولم يطوها فى خزانة أو وزارة ، فرأى الناس ما كتبه مؤ س الهلال ، فى حين لم يسمعوا بجلياردو إلا من طرازى .

ونظرة واحدة على بحث جرجى زيدان فى الصحافة المصرية تكمل الصورة .

كانت المقالة الأولى فى باب مقالات الهلال عن «الجرائد العربية في العالم»(١) تحدث فيها زيدان عن أثر الجرائد فى التمدن الحديث ، وراح يذكر أقدم الصحف العربية فكانت «الوقائع» ، وفاته ذكر مقدمات الصحافة العربية زمن الحملة الفرنسية ، ثم أخذ يسرد أسماء هذه الدوريات حتى وصل بها إلى ما يزيد على مائة وأربعين صحيفة

(١) هـ . سبتمبر ١٨٩٢ .

ومجلة ، وفى عدد أكتوبر ١٨٩٢ أضاف ثمانى صحف ، وقسم هذا الكم إلى جرائد صدرت فى القاهرة والإسكندرية وسوريا والأستانة ، وجرائد صدرت فى أماكن أخرى ، وجرائد مازالت تظهر حتى صدور الهلال عام ١٨٩٢ ، ثم بين الطابع الذى تتميز به كل دورية من حيث هى علمية أو أدبية أو سياسية أو دينية أو هزلية أو رسمية إلى آخره .

والمآخذ كثيرة على ما صنعه زيدان ، فإنه لم يعرفنا بأصحاب هذه الصحف ، ولا بظروف نشأتها ، وهذا ما تلافاه أو تلافى بعضه فى الجزء الرابع من كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» هذا فضلا عن أن ما ذكره من أعداد وأسماء هذه الصحف لم يكن وافيا ، فقد نسى جرائد ومجلات أخرى كثيرة نذكر منها «الجريدة العسكرية المصرية» ١٨٦٥ ، ونزهة الأفكار ، وضياء الخافقين والخلافة وهى من صحف إبراهيم المويلحى وجميعها صدر قبل ظهور الهلال .

ومهما يكن من أمر فإن ذكر زيدان لذلك الرقم فى أول محاولة للتأريخ للصحافة العربية يعد عملا جليلا ، فلم يكن هناك مرجع بأسماء الصحف ، وأزمنة وأمكنة صدورها حتى يرجع إليه ويفيد منه ، والمهم أنه نبه الأذهان إلى أهمية التأريخ للصحافة ، وكأنه أضاف علما جديدا إلى العلوم ، يجب أن تنصرف إليه جهود الدارسين .

وقد اتجهت فعلا أنظار الباحثين والصحفيين إلى هذا المجال ، فرأينا عدداً من الكتاب يؤرخون للصحافة العربية نذكر منهم محمد كامل بحيرى فى جريدته «طرابلس» عام ١٨٩٣، ونجيب جرجور فى مجلة «العام الجديد» ١٨٩٥ ، وإبراهيم المويلحى فى «مصباح الشرق» ١٩٠١ وغيرهم .

ولم يقف زيدان عند مقاله الأول فى هلال السنة الأولى ، بل أخذ يتابع الصحافة العربية فى كل مكان ، ويدون النبذ عنها ، ويذكر أعدادها ، ففى عدد أول مايو ١٨٩٤ (هلال) نجد قائمة تضم ثلاثا وثلاثين مجلة وجريدة صدرت عام (٩٢ - ١٨٩٣) وفى عدد ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ يذكر أسماء أكثر من عشرين دورية ، وفى عدد ١٥ من مايو ١٩٠١ حاول إحصاء الجرائد والمجلات العربية الحية من كل نوع فى سائر أنحاء العالم ووصل بها إلى ١١٧ صحيفة يصدر أكثر من نصفها فى مصر والباقى يصدر فى بلاد الشام والممالك العثمانية وأوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية . ولاحظ زيدان أن مجلات مصر أكثر من جرائدها بنحو النصف «ويدلك ذلك على ميل المصريين إلى العلم والأدب أكثر من الميل

للسياسة والتجارة» أما فى أمريكا فإن قراء الجرائد والمجلات العربية أكثر ميلا إلى التجارة والسياسة منهم إلى العلم والأدب » وفى عدد ١٥ من أكتوبر ١٩٠٣، وعدد أول يناير ١٩٠٤ يقدم بحثين على هيئة جداول تصاحبها تعليقات مفيدة تبين أن عدد الصحف التى أُنشئت منذ أول عهد الصحافة وحتى نهاية ١٩٠٣ على اختلاف مواضيعها نحو أربعمائة صحيفة ، وفى عدد مايو ١٩٠٩ قدم إحصائية نقلها عن تقرير مصلحة البريد سنة ١٩٠٨ يظهر فيها أن مجموع الجرائد والمجلات التى تصدر فى مصر ١٢٨ منها ٥٥ أفرنجية ، وقد لفت نظرى وجود هذا العدد الكبير من الدوريات الأجنبية فى مصر ، فهذا يدل على كثرة الأجانب وكثرة المثقفين المصريين المتخرجين من مدارس أجنبية .

ومع أن جرجى زيدان كان يتحرى الدقة ما أمكن فيما يكتبه ، فإن الأرقام التى ذكرها لم تكن تطابق الحقيقة ، ومعلوماته التى جاءت عن الصحف المبكرة لم تكن جميعها صائبة . فقد بيّن شكيب أرسلان أن صحيفة «مرآة الأحوال» التى أصدرها رزق الله حسون أسبق من الجوائب (الأخيرة أصدرها الشدياق فى الآستانة) وأن «حديقة الأخبار» التى أنشأها خليل الخورى عام ١٨٥٧ أسبق من «الجنان» فى سوريا .. وتاريخ الصحافة العربية يؤكد صحة معارف أرسلان .

وقد عرض زيدان للكتب التى تناولت الصحافة العربية ، فتحدث عن كتاب «فكاهة الرائد فى نوادر الجرائد» لنقولا سابا وكتاب «مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر رجال مصر» لإلياس زاخور و«تاريخ الصحافة العربية» لطرازى ، وكتاب «الصحافة العربية فى مصر» لهرتمن (أستاذ اللغة العربية فى مدرسة برلين) .

وقد أبرز زيدان جملة من أقوال هذا المستشرق ورد على ما أخطأ فيه ، وعلى سبيل المثال ذهب هرتمن إلى أن السوريين هم الذين وضعوا أساس الصحافة فى مصر ورفعوا شأنها ، ولكن جرجى زيدان يصحح هذه المقولة ويرى «أن السوريين كانوا عونا كبيرا لإخوانهم المصريين فى ترقية شئون الصحافة وغيرها من المطبوعات العربية ، ولكنهم والحق أولى أن يقال لم يكونوا مؤسسيها ولا هم أنشأوا أول صحيفة عربية بمصر ، لأن مصر سبقت سوريا بالصحافة كما سبقتها فى أكثر عوامل النهضة العلمية الأخيرة»[٢] .

(٢) هـ . أول نوفمبر ١٨٩٩ .

ولجرجي زيدان آراء فى الصحافة المصرية نستنكر بعضها ، فقد نشر مقالا عن «حرية المطبوعات» تحدث فيه بحرقة ومرارة عن حرية الطباعة فى مصر بعد الاحتلال ، وأشار إلى قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٨١ الذى قيد الطباعة والصحافة فى مصر عندما لاحت فى الأفق نذر الثورة العرابية ، ويعلق زيدان على هذا القانون بقوله : «على أن ذلك القانون جاء متأخرا بعد أن نبت غرس الحرية فى بلاد لم تتهيأ له»[٣] . ثم قال ما معناه إن الإنجليز أطلقوا سراح المطبوعات فصارت الصحافة «مباحة لكل كاتب» و«أصبحت فوضى لا قانون يقيدها ولا رادع يردع كتابها» ثم يقول : «إن الحرية تعطى لكل جماعة بما يناسب أحوالهم فإذا كنتم تسمون فوضى المطبوعات اليوم حرية فقد حببتم إلينا الاستعباد ، ورغبتمونا فى المراقبة الشديدة لأنها تصون أعراض الناس وتحفظ كرامة المذاهب» .

والكلمات الأخيرة من حديث زيدان تكشف لنا علة غضبه ، فقد حدث فى تلك الأيام ما يشبه الفتنة الطائفية واحتدم النقاش بين النصارى والمسلمين . والحقيقة نسجل أن صاحب الهلال لم يناصر فريقا ضد فريق ، ولكنه أدان الطعن فى الأديان ، ورأى أن الجدل فى هذا الموضوع لن يزيد المرء إلا تمسكا بدينه . وكنا نرى أن يقتصر كلام زيدان فى هذه الفتنة على إدانتها ، ومحاولة تهدئة الموقف ، لا أن يستحث السلطات الحاكمة على تقييد حرية الصحافة ، وسلب الأمة إرادتها ، وفرض وصى وقيم عليها لأنها لم تتهيأ للحرية . إن كلام زيدان سقطة منه ما كان له أن ينزلق فيها ، لأن حرية الفكر على حد قول أمين الريحانى فى الرد على زيدان «نعمة يجب منحها لكل أمة مهما كانت درجة تمدنها»[٤] ونضيف إلى كلام الريحانى أن الشعوب لا تجدى معها الوصاية والنصيحة وإنما تتعلم وتتحنك من الأحداث والتجارب ، وكان على زيدان أن يلوم الذين ينشرون الفتنة الطائفية بين صفوف الأمة ، ثم إنه من الواجب عليه باعتباره كاتبا وصحفيا أن يطالب بمزيد من الحريات لا أن يطالب بالقيود والأغلال .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يتهم فيها زيدان الصحافة المصرية بالفوضى وإثارة القلاقل ، ففى مقال له ضمنه حملة ضارية على أرباب الصحف احتدت فيها

---

(٣) هـ . ١٥ من يونيه ١٩٠٠ .

(٤) هـ . ١٥ سبتمبر ١٩٠٠ .

عباراته على غير عادته ، واستنكر من بعض الصحف التعريض بشخصية الملك فى ثنايا انتقـادها لعمال الحكومة ، وانتقد الصحف التى جاهرت بإهانة بعض الأمم الأخرى ، ويرى أن قوانين الشرع والعرف «لا تبيح الطعن فى أمة برمتها» وحمل على الجرائد التى طعنت فى أشخاص تسميهم بأسمائهم وتكيل لهم الشتائم «حتى تتطرق إلى انتقاد ما يأكلون ويلبسون أو يطبخون» ويتساءل أى علاقة بين ذلك والمصلحة العامة التى أنشئت الصحف لأجلها ، ورأى أن الحوار واجب ولكن مع مراعاة «المجاملة والتأدب وكرم الأخلاق» ولا يستطيع قارئ هذا الكلام أن يعيب جرجى زيدان ، فإنه يجب مراعاة الآداب الاجتماعية ، أما فى انتقاده للصحف التى تعرض بالأمم الأخرى – دون أن يذكر هذه الأمم– [٥] فلنا معه وقفة .

إن هذه الأمم على الأرجح هى إنجلترا وفرنسا وروسيا التى تحتل أجزاء كبيرة من العالم الإسلامى ، يضاف إليها اليونان التى كانت فى حرب مع الدولة العثمانية ، وهذه الدول باستثناء اليونان ليس هناك ما يجبرها على البقاء وسماع ما تكرهه ، ومن ناحية أخرى إذا قال الصحفيون إن انجلترا كذا وكذا فإنهم لا يعنون كل إنجليزى ، ولكنهم يقصدون جيش الاحتلال ، إن زيدان وهو يكتب هذا الانتقاد لم يأخذ فى اعتباره المشاعر الوطنية المتأججة ، ومن ثم فهو يريد الاعتدال فى القول ، والانضباط فى الفعل ، ولم يلتفت إلى الصحف التى كانت تكيل المديح للإنجليز وتعاند الشعور الوطنى مثل المقطم والوطن ، ولم يراع الشعور الدينى عند المسلمين وهم يرون روسيا فى حالة حرب مع الدولة العلية ، ويتسامعون بالمساعدات الأوربية لليونان فى حربها مع دولة الخلافة الإسلامية ، لذلك فإن الموضوعية أو الاعتدال ، أو ضبط الشعور التى يتحدث عنها صاحبنا لاتحظى بالثناء فى مثل تلك الظروف .

وفى مواقف أخرى كان زيدان يتحدى الشعور الوطنى ، وقد تبدى ذلك فى قضية التلغرافات التى شغلت الرأى العام المصرى فترة من الوقت ، فقد وصفها بأنها «قضية لا أهمية لها»[٦] ، وموجز هذه القضية أن سلطات الاحتلال فرضت حظرا على نشر أنباء حملة السودان عن «المؤيد» فعرف الشيخ على يوسف كيف يصل إلى أخبار الحملة عن

(٥) هـ . أول سبتمبر ١٨٩٥ .
(٦) هـ . أول ديسمبر ١٨٩٦ .

طريق توفيق كيرلس موظف التلغراف إذ سلمه برقية جاءت من السردار إلى نظارة الحربية تتعلق بأنباء الحملة العسكرية فنشرها فى المؤيد ، وقد أقامت الحكومة دعوى على مستخدم التلغراف وصاحب المؤيد على يوسف . وشُغل المصريون بهذه المحاكمة ، وعندما حكم ببراءة الشيخ على يوسف حمله الوطنيون على أكتافهم ، ولهذا فإن وصف زيدان لهذا الحادث بأنه عديم الأهمية هو من باب الاستخفاف بمشاعر الأمة . لأن المؤيد كانت تمثل الاتجاه الوطنى ، وعرفت كيف تتحدى الإنجليز الذين منعوا الأنباء عنها ، وانتصار على يوسف هو انتصار للوطنية المصرية .

وقد امتدح جرجى زيدان رياض باشا لتشجيعه الصحافة العربية ، وتحدث كثيرا عن قانون عام ١٨٨١ الذى قيد حرية المطبوعات وأهمله الإنجليز لإطلاق سراح الصحافة المصرية فصدرت الصحف بلا استئذان ، وأثنى على كرومر فى مقال جاء فيه «أما فى مصر فقد نالت الصحافة تلك الحرية بإرادة شخص اللورد كرومر فهى حرة عرفا لا قانونا» (٧) .

وفى أول أكتوبر ١٩٠٤ نقلت الهلال عن المقطم تقرير اللورد كرومر الذى أوضح فيه أنه رفض كل قيد على الصحافة فى مصر ، وبين أن حرية الجرائد لم تؤخر الإصلاح فى البلاد ، وأعرب عن إفادته مما كتبته الصحف .. إلى آخره .

ولا أظن أن أقوال زيدان صحيحة كلها ، فرياض باشا شجع بعض المجلات مثل المقتطف ولكن عطلت فى عهد وزارته «مصر الفتاة» التى كان يصدرها الوطنيون المصريون ، وتوقفت جريدتا «مصر» و«التجارة» لأديب إسحق ، وقد أطلق أديب إسحق فيما بعد على رياض باشا «رياضستون» على وزن «جلادستون» السياسى الإنجليزى الاستعمارى العتيد ، ورفض إعادة صحيفة «السفير» لحسن الشمسى لأنه كان من العرابيين ، فأين تشجيعه للصحافة المصرية ، وقانون ١٨٨١ لم يهمل تماما كما قال زيدان وكرومر ، ففى الوقت المناسب كانت تطبق بنوده ، وقد تعطلت صحف كثيرة استناداً إلى مواده مثل «الزمان» و «البرهان» و «الفلاح» وغيرها ، وعلى أثر دخول الإنجليز مصر أغلقت الصحف الوطنية مثل «الطائف» و «المفيد» و «النجاح» إلى آخره ، بل إن الانجليز وتوفيق ساعدوا على إنشاء الصحف التى تروج لهم مثل «الجريدة المصرية» و «المقطم» و «النيل» وغيرها (٨) .

(٧) هـ . أول أكتوبر ١٩٠٧ .

(٨) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب الصحافة المصرية للدكتور سامى عزيز .

ومهما يكن من أمر فإن الصحافة المصرية ازدهرت فى عهد الاحتلال لأن كرومر أباح حرية الصحافة للأجانب ، فأتاحها للمصريين من هذا المدخل باعترافه .

ومن الغريب المريب أن عدداً كبيرا من الصحف المصرية - فى ذلك العهد - لم تكن مصرية لا فى الوسيلة ولا فى الغاية ، وقد كشف زيدان هوية الصحف المصرية فى مقال بعنوان «كتاب الجرائد والمجلات» (٩) بين فيه أن الصحف الإنجليزية تنحاز إلى أحزاب سياسية وطنية مثل حزبى الأحرار والمحافظين ، أما فى مصر فإنها تنحاز إلى الدول الأجنبية و«السبب فى ذلك اختصاص هذا القطر دون سواه بتضارب النفوذ الأجنبى فيه وخصوصا بعد الاحتلال» وراح يقسم الصحف إلى انتماءاتها الحزبية على هذا النحو : ١- الحزب الوطنى المصرى . ٢- الحزب العثمانى . ٣- حزب الاحتلال . ٤- الحزب الفرنسى . وكانت الجرائد تمتدح الحزب الذى تدين له بالولاء ، وتعمل جاهدة على إقناع الناس بأن سياسة هذا الحزب أنفع لمصلحة البلاد من غيرها ، ويرد زيدان هذا إلى سببين : إما لأن الكسب المادى للصحيفة لا يغطى نفقاتها ، وإما لأن أصحاب هذه الصحف يعتقدون فعلا صحة ما يقولون عن سياسة هذه الدول التى ينتمون إليها .

وينتقد زيدان الصحف المصرية التى تسير فى الاتجاهات الأجنبية ، فيرى أن عذر الصحفيين بأن العائد من الصحف لا يكفى النفقات لا يبرر خداع قرائها ، فالقراء الذين يدفعون المال اعتقاداً منهم بأن الجريدة التى يواظبون على مطالعتها «أقامت نفسها متكلمة عنهم تدافع عن حقوقهم وتبين مطالبهم واحتياجاتهم لدى ولاة الأمر .. فلا يعذرونها بانتماءاتها إلى أحزاب مصلحتها تخالف مصلحتهم» وهو انتقاد فى الصميم ، إذ يرى أن الصحيفة المصرية يجب أن تخدم مصر أولا وثانيا وأخيرا ، أما الصحف التى تدافع عن مصالح الدول الأخرى فهى صحف خائنة خادعة .

وإذا كان زيدان لم يذكر اسماء هذه الصحف فى مقاله المشار إليه ، فإنه عاد فى مقال آخر ليفصل المسألة فى وضوح ، وامتد حديثه حتى شمل الصحافة الوطنية فى عصر عباس حلمى الثانى فأبرز دور الحركة الوطنية وصحافتها ضد الاحتلال ، وأفاض فى الثناء على مصطفى كامل «محيى الشعور الوطنى فى مصر» واعتبر صدور اللواء «خطوة كبيرة فى تاريخ الصحافة العربية بمصر بل هو نهضة جديدة فيها»(١٠) .

(٩) هـ . ١٥ أكتوبر ١٨٩٧ .
(١٠) هـ . مايو ١٩١٠ .

وحديث زيدان هذا دقيق وصحيح ، ومريح للشعور الوطنى ولمؤرخى الصحافة . إذ إنه لم يحد عن الحق ، وعين هوية كل صحيفة بما لا يدع مجالا للبس أو إبهام فوصف «المقطم» بأنها رئيسة الصحف الاحتلالية ، و «المؤيد» بأنها رئيسة الصحف الوطنية .

وقد كانت الهلال فى عهد زيدان ديوانا كبيرا حوى من أخبار الصحف وأسمائها أعداداً كثيرة ، إذ كتبت نبذا قصيرة عن دوريات عربية وفيرة فى الشرق والغرب . وقد راجعنا عدداً كبيراً من أسماء تلك الصحف والمجلات على فهرست الدوريات العربية الذى تقتنيه دار الكتب المصرية وصنفه محمود إسماعيل عبد الله ، فلم أعثر لها على أثر ، ومن هذا «الصياد» جريدة أسبوعية إخبارية صدرت فى مصر لصاحبها سيد أحمد مصطفى ، «المودة» مجلة نسائية لسليم خليل فرج . «المنتزه» أدبية هزلية صدرت فى مصر لصاحبها السيد على الحريرى وتطبع على مناديل يمكن غسلها واستعمالها ، «لسان الأمم» مجلة علمية أدبية بالعربية والإنجليزية صدرت بمصر لمحررها حسين عاروض ، «النور» مجلة أدبية إخبارية صدرت فى الإسكندرية لمنشئها داود مجاعص ، «الحجاز» جريدة دينية أدبية صدرت بمصر لصاحبها أبى بكر الداغستانى ، «النفير» يومية سياسية فى الإسكندرية مديرها إبراهيم زكا، «الأسماء» مجلة علمية تاريخية جغرافية فى بيان أسماء الكتب والمؤلفين صدرت بمصر لصاحبها عارف بغدادى ، «البرنسيس» مجلة شهرية تبحث فى شئون المرأة لمنشئتها فطنت هانم ، «العصر الجديد» مجلة علمية أدبية فكاهية لصاحبها محمود صادق سيف .

ونستطيع على هذا النحو أن نذكر عشرات الجرائد والمجلات التى لم يضمها سجل دار الكتب ، وذكرت الهلال نتفا عنها .

وإننا نهيب بالمشرفين على دار الكتب أن يراجعوا النبذ التى كتبت عن الدوريات القديمة فى الصحف والمجلات للوقوف على ما هو غير موجود فى تصنيفها والإعلان عنه لاقتنائه نظير مكافأة مجزية لمن تكون فى حوزته تلك الصحف أو بعضها .

وقد ترجم زيدان فى «الهلال» و «تاريخ آداب اللغة العربية جـ٤» و «تراجم مشاهير الشرق» لأعلام الصحافة مثل أديب إسحق وأحمد فارس الشدياق وعبد الله النديم وإبراهيم المويلحى و إبراهيم اليازجى وسليم تقلا وبشارة تقلا ورزق الله حسون .

ومازالت كتابات الهلال عن الصحافة وأعلامها مصدرا يرجع إليه الباحثون حتى اليوم .

الرواية التاريخية

من الأدب الشعبى إلى مرحلة الهلال

ارتبطت الرواية التاريخ باسم « الهلال » فى أواخر القرن الماضى ، حينما حاول جرجى زيدان الترويج للمجلة من خلال متابعة وإعجاب القارىء بأعماله التاريخية التى كان يقدمها لهم فى شكل مسلسل .

وقد ظهرت الرواية التاريخية أول ما ظهرت فى إطار شعبى ، إذا كانت تحكى قصة بطولة عنترة وكفاح الزير سالم وغيرهما ، وهو لون من الروايات تختلط فيه الحقيقة بالخيال ، ثم عرفت طريقها إلى الأدب الحديث بعد ظهورها فى أوربا على يد مجموعة من الكتاب أشهرهم اسكندر دوماس وأنضجهم والتر سكوت .

وفى بلادنا العربية ظل عدد من الدارسين يرددون مقولة مفادها أن جرجى زيدان منشىء الرواية التاريخية الحديثة ، حتى ظهرت دراسة رائدة للدكتور محمد يوسف نجم « القصة فى الأدب العربى الحديث » أوضحت أن سليم البستانى هو صاحب أول محاولة فى كتابة الرواية التاريخية من خلال روايتيه « زنوبيا » و « الهيام فى فتوح الشام » وتبعه زيدان بسلسلته المعروفة .

وكان زيدان يعتقد فى بادىء أمره أن الأعمال الروائية مضيعة للوقت ، ثم أدرك أنها تثقف العقل وترقى العواطف وتهذب الأخلاق وتوسع دائرة الاختيار (١) ومن هنا أقبل عليها ، وكان ينشرها ثم يجمعها ويوزعها على مشتركى مجلته على سبيل الهدية .

وهذه الروايات التاريخية التى وضعها زيدان وتربو على عشرين رواية تدل على ارتباط ذهنه – منذ أن عالج الكتابة – بالحقيقة . فهو ليس من الكتاب الخياليين أو المنشئين الذين يسترسلون فى الوصف والإنشاء ، وإنما هو رجل ينطلق عقله فى رحلة بحث عن الحقيقة .

---

(١) هـ ١٥ – ٢ – ١٨٩٧

وفى سبيل الوصول إلى الحقيقة بذل جهداً لا ينكره القارئ .

والنظرة العامة إلى موضوعات كتاباته تدلنا على ارتباطها بحقائق التاريخ والأدب، واللغة والعلم ، فكتبه عن « تاريخ آداب اللغة » و « التمدن الإسلامى » وفلسفة اللغة والتاريخ العام وتراجم مشاهير الشرق والغرب .. هى مثال واضح على اتجاه منشىء الهلال إلى الأحداث الاجتماعية ، والوقائع التاريخية ، والمقارنات اللغوية ، والمخترعات العلمية ودراسة العصور الأدبية وأعلامها .

وأعمال زيدان الروائية هى نتاج اتصال فكره بالواقع ، فقد استمدت موضوعها من أحداث تاريخية شهيرة ، ومن أعلام التاريخ الذين أثروا فى مجراه مثل صلاح الدين وأبى مسلم الخراسانى وعبد الرحمن الناصر وشجرة الدر وغير ذلك .

والرواية التاريخية بطبيعتها ليست إبداعا أدبيا أو فنيا كاملا ، نظرا لاعتمادها الأساسى على كتب التاريخ ، ولا ننكر قدر الاختراع فيها ، وجهد القاص وبراعته فى الإضافة إلى الحدث وإدخال الشخصيات الثانوية أو المساعدة لتتلاءم الأجزاء وتتلاحم المشاهد ، ومع كل ذلك فإن الفن فيها أقل منه فى القصص المبتكرة والمخترعة ، ومن ثم يكون نصيب الحقيقة فى الروايات التاريخية أكثر من نصيب الفن وبخاصة فى أعمال زيدان ذات الصبغة التاريخية إذ يستعرض فترات زمنية واسعة ، ويلزم نفسه بسردها وذكرها .

وطريقة زيدان فى كتاباته الروائية تدل على ارتباط ذهنه بالحدث التاريخى ، فهو لم يكن يكتب الرواية كلها مقدما ثم يأخذ فى نشرها مسلسلة فى الهلال ، وإنما كان يختار شخصية تاريخية أو فترة زمنية مليئة بالأحداث والإرهاصات ويدرسها دراسة متأنية ثم يستخرج منها ما يكوّن قصة بعض أبطالها من الذين عرفهم التاريخ ، ثم يشرع فى نشرها فصلا فصلا . بحيث يكون الفصل الأول المنشور فى عدد اكتوبر مثلا هو كل ما أنجزه بالفعل ، ولا يدرى – كما صرح هو بذلك – على وجه التحديد ما سيكتبه فى الفصل الثانى حتى تتم فصول روايته .

وهذه الطريقة تدعو إلى القلق ، ولكن الأمر يختلف مع زيدان لأنه ينمى الحدث ، ويحلل الشخوص على ضوء التاريخ ، أى أن الأمر متروك للحقيقة التاريخية وليس للخيال

الخلاق المبدع ، ومادام يتصرف فى المواقف فى إطار روايات المؤرخين فإن الخطأ يكون فى حدود ، إلا إذا كان يعترض على رواية أو واقعة أو صياغة حدث ، فيتدخل لتعديله بناء على رؤية شخصية ، ومجال الفن الروائى ربما يتيح له ذلك فى مذهب بعض النقاد ، لذلك فالحقيقة عنده مقدمة على الخيال ، والتاريخ فوق الفن .

ولما كان التاريخ الخالص غير القصة التاريخية فإن كاتب الرواية التاريخية يستعين على تجميع عناصر موضوعه بشخوص خيالية ،أو بمصادفات مصنوعة ، أو بأفعال عارضة يضيفها ، ليلم شمل المفردات الشاردة ، والأخبار المتناثرة ، وهذا ما قام به فى مختلف رواياته ، وقد يتساءل القارىء كيف كانت تسير الرواية لو لم تقع تلك المصادفة مثلا ؟

وبالرغم من هذه الإضافات الفنية فإن الروايات الأولى لجرجى زيدان أو أغلبها يسيطر عليها التفكك أحيانا ، وتعوزها الحبكة فى أحيان أخرى ، ولكن الأحداث التاريخية المهمة تظل ظاهرة واضحة وهى المحور الرئيسى فى القصة التى يدور حولها الفن .

ولقد عمل مؤسس الهلال فى رواياته على توفير عنصر من أهم عناصر القصة الفنية ، ألا وهو عنصر التشويق ، إذ يجعل مدار الحديث حول غرام ناشىء سرعان ما يستعر فى نفس المحب ، وهذا العنصر أكسب الروايات حيوية ، وشجع وسهل على القراء قراءة التاريخ . فهو يعلمهم التاريخ من باب التشويق فيتطلع القارىء إلى معرفة ما سوف يأتى من خلال موضوعات العشق اللاهب والغرام الكاوى ، وهى الموضوعات التى تستهوى معظم الناس وبخاصة الشباب ، وكان المؤلف يعرف كيف يستميلهم بانتصار المحبين بعد مصارعة الشر والأشرار الذين وقفوا فى سبيل غرامهم ، ويتمثل هذا فى كثير من قصصه مثل عذراء قريش ، وفتاة القيروان وصلاح الدين .

ولما كان مؤسس الهلال يعتقد أن تاريخ الاسلام « عبارة عن تاريخ الشرق الحديث ، أو هو تاريخ العالم كله بعد عصر الرومان والفرس » فقد أقدم على التأريخ له عن طريق الرواية ، وراعى أن تكون رواياته مسايرة للحقب التاريخية المتعاقبة ، وفى هذا يقول : « وقد تدرجنا فى حلقات هذه السلسلة بنشر تاريخ الاسلام من ظهور النبى (ص)

وفتح الشام والعراق إلى فتح مصر ثم ما كان من الفتنة فى أيام عثمان وانقسام المسلمين إلى مقتل الإمام على وانتقال الخلافة من الراشدين إلى الأمويين ثم مقتل الحسين فى كربلاء فتأييد الدولة الأموية من زمن عبدالله بن مروان على يد الحجاج بن يوسف ، وما كان بعد ذلك من فتح الأندلس على يد طارق بن زياد ثم فتحهم بلاد الافرنج إلى الواقعة الشهيرة بين شارل مارتل وعبد الرحمن الغافقى وأخيرا انحطاط شأن بنى أمية وسقوط دولتهم وقيام دولة العباسيين على يد أبى مسلم الخراسانى .. »

ولم يقف زيدان عند هذا الحد وإنما تجاوزه ، فمثل للعصر العباسى برواية أبى مسلم الخراسانى والعباسة أخت الرشيد والأمين والمأمون ، ومثل للعصر الأيوبى برواية صلاح الدين ، وحكى الفترة الانتقالية من الدولة الأيوبية إلى دولة المماليك برواية شجرة الدر التى بينت أحوال الخلافة العباسية فى أيامها الأخيرة وتضمنت مبايعة شجرة الدر وسيرة الملك الظاهر بيبرس ، ثم أوغل فى العصر المملوكى فقدم لقرائه رواية «استبداد المماليك » و « المملوك الشارد » وهما من أعماله الروائية الأولى ، وقد بين لنا مشاهداته فى السودان أيام مرافقته الحملة الإنجليزية فى رواية أسير المهدى التى تحوى وصف مصر والسودان فى أواخر القرن التاسع عشر وأحداث الثورة العرابية فى مصر والثورة المهدية فى السودان ، ثم أخذنا إلى تاريخ المسلمين العثمانيين فى رواية « الانقلاب العثمانى » .

ويجب أن نشير إلى رواية « أرمانوسه المصرية » التى طبعها عام ١٨٩٥ وهى من أعماله الأولى قبل أن ينتظم فى سلسلة روايات الاسلام ، ووجه أهميتها أنها عندما راجت وأقبل الناس عليها ، وتضاعف عدد المشتركين فى الهلال بسببها – وهو المهم – قوى عزمه على إصدار الروايات .

ولا نقول إن روايات زيدان غطت كل أحداث التاريخ الإسلامى ، ولكنها مثلت لكل عصوره وشملت أبرز وقائعه وأعظم رجاله ، وقد راجت هذه الروايات فى الشرق والغرب وترجمت إلى لغات عديدة بعضها محلى أو غير ذائع مثل الفارسية والهندية والتركية واللسان الأذربيجانى ، عدا اللغات الحية مثل الفرنسية والانجليزية والروسية والألمانية ، وقد مثلت بعض هذه الروايات على المسرح مثل أرمانوسه المصرية والانقلاب العثمانى

ومع ذلك فان رواياته لم تسلم من النقد ، ونظراً لصلتها بتاريخ الإسلام فقد كان نصيب النقد التاريخي أوفر بكثير من نصيب النقد الفني . ففي عام ١٨٩٩ نشر روايته « عذراء قريش » وتناول فيها مقتل عثمان وأحداث الفتنة الكبرى وتولى الإمام على الخلافة ، وعند حديثه عن هذه الفترة قال إن الروايات التاريخية تحتاج إلى المراجعة والتنقيب لتمحيص الحوادث التاريخية وتطبيقها على الحوادث الغرامية حتى لا يظهر فيها التكلف أو الضعف (٢) ولكنه حاد عن هذه الطريقة فى بعض شخوصه وواقعاته ، فنسب إلى شخصيات إسلامية ما ليس فيها . وقد تصدت مجلة الموسوعات لهذه الرواية وانتقدتها فى موضوعية . فعذراء قريش (أسماء) بطلة الرواية لا وجود لها إلا فى ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض الحق فى هذا ، ولكن الباطل يتمثل فى أنه نسب لمحمد بن أبى بكر المعروف بالزهد عشق هذه العذراء ، ونسب إلى الحسن بن على عشقه لهذه العذراء الوهمية وغيرة محمد بن أبى بكر منه ، وادعى أن الإمام على أعجب بعذراء قريش عندما دخلت عليه فى زى رجل مع أن هذا مخالف للدين . ولم يستطع زيدان أن يدافع عن نفسه دفاعا منطقيا . ومهما يكن من ضرورة وجود الخيال عند كاتب الرواية التاريخية فإن هذا يجب إلا يشوه الحقائق ، ويجافى الأحداث ويغير من الصفات الشهيرة فى الشخوص المعروفة ، فلا نصور زاهدا فى صورة عاشق غيور أو العكس .

ولكن شخصيات الروايات ليست كلها من هذا النوع فمنها ما يطابق ما ورد فى كتب الأدب والتاريخ ، ومن هذا شخصية « عزة الميلاء » التى وردت فى رواية الحجاج بن يوسف . فقد صورها زيدان على هذا النحو : « وكان من أهل المدينة فى أواسط القرن الأول للهجرة مغنية يقال لها « عزة الميلاء » . وكانت مولاة للأنصار ، وهى أقدم من غنىّ الغناء الموقع من النساء فى الحجاز . وقد سميت الميلاء لتمايلها فى مشيتها لفرط سمنها . وكان العود حديث العهد عند العرب فأجادت العزف عليه ، عدا ما كانت تحسنه من العزف بالمزاهر وبقية آلات الطرب ، وكانت جميلة الوجه ظريفة اللسان كريمة الخلق ، سخية النفس لا يقدم قادم إلى المدينة إلا التمس أن يراها ويسمع غناءها .. على أن عزة كانت مع ذلك ذات دين حسن وهيبة ووقار إذا جلست للغناء فى حفل عام أنصت لها الحاضرون وكأن الطير على رءوسهم » (٣)

(٢) هـ . نوفمبر ١٨٩٩ .

(٣) رواية الحجاج بن يوسف لزيدان ص ٥ ط . دار الهدى الوطنية – بيروت .

وتكاد تكون هذه الكلمات هى بعينها كما وردت فى كتاب « الأغانى » فقد قال الأصفهانى : « كانت عزة مولاة للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهى أقدم من غنّى الغناء الموقع من النساء بالحجاز ... وسميت الميلاء لتمايلها فى مشيتها .. وقال اسحق ما كان أحسن غناءها ... وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهى ، وأجمل وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقرب مجلسها ، وأكرم خلقها ، وأسخى نفسها .. وقال اسحق إن طويسا .. إذ ذكرها يقول هى سيدة من غنىّ من النساء ، مع جمال بارع ، وخلق فاضل ، وإسلام لا يشوبه دنس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، وتنهى عن السوء وهى مجانبة له » (٤) .

ويستطيع القارىء أن يدرك مدى التشابه بل التطابق بين النصين ، وهذا يظهر أن كل شخصيات زيدان فى رواياته ليست خارجة عن الواقع التاريخى المسجل ، على أن هذا يقودنا إلى القول بأن فى هذه الروايات تقريرية جافة تضعف العمل الروائى ، فأين الفن والتصرف ؟

لقد حمل كثير من الكتّاب على هذه الروايات حملات ضارية ، كان أشدها ما سطره شوقى أبو خليل (أديب سورى) فى كتاب حمل عنوان «جرجى زيدان فى الميزان » يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة من القطع فوق المتوسط ، ووقف الكتاب كله على نقد الروايات ، فتناولها واحدة .. واحدة ، وكان الأساس الذى بنى عليه نقده هو مدى مطابقتها للتاريخ الإسلامى وقد وفق فى كثير مما ذهب إليه ، ومما قاله : « إن الغاية التى توخاها جرجى زيدان هى تحقير الأمة العربية ، وإبداء مساوئها ، وتمييع تاريخها ، وتفسيره تفسيرا جنسيا فرويديا ، ولكنه لما كان يخاف ثورة الفتنة ، غير مجرى القول ، ولبس الباطل بالحق ، فما ترك سيئة إلا وعزاها للعرب »(٥) .

ولكن للحقيقة نقول إن بعض العيوب التى أبرزها زيدان فى المجتمع الإسلامى ، نجد جملة منها ، أو شبيهة بها فى بعض كتب الأدب والتاريخ ، فإنه لا يمكن تصور المجتمع الإسلامى فى عصوره المتلاحقة ، وبيئاته المتنوعة ، وأجناسه المختلفة ، فى

(٤) الأغانى حـ ١٧ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، طـ الهيئة العامة للكتاب .

(٥) جرجى زيدان فى الميزان لشوقى أبو خليل - دار الفكر بدمشق .

شكل نقى خالص من الشوائب . أما ما دسه على بعض الشخصيات فإننا ننكره منه ، ونرفضه من غيره مهما تكن منزلته العلمية .

وإذا كنا قد سجلنا وجهة نظر فى انتقاد روايات زيدان ، فإنه يجدر بنا أن نذكر وجهة نظر أخرى لاستيفاء الصورة ، فقد قال محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بدمشق : « كانت الفكرة التى أوحت إلى صديقى زيدان أن ينوع الأساليب فى نشر التاريخ الإسلامى سديدة للغاية ، والطريقة التى سار عليها طريفة ، وغاص أول الغائصين لاستخراج جواهر من كنوز العرب المدفونة ، عرضها فى صياغة مقبولة ، وفى قوالب وحجوم زينتها فى الأعين وحببتها إلى الأنفس » (٦) .

ويقول أحمد أمين : « رواياته كلها روايات تاريخية اختارلها وقائع بارزة فى تاريخ الإسلام ودرسها فى سعة وعمق » وأنه « صور عصور الإسلام المختلفة فى ممالكه المختلفة مسلسلة بعضها فى أحداث الشام وبعضها فى العراق ومصر والأندلس .. وهو يرمى إلى تفهيم أكبر عدد ممكن من قراء العربية للعصور التاريخية الإسلامية والتمهيد للناس ليذوقوا التاريخ بحثا كما تذوقوه رواية . » (٧)

وعلى أية حال فإن زيدان يعتبر من رواد هذا الفن الروائى المستند إلى أحداث التاريخ وشخوصه ، وقد سار فى هذا الركب كثيرون من أمثال فرح أنطون وعلى باكثير وسعيد العريان وفريد أبو حديد وعباس خضر وغيرهم .

---

(٦) هـ . سبتمبر ١٩٣٩ .

(٧) نقلا عن كتاب « جرجى زيدان منشىء الهلال » لأنور الجندى مكتبة الأنجلو المصرية .

هـــؤلاء قـــدموا
لك الهـــلال

مرت الهلال خلال مائة سنة بمراحل كثيرة ، اختلفت شكلا ومضمونا ، ولكنها وفى كل الظروف حرصت على أن ترتبط بقارئها الذى يعرفها ، وحرصت أكثر على أن تكسب قارئا جديدا ، وذلك من خلال جهد الأساتذة الذين تولوا أمرها وأشرفوا على تحريرها خلال هذه المرحلة الطويلة :

* جرجى زيدان (١٨٩٢ - ١٩١٤) :

تمثل مرحلة جرجى زيدان فى الهلال (٢٢ سنة) قام أثناءها بالجهد الرئيسى فيها ، فكان يحرر الهلال بنفسه فيما عدا المقالات التى كان يبعث بها كتاب آخرون أو القصائد التى جلبها من النظم القديم أو غيرها من إبداعات شعراء عصره .

وقد يعجب المرء من ضخامة هذا الإنتاج فى الكيف والكم ، سواء فى أبحاثه التاريخية أو الأدبية والفلسفية أو الكتب الموسوعية مثل «تاريخ آداب اللغة العربية» و«تاريخ التمدن الإسلامى» و «تاريخ اللغة العربية» و «اللغة كائن حى» و «علم الفراسة الحديث» و «طبقات الأمم» و «عجائب الخلق» .. إلخ .

حتى رواياته لم تكن من وحى خياله بل يلزم لإنجازها مراجعة فاحصة للتاريخ الإسلامى ، علما بأن بعض كتب هذا التاريخ فى ذلك الوقت كانت إما مخطوطة أو مفقودة أو لا توجد إلا فى مكتبات أوربا .

وقد قالت الأهرام فى رثائه : «لو قاس المؤرخون مدى عمره على آثاره لاعتقدوا أن صاحب الهلال بلغ المائة سنة ، بينما هو لم يتجاوز الخمسين» .

والواقع أن هلال زيدان تناولت كل فروع المعرفة ، وعلى مختلف الصفحات كانت هناك مادة وفيرة عن التمدن الشرقى والغربى والحضارات المختلفة والعادات والتقاليد ، علاوة على الاهتمام بالأدب من شعر ونثر فنى بشكل يثير حماسة القارئ ويستحثه على المتابعة والمراجعة .

وقد قدمت الهلال تغطية جديدة للعلوم الطبيعية فى عهده من تاريخ الطب وأنواع الجراحة وطرق العلاج ومؤتمرات العلم وآخر أخبار المخترعات الحديثة .

ولعل «باب المراسلات» هو الوحيد الذى كان يحرره كتاب آخرون غيره من أمثال رفيق العظم وشكيب أرسلان وعيسى المعلوف .

وكان من كتاب الهلال فى تلك الفترة أحمد شوقى ، المنفلوطى ، خليل مطران ، جبران خليل جبران ، ناعوم شقير ، يوسف كرم ، وأمين الريحانى ، ومصطفى صادق الرافعى ، وسلامة موسى وحافظ إبراهيم وغيرهم .

ولم يقنع جرجى زيدان بمجرد إصداره لمجلة الهلال ، فقد شجعه النجاح على إصدار سلسلة روايات الهلال (١٨٩٤) وهى أعمال مترجمة بخلاف رواياته التاريخية الإسلامية المعروفة .

وكان باعثه على إنشائها منافسة الروايات الأخرى التى لا تراعى ذوق السواد وأميال أهل البلاد من حيث العوائد والأخلاق وطرق الافهام ومحاربة غلاء ثمن الروايات المطروحة للقراء ، يقول : «فكلفنا جماعة ممن نثق بحسن ذوقهم من كتابنا الأدباء أن يكتبوا بهذا الفن إما تأليفا أو ترجمة بعد اختيار الرواية على ما يناسب الذوق السليم وأخذنا على نفسنا طبع هذه الروايات على نفقتنا وسميناها «روايات الهلال» لأنها تؤلف أو تترجم بإيعاز منشئ الهلال وتطبع وتنشر فى إدارة الهلال» (١) . والرواية الأولى التى نشرت وأعلن عنها هى رواية «استراتونكى» (٢) والراوية الثانية «لصوص فينيسيا» وتتضمن «أحوال فينيسيا ، وعادات أهلها وسياستهم فى الأجيال الأخيرة وما كانوا يقاسونه من غوائل اللصوص .. وقد صدر منها الآن الجزء الأول» (٣) .

وعلى وجه الإجمال كانت الهلال زمن زيدان مجلة ثقافية اجتماعية تبسط وتفيد ، وتقدم المعرفة من أيسر طريق ، ، وكما أنها تمثل صاحبها تمام التمثيل ، فإنها تصور عصرها فى كثير من نواحيه ، وتسهم فى تكوين الوعى الاجتماعى والثقافى ، وتطارد الوهم بالعلم ، وكانت أحد ألسنة جيلها المعبرة عن قلقه وأفكاره ، فهى بمنزلة ذاكرة واعية لفترة التحول والتحديث . والتفاعل بين القديم والجديد .

(١) الهلال ١ - ١٠ - ١٨٩٤ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الهلال أول يناير ١٨٩٥ .

وفى هذه الفترة رحل من كتاب الهلال روحى الخالدى عام ١٩١٣ ومؤسس الهلال عام ١٩١٤ .

• اميل زيدان (١٩١٤ - ١٩٤٦) :

كان اميل زيدان [٤] يحرر فى الهلال منذ عام ١٩١١ ، وله جملة مقالات تناول فيها مسائل علمية واجتماعية ونفسية مثل «تأثير النواميس الطبيعية فى نشوء الهيئة الاجتماعية» و «عالم الأحلام» و «الوهم الأكبر ومساوئ الفتح والاستعمار» كما ترجم كتابين هما : «خلق المرأة» و «الحرب الأوربية» . وهذا يعنى أنه كان مهيأ ومؤهلا لتسلم إدارة الهلال وقيادتها بعد وفاة أبيه .

ومنذ توليه عمل على تطوير الهلال بزيادة عدد صفحاتها واختيار الورق الجيد ، مع زيادة فى الصور ، وإتقان فى الطبع ، واستخدم أسلوب الجوائز لترويج المجلة ، وكان الفائز يمنح كتبا أو مجلة الهلال مجانا ، ولكنها عدلت عن هذا عندما قدم السيد عبد الله على آل زايد من البحرين عشرين جنيها لأفضل مقال يكتب عن «الوسائل التى من شأنها ترقية اللغة العربية لتضارع اللغات الحية الراقية فى وفائها بحاجات العصر» .

ولا تشعر فى الأعداد الأولى التى ظهرت بعد وفاة جرجى زيدان بتغيير كبير فى المادة والأبواب ، ولكن أخذ يتسرب إليها كتاب آخرون ، وشيئا فشيئا تحولت الهلال إلى مجلة لها رئيس تحرير ومحررون أو كتاب ، وفى عهد اميل زيدان انفتحت المجلة على معظم الأدباء المصريين الكبار وعلى كتاب عرب ومسلمين من أمثال كاظم الدجيلى . الزهاوى . ميرزا المحمد إيرانى . توفيق قندلفت . محمد رضا العاملى .

أما أبواب المجلة فقد أخذت تتغير بمرور الوقت وصارت «شئون الدار» و «سير العلوم والفنون» و«فى عالم الأدب» و«بين الهلال وقرائه» و«من هنا وهناك» .. وغير ذلك .

وقد مرت الهلال بأزمتين كبيرتين فى تلك الفترة هما الحربان العالميتان الأولى والثانية ، فقد أثر الغلاء على أسعار الورق والتوزيع ، فاضطرت المجلة إلى استخدام ورق الجرائد الأسمر الرخيص وتخفيض عدد صفحاتها فى الحرب العالمية الأولى ، وصارت تصدر كل شهرين مرة فى بعض سنوات الحرب الثانية ، ولكنها صمدت للمحنة ، واجتازت الأزمة .

---

(٤) توفى فى ٢٠ من مايو ١٩٨٢ .

وجرت المجلة – عدة سنوات – على عادتها القديمة فى تقديم كتاب كل عام هدية للمشتركين ، وكانت تراعى أن يكون الكتاب مناسبا للأوضاع السائدة فى العالم . ففى أثناء الحرب العالمية الأولى أخذ يتردد فى الصحف ذكر شعوب لا يعرف القارئ عنها معلومات كافية مثل التشكيك والسلوڤاك واليوغسلاف والأوكرانيين والفنلنديين والليتوانيين وغيرهم ، لذلك رأت إدارة المجلة أن تسد هذا النقص فى معارف القراء فقدمت لهم كتاب «شعوب أوربا» عام ١٩١٩ زيادة على الجزء الأول من مختارات جرجى زيدان ، وبعد قيام الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ ، وتطاير أخبارها ، وكثرة الجدل حولها قدمت الهلال كتابا عن «الاشتراكية» مع عدد يولية ١٩٢٠ لمشتركيها ، لتعرفهم «بحقيقة المذهب الاشتراكى وقضاياه النظرية وتطبيقاته العملية» وعندما ذاع صيت طه حسين أهدت المجلة لمشتركيها كتابه «قادة الفكر» وهكذا كانت المجلة تراعى الظروف والأحوال ، وتقدم الفكر الملائم فى الوقت المناسب ، وهذا من باب الحكمة العملية فى الإدارة والتنظيم .

أما هوية مجلة الهلال وسياستها فى تلك الفترة . فقد عبر عنها اميل زيدان فى قوله : «لم يعد فى وسع مجلة كالهلال أن تحصر مباحثها وموضوعاتها فى مجال ضيق محدود ، فهو – أى الهلال – لا يستطيع أن يكون أدبيا فحسب ، ولا تاريخيا فحسب ، ولا ذا اختصاص آخر معين ، فإنما مجاله المجتمع البشرى عموما والشرقى خصوصا ، وواجبه يحتم عليه النظر فى كل ما يتعلق بذلك من المباحث والموضوعات ، وفقا لمقتضيات الحال ورغبات الجمهور» (٥) .

وانطلاقا من هذه الرؤية خاضت الهلال مجالات متنوعة منها فنون الأدب والنغم والرسم والسينما ، والتاريخ الإسلامى والأوربى ، والفلسفة والاجتماع ، والعلم الطبيعى والاختراع ، كما شاعت فيها القصص المؤلفة والمترجمة ، والأشعار الغزلية ، وكل ما يجذب ويسلى ، ويعلم ويهذب . ولكنها أمسكت «عن كل ما يمس الدين من قريب أو بعيد» (٦) .

وقدمت أعداداً خاصة عن «حياتنا الجديدة» ١٩٣٣ «المرأة والحب» ١٩٣٤ «المتنبى» ١٩٣٥ «الفن والجمال» ١٩٣٥ «الشباب» ١٩٣٦ «أبو نواس» ١٩٣٦ «التعليم» ١٩٣٧ وهكذا .

---

(٥) الهلال – أكتوبر . نوفمبر ١٩٢٣ .

(٦) كمال النجمى . الهلال سبتمبر ١٩٩١ .

وهذا يعنى أنها كانت تستهدف التعمق فى بعض موادها التحريرية إلى جانب التنوع فى مسارها العام .

وكذلك قدمت مسابقات مثل : «هل يستطيع الرجل أن يحب امرأتين فى آن واحد ؟» ، وأجرت الحوار بين المفكرين فى الندوات ، وكانت تستحث الأدباء فى إخراج مكنون أفئدتهم ، فتوجه إليهم أسئلة يجيبون عنها فى : أهم الكتب التى أفادتهم ، وأهم الأحداث التى أثرت فى مجرى حياتهم .. ومن إنجازات تلك الفترة «تقويم الهلال» .

وكان اميل زيدان يؤمن بالتطوير والتجديد ، وبخاصة فى الفكر ، ومن ثم خصص عدداً عن الحرية فى القول والتفكير قال فى مقدمته : «كل تطور إنما يبدأ بالفكر ، فإذا تجدد الفكر تجددت النظم والقوانين ، وإذا تجدد الفكر تجددت العلائق بين الأفراد ، وبينهم وبين الحكومة . أجل ما أحوجنا إلى التفكير على أساليب جديدة ، وفى اتجاهات جديدة» (٧) وأشار إلى ما ينبغى عمله فى مجال التفكير الدولى والاجتماعى والاقتصادى والدستور ، وجاء هذا العدد عن الحرية مصدرا بكلمات لمصطفى النحاس باشا فى «الحرية والاستقلال» وأخرى لمصطفى كامل عن «الحياة والحرية» .

وفى عام ١٩٢٤ أخذ إميل زيدان يصدر المجلات المصورة ، ولم يعد لديه الوقت لإدارة أكثر من مجلة فى وقت واحد ، فاسند رئاسة تحرير الهلال إلى سلامة موسى فى السنوات الأخيرة من العشرينيات ، ولكن اسمه لم يكتب على المجلة كرئيس للتحرير ، ثم اختلف مع صاحب الهلال فتركها ، وقد أشار سلامة موسى إلى ذلك فى كتابه «تربية سلامة موسى» ، وبعد ذلك بفترة اسند إميل زيدان رئاسة تحرير الهلال إلى إبراهيم المصرى دون ذكر اسمه ، وتولى المصرى فوق ذلك كتابة السياسة الخارجية فى مجلة المصور (٨) وهذا يعنى أن هناك رجالا آخرين كانوا وراء صمود الهلال وعلو شأنه إلى جانب إميل زيدان .

على أن أهم إنجازات إميل زيدان إلى جانب الهلال ، كان إنشاء مجلة «المصور» عام ١٩٢٤ ، وقد تولى فكرى أباظة رئاسة تحريرها ، ومجلة «كل شىء والدنيا» عام ١٩٢٥ واستمرت فى الصدور إلى عام ١٩٣٩ ، ومجلة «الكواكب» عام ١٩٣٢ ، ومجلة «الاثنين والدنيا» عام ١٩٣٤ وكان يرأس تحريرها مصطفى أمين ، وكل هذه

(٧) الهلال . نوفمبر ١٩٣٦ .

(٨) فوزى سليمان «إبراهيم المصرى . حياته وأدبه» مطبعة النصر بشبرا ١٩٦٥ ص ١٤ .

المجلات كانت تطبع بالروتوغرافور اسبوعيا . هذا إلى جانب تلك الدار الضخمة التى قام ببنائها .

وقد كان هذا الجهد واضحا لدى الآخرين فقالت مجلة مصر الحديثة المصورة : «على أن شركة الهلال خطت خطوات واسعة إلى الأمام فأدخلت إلى مجلة الهلال تحسينات عديدة جعلتها من طراز المجلات الأوربية الحديثة ، وأصدرت ثلاث جرائد أسبوعية مصورة جاءت خير مثال لأحدث ما وصلت إليه الطباعة العربية فى إتقان التصوير ، وترقية الذوق الصحافى ، وبنت دارها الخاصة بمطابعها وجرائدها ، وهى جادة فى السير إلى الأمام كل يوم» (٩) .

والخلاصة أن مجلة الهلال فى تلك الفترة انفتحت على الحياة المصرية والتحمت بقضايا مصر الاجتماعية والوطنية ، ودارت على صفحاتها معارك أدبية مثل المعركة التى جرت بين طه حسين وهيكل حول علاقة الأدب بالقانون ، وجذبت القراء بإخراجها الجيد وصورها المتنوعة ، وإذا كانت هلال جرجى زيدان تمثل إلى حد ما كتاب الجيل الأول جيل شوقى ومطران وحافظ وشكيب ارسلان ... فإن هلال إميل زيدان تمثل كتاب الجيل الثانى من أمثال العقاد وطه حسين وزكى مبارك وهيكل وسلامة موسى .

وفى هذه الفترة رحل من كتاب الهلال : المنفلوطى ١٩٢٤ ، جبران خليل جبران ١٩٣١ ، حافظ إبراهيم وأحمد شوقى ١٩٣٢ ، مصطفى صادق الرافعى ١٩٣٧ ، أمين الريحانى ١٩٤٠ ، مى ١٩٤١ ، عبد العزيز البشرى ١٩٤٣ .

• د. أحمد زكى (١٩٤٧ - ١٩٥٠) :

ورد اسـمه على الغلاف رئيسا للتحرير ، وطاهر الطناحى مديرا ، وقد سـارت الهـلال فى أيامه على نهجها المعتـاد فى تقديم الثقـافة الإنسـانية ، ولم يتميز فيها جانب على جانب ، فتعادلت الموضوعات المترجمة مع الموضوعات المؤلفة ، وشغلت الصور نحو ٢٠ فى المائة من مساحة المجلة ، واجتهدت فى إبراز المواهب الجادة وتقديم جيل جديد ، (١٠) مع معظم الكتاب السابقين مثل العقاد وأحمد أمين والمازنى وفكرى أباظة وأمير بقطر وصارت شهرية وكانت من قبل سنتها عشرة أعداد . ومن أبوابها باب عن الفن جاء تحت عناوين مختلفة قدمه د. أحمد موسى وعرض فيه مجموعات من

(٩) مصر الحديثة المصورة عدد ٢٥ - ١٢ - ١٩٢٧ .

(١٠) الهلال . يونية ١٩٤٧ .

لوحات الفنانين ، وألقى عليها أضواء فنية وتاريخية تبرز مناسباتها ، وتلفت النظر إلى مواطن الجمال والحسن فيها ، وأبرز ما فى هلال هذه الفترة «كتاب الشهر» أو «قصة الشهر» فقلما تتصفح عدداً ولا تجد فيه عرضا لكتاب أو قصة ، ومن هذه الكتب والقصص كتاب «فوشيه» وزير داخلية نابليون لستيفان زفايج ، و «اعترافات آل كابونى» و «زنوبة» لقوت القلوب الدمرداشية و«روميو وجولييت» وليست لهذه الكتب أية مناسبات ، وإنما هى تعرض من زاوية الإحاطة والتثقيف . كذلك توسعت المجلة فى عقد الندوات ، ففى كثير من أعدادها نجد «ندوة الشهر» وكل ندوة لها موضوع مثل «الدستور المصرى بعد ٢٥ سنة» «المسرح والسينما وأثرهما فى الجمهور» «المجتمع السعيد» وهذه الندوات تتسم بالحيوية والحوارات الحارة ، وتظهر ما كان وما ينبغى أن تكون عليه الأمور ، ففى ندوة «الدستور المصرى بعد ٢٥ سنة» تناقش هيكل باشا وتوفيق دوس وفكرى أباظة وعلى ماهر حول وضع دستور ١٩٢٣ ومدى ملاءمته فى مصر وقتها ، وفيما إذا كان يحتاج إليه من تعديل الآن ، كذلك نجد أعداداً خاصة وأقساما عن الطفولة وروسيا والسودان وفلسطين .

ومن أبرز أعمال الهلال فى تلك السنوات تشجيع القراء والأدباء الناشئين على كتابة الأقصوصة لتواكب التطور ، ووضعت جوائز لذلك تصل إلى خمسين جنيها للفائز الأول ، وكانت الموضوعات التى تقترحها المجلة فى هذا المجال : وضع قصة شرقية عربية تدور حول الوطنية والبسالة فى العهد الحاضر ، أو تكتب للأدباء قصة ناقصة وتطلب إليهم تكملتها ... وفى هذا الاتجاه شجعت المجلة الدكتورة بنت الشاطئ ، فكتبت مجموعة كبيرة من القصص الواقعية الاجتماعية ، تناولت فيها حياة المرأة ومدى الظلم الواقع عليها ، وجاءت مادتها القصصية تحت عنوان «صور من حياتهن» ومن كتاب القصة الذين أخذوا طريقهم فى هذه الفترة إلى الهلال يوسف السباعى الذى نشر قصصا مثل «آه» و «عصارة روح» .. كذلك نقف على مادة قصصية لميخائيل نعيمه منها قصة «قلامة ظفر» يظهر فيها تفاهة الدنيا ، وبلغ الأمر فى هذا الشأن إلى حد أنها خصصت عدداً كاملا عن «القصص» عام ١٩٤٨ تناول بحوثا فى القصة ، وقصصا قصيرة تنشر للمرة الأولى . أما مقالة أحمد زكى فكانت مقالة ثقافية غير متخصصة فى ناحية ، ولكن بعضها عليه مسحة علمية خفيفة ، فهو يتحدث فى أحد مقالاته عن «الربيع»

فيدخله فى نظام الدورة الطبيعية للحياة حين تنام وحين تصحو ، وعندما تميل الشمس جنوبا أو شمالا ، ويربط بين الحياة والإصلاح والإفساد ، «فالحياة بناء لهدم ، وهدم لبناء» ويعرض لتلاقح النبات والحيوان فى هذا الفصل ، فالحديث عنده عن الربيع ليس هتافا فقط بجمال الطبيعة وروائح الزهر ، وتغريد البلابل ، وإنما حديث أدبى علمى يجنح إلى التفلسف ، وعلى هذا النحو نقرأ له مقالات عن «الكرة التى تحملها فوق عنقك» و«عطشان يا صبايا» وغير ذلك .

وعلى وجه العموم لم تخرج الهلال كثيرا عن عهدها السابق فى تلك الفترة ، ويؤيد ذلك ما جاء فى افتتاحية هلال ديسمبر ١٩٤٩ «طوى الهلال بعدد ديسمبر ثلاثة أعوام من حياته ، سار فيها على نهجه وسنته وشعاره الدائم، إلى الأمام، وهو الشعار الذى ضمن له البقاء» .

وفى هذه المرحلة توفى من كتاب الهلال : الشيخ مصطفى عبد الرازق ١٩٤٧ ، انطون الجميل ١٩٤٨ ، المازنى وخليل مطران ١٩٤٩ .

وفى هذه الفترة تولى طاهر الطناحى (١٩٥٠ - ١٩٦١) منصب مدير التحرير ، وكان فى الواقع يمارس مهام مسئولية التحرير ، والدليل على ذلك كثرة مقالاته ، وكتابته لمعظم افتتاحيات الهلال ، وإن كان ذلك يتم بالضرورة باستشارة أصحاب الدار .

وفى هذه الفترة قلت صفحات الهلال وصارت ١٢٨ صفحة ثم ارتفعت من جديد إلى ١٦٠ صفحة بعد أن كانت ١٨٠ صفحة أيام د. أحمد زكى ، واعترى بعض أبوابها تغيير فى العنوان ، وأضيفت إليها أبواب أخرى مثل «من نافذة العالم» «المختار من صحف العالم» «معجزات العلم الحديث» «حديقة الهلال» «أنت والعالم» «طبيب الهلال» وتغير اسم باب «كتاب الشهر» إلى «أحدث الكتب» .

ومعظم سنوات هذه الفترة واكبت قيام ثورة ٢٣ يوليه ، ومن ثم فقد انتشرت فيها صور زعماء الثورة ، وكتاباتهم مثل «مستقبل الجيش» لمحمد نجيب» و «شعب وجيش» لجمال عبدالناصر ، و «الشباب عزيمة وكفاح» لكمال الدين حسين و «كيف نجحت الثورة ؟» لأنور السادات . وظهرت فيها مقالات تقارن بين العهد الملكى الإنجليزى .

والعهد الثورى الناصرى مثل «التعليم بين الاحتلال والاستقلال» وأخرى عن «العهد الجديد» و«كيف نجعل مصر بلدا صناعيا ؟» وتلتها مقالات تهاجم الاستعمار مثل «فلنحارب الاستعمار» لفتحى رضوان ، «ورسالة إلى المعسكر الغربى» لفكرى أباظة ، عدا ماكتبه عبد الرحمن الرافعى حول تزييف التاريخ قبل الثورة ، وأخذت شخصية إفريقيا التى تتحدى الاستعمار فى الظهور ، كما تناولت العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، وفى يناير ١٩٥٧ ظهر عدد خاص عن «أمتنا العربية» تتصدره كلمة لعبد الناصر ، ثم ظهر عدد خاص آخر عن «العرب سنة ٢٠٠٠» ورددت الهلال أصداء الوحدة مع سوريا ١٩٥٨، ومالت كثير من المقالات إلى الاتحاد السوفيتى ، ونددت بأوربا الغربية وأمريكا ، وعلى الإجمال برزت فى تلك الفترة اتجاهات السياسة الوطنية ، ولم تعد المقالات تحمل على الإنجليز فقط وإنما على الغرب بأكمله .

وإلى جانب الكتاب القدامى مثل العقاد وأحمد أمين وأمير بقطر وحبيب جاماتى والرافعى ، ظهرت مجموعة أخرى مثل أحمد خميس ومحمد الأسمر ، ومحمد رجب البيومى ، وغيرهم من كتاب العلوم مثل عبدالحليم منتصر وزكريا رفعت ، وكثرت مقالات أمينة السعيد وعبدالرحمن صدقى .

وأهم ما استلفت النظر فى تلك الفترة من الكتابات الأدبية ، مادبجه محمود تيمور وأمينة السعيد ويوسف السباعى وأحمد أمين وعبدالرحمن الرافعى فى أدب الاعتراف . وأدب الاعترافات قليل جدا فى أدبنا العربى لتحفظنا الشديد على أسرارنا، وليلنا إلى الفخر ، والتغنى بالجوانب الإيجابية ، لذلك فلا يوجد فى أدبنا الحديث إلا كتب قليلة من هذا النوع مثل اعترافات عبدالرحمن شكرى ، واعترافات حافظ نجيب ، ومن اعترافات أمينة السعيد التى ذكرتها فى الهلال ، أنها كانت تهجو من تبغضهم من المدرسين والمدرسات أيام الدراسة ، وأن أحكامها كانت قاسية على الناس تأخذهم بالظاهر دون التغلغل فى الباطن ، أما تيمور فقد كتب فى تحليل ظاهرة الاعتراف ، ومدى ما فى نفس البشر من التطلع إلى الخفايا ، وما فيها من ميل إلى الافضاء بما تنطوى عليه من أسرار ، أما ما ذكره يوسف السباعى فلم يكن اعترافا وإنما هو من قبيل السيرة الذاتية ، وهناك فارق بين الاثنين ، فالاعتراف هو ذكر الأخطاء والمعايب ، وأوجه النقص

والقصور ، وذكر البواعث على فعل الشرور ، أما السيرة الذاتية فهى لون السرد التاريخى لحياة المترجم الذى قلما يعترف بأخطائه ، وكثيرا ما تكون مجالا لذكر المناقب دون المثالب . وعلى أية حال فإن هذه الطائفة من المقالات عززت إلى حد معين ما فى تراثنا من أدب الاعتراف .

وفى هذه الفترة كتب طاهر الطناحى طائفة من المقالات الأدبية عن بعض الأدباء تحت عنوان «حديقة الهلال» وأطلق عليهم أسماء طيور ، فجاء لطفى السيد نسرا ، وميخائيل نعيمة طاووسا ، وعزيز أباظة بلبلا ، وأحمد رامى فراشة ... وهى مقالات فيها من الإنشاء الخيالى والكلام المزخرف أكثر مما فيها من التقدير الأدبى أو النقد الموضوعى ، كذلك نقف على مقالات كثيرة عن « مى زيادة » وعشاقها ، وقد جمعها الطناحى فى كتاب « أطياف من حياة مى » صدر فى سلسلة « كتاب الهلال » .

ومن ذلك نستخلص أن هذه الفترة عبرت فى معظمها عن وجهة نظر ثورة يوليو تجاه الداخل والخارج ، فى حين أنها لم تهتم بثورة ١٩١٩ الشعبية بنفس القدر . وقد فتحت المجلة فى تلك الفترة أبوابها لبعض الأدباء الشبان الذين ظهروا بكثرة .

وفى هذه المرحلة رحل من كتاب الهلال زكى مبارك ١٩٥٢ ، أحمد أمين ١٩٥٤ ، محمد حسين هيكل ١٩٥٦ ، سلامة موسى ومنصور فهمى وعبد الرحمن شكرى ١٩٥٨ ، وكامل كيلانى ١٩٥٩ .

● على أمين (١٩٦٢ - ١٩٦٤) :

صارت الهلال فى تلك الفترة مجلة تميل إلى تبسيط المادة الثقافية ، فقد خلع عليها «على أمين» طابع الصحافة المصورة ، ففى العدد الواحد تقع على أكثر من مائة صورة ، تشغل أكثر من أربعين صفحة من أصل ١٨٠ صفحة عدا صفحات كاملة للإعلانات المختلفة ، وكانت بعض موضوعات المجلة تهتم بفئة معينة من أجل جذبها مثل «أخبار الموضة» و«بلاجات القاهرة» و«الفرق الرياضية الأجنبية فى ملاعبنا» .

أما أبواب المجلة فقد تغير معظمها وصارت : «أخبار الغد وبعد الغد» و«عزيزى القارئ» و«أفكارهم وأخبارهم» و«المكتبة الافرنجية» و«المكتبة العربية» و«ضحكات العالم فى شهر» و«شارع النجاح» و«فكرة» ونجد قصة بوليسية مسلسلة مصورة .

ومن أبوابها الجيدة «نقد التليفزيون» الذى يحرره نظمى لوقا ، ليتابع فيه برامج التليفزيون .

وفى باب «دائرة معارف الهلال» نقع على أحاديث تتناول «المساواة» «القيمة الحقيقية» ... أما كتاب المجلة الذين ترددت أسماؤهم فمنهم : على أمين ، وأحمد بهاء الدين ، وأنيس منصور ، وكامل الشناوى ، ومصطفى أمين ، وراشد البراوى ، وناصر الدين النشاشيبى ، والرسام رخا الذى شغل صفحات كثيرة بالكاريكاتير ، إلى جانب العقاد وطه حسين وفكرى أباظة ومحمد عبد الحليم عبد الله وسهير القلماوى .

ويمكن تقويم المجلة – فى فترتنا هذه – بأنها تسابقت صورها مع أفكارها ، وغالب فيها كتاب السياسة أرباب الثقافة . وفى هذه الفترة انتقل إلى رحمة الله عباس محمود العقاد ١٩٦٤ .

• كامل زهيرى (١٩٦٤ - ١٩٦٩) :

فى أبريل عام ١٩٦٤ تولى رئاسة مجلس إدارة دار الهلال أحمد بهاء الدين ، وأسند رئاسة تحرير مجلة الهلال إلى كامل زهيرى .

ويلاحظ أن رئيس التحرير الجديد كان صاحب ثقافة واسعة وخاصة فى الفكر الفرنسى ، ولهذا فتح نافذة على الاتجاهات العالمية ، وكان شديد الاهتمام بالفن التشكيلى وفن الأوبرا والاتجاهات المسرحية والأدبية الجديدة .

ولأن الفترة التى تولى فيها كامل زهيرى رئاسة التحرير كان الفكر السائد فى مصر وفى مناطق متفرقة من العالم هو الفكر الاشتراكى ، فقد أخذت المجلة على عاتقها متابعة ذلك ثقافيا بمقالات بعناوين «مصير الملكية الفردية فى الزراعة» «العلم والزراعة والاشتراكية» «رأى فى الملكية الاجتماعية» «اتجاهات ثورية» «أكثر من طريق إلى الاشتراكية» إلى جانب موسوعة الجيب الاشتراكية ، وربط معظم كتاب المجلة فى هذه الفترة بين الفن والمجتمع والأدب والحياة .

وعندما جاءت إلى القاهرة فرقة صينية وقدمت رقصات شعبية كتبت المجلة عنها مقالة بعنوان «فن عدم الانحياز» وجاء فيها أن الفنون الشعبية هى طوق النجاة لعشاق الفن ، وبحثوا فى الموسيقى عن مضمون اجتماعى وقدمت الهلال ملخصات لمسرحيات مختارة .

وقد فاقت المادة السياسية المادة الثقافية فى كثير من أعداد هلال هذه الفترة ، وعلى سبيل المثال نجد حوالى ١٧ مقالة أساسية فى عدد نوفمبر ١٩٦٤ ، منها تسع فى السياسة ، وخمس فى الأدب ، وواحدة فى العلم ، واثنتان فى الفن .

وأبواب المجلة فى هذه المدة لم تتغير كثيرا عن أبوابها فى المدة السابقة ، وقلت فيها الصور بدرجة ملحوظة ، أما أهم الكتاب فهم : أحمد بهاء الدين ، عبد الملك عودة وصوفى عبد الله ، محمود أمين العالم ، د. محمد أنيس ، صبرى أبو المجد ، ومن كتاب العلوم عبد المحسن صالح . إلى جانب طاهر الطناحى الذى استمر مديرا للتحرير ، ولكن مما يخفف من الثقافة السياسية التى شاعت فى المجلة ، ويعد من حسناتها ، تلك الأعداد الخاصة الزاهرة بالأدب ، الدالة على معرفة المحرر بأقدار رجال الفكر ، فقد صدرت أعداد خاصة عن شوقى والعقاد وطه حسين والحكيم ، وجاءت تعزيزا لعددين آخرين صدرا فى الثلاثينيات عن «المتنبى» و «أبو نواس» . عدا عدد عن الثورة العلمية ، والسينما وغير ذلك .

وكان من أهم الأعداد التى أصدرها «الهلال الماسى» بمناسبة ٧٥ عاما على الهلال . وعلى وجه العموم مثلت الهلال فى هذه الفترة نظرة الدولة للمجتمع ، ووسائلها فى تغييره ، وإذا كانت المادة السياسية – فى المرحلة السالفة – تغالب المادة الثقافية ، فإن الموضوعات السياسية فى هذه الفترة غلبت غيرها من مواد .

وفى هذه المرحلة مات من كتاب الهلال : كامل الشناوى ١٩٦٥ ، عبد الرحمن الرافعى ١٩٦٦ ، طاهر الطناحى ومحمد فريد أبو حديد ١٩٦٧ وعلى أحمد باكثير ١٩٦٩ .

● رجاء النقاش (١٩٦٩ - ١٩٧١) :

اهتمت المجلة فى تلك الفترة بالحياة الأدبية والثقافية ، وحاولت تقديم صورة لما يحدث على كل هذه المستويات فى المجالين المحلى والخارجى ، وبالذات أدب الأرض المحتلة ومن خلال دراسات عن محمود درويش وسميح القاسم ونعيم بسيسو ، فضلا عن الإنتاج الروائى والشعرى الفلسطينى .

وفتحت المجلة صفحاتها لجيل جديد من الأدباء الشبان ، كما لوحظ اهتمامها بالكتاب العرب فى كل أنحاء الوطن .

ومن الكتاب الذين قدمتهم أمل دنقل وعفيفى مطر ومحمد إبراهيم أبو سنة ويوسف الشارونى وغادة السمان ، إلى جانب كتابها القدامى أمثال فتحى رضوان وعلى أدهم وعبد الرحمن صدقى .

وكان من بين أبوابها : الدنيا فى سطور ، حقائق ، باختصار ، فى الهلال من ٧٥ سنة .

• *على الراعى (١٩٧١) :*

قضى د. على الراعى فى الهلال شهورا قليلة ، ومن ثم لا يستطيع المرء أن يحكم له أو عليه ، وقد انعكست اهتماماته المسرحية على المجلة فأصدر جزءا من عدد يوليو ١٩٧١ عن المسرح تناول فيه بريخت ، والممثلة هيلين فيجل ، ومسرح سعد الله ونوس ، وقدم نص مسرحية «دخول الحمام مش زى خروجه» لإبراهيم رمزى ، ووثيقة عن جورج أبيض ، وهى مادة تدعم المجلة فى مجال الأدب والنقد المسرحيين .

• *صالح جودت (١٩٧١ - ١٩٧٦) :*

كان صالح جودت (١٩١٢ - ١٩٧٦) شاعراً غنائيا رومانسى النزعة ، عاشقا للجمال ، ميالا للعروبة والإسلام ، وإلى جانب ذلك كان قاصا وكاتبا مسرحيا ومترجما ودارساً للأدب . وقد انعكس ذلك فى مجلة الهلال عندما تولى أمرها ، فصارت مجلة أدبية تحفل بالشعر العمودى ، والقصص الفنى ، والدراسة الأدبية ، وتردد ذكرى الماضى ، وتسجل أدب العصر ، وتدون سير مهرجانات الشعر ، ومؤتمرات الأدب مثل مؤتمر تونس ، ورأينا كتابها من الذين اشتهروا بالأدب مثل : د. أحمد هيكل . ود. عبد العزيز الدسوقى . د. بدوى طبانه . محمد عبد الغنى حسن . الصيرفى . عبده بدوى . محمد جبريل . إحسان كمال . محمود البدوى ومصطفى الشهابى ... وغيرهم ، ومن العرب الحبيب شيبوب التونسى وعبد المنعم الرفاعى الأردنى . . ونجد فيها مقالات تتناول شعراء التراث مثل أبى فراس الحمدانى ، ابن زيدون ، الحطيئة ، أبى العلاء ، عدا مقالات عن المنفلوطى وحافظ إبراهيم ونجيب محفوظ .

وقد أصدرت الهلال – فى هذه الفترة – أعداداً أدبية خاصة عن الملاحم والأدباء الذين رحلوا فى سن الشباب ، وأدباء وراء القضبان وغيرها ، وفتحت بابا للمعارك الأدبية ، إلى جانب الحوارات التى كانت تجريها المجلة مع الفكرين .

ولأول مرة تصدر الهلال مجلة صغيرة ملحقة بها ، وتنتظم فى الظهور فترة غير قصيرة . اسمها «الزهور» ، وتخصصت فى نشر أدب الشبان مثل حسن توفيق وكمال إسماعيل و د. عبد اللطيف عبد الحليم ، ورءوف وصفى .. وغيرهم .

وتميزت الهلال فى هذه الأثناء بغزارة المادة الدينية ، والأفكار الفلسفية الإسلامية ، وأصدرت فى هذا الاتجاه أعداداً خاصة عن «الأزهر» ١٩٧٢ «فلاسفة الإسلام» ١٩٧٢ ، «جند الله» ٧٣ ، «الشيطان» ٧٤ ، «أعداء الله» ١٩٧٥ ، ونددت بالغزو الفكرى والشيوعية والرأسمالية وكان من كتابها الدينيين الشيخ عبد الحليم محمود وأحمد الشرباصى وسيد نوفل ...

وفى هذه الفترة رحل من كتاب الهلال : عبد الرحمن صدقى – محمود تيمور – طه حسين ١٩٧٣ ، ود. أحمد زكى ١٩٧٥ وصالح جودت ١٩٧٦ ، ووقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

● *حسين مؤنس (١٩٧٧ - ١٩٨١) :*

نمهد لهذه الفترة بأنه بعد وفاة صالح جودت ترأست السيدة أمينة السعيد (رئيسة مجلس إدارة دار الهلال بعد فكرى أباظة) مجلة الهلال . وأصدرت عدة أعداد من بينها عدد مايو ٧٧ الذى أشرف عليه رجاء النقاش ، وضمنه نقاشا طويلا ، ورداً واسعا على كتاب أنور الجندى «طه حسين . حياته وفكره فى ميزان الإسلام» ، كما كشفت المجلة عن قصص لنجيب محفوظ كتبها فى بداية حياته الأدبية ولم تجمع فى مجموعات قصصية . ثم تسلم المجلة د. حسين مؤنس ، والدكتور حسين مؤنس مؤرخ إسلامى كبير وله أندلسيات ، وسير تاريخية عن البطولات العربية والإفرنجية .. وغيرها ، وقد انعكس شئ من ذلك فى الهلال ونذكر على سبيل المثال «الجمال والإبداع الفنى فى الأندلس» .

اقترب د. حسين مؤنس بالهلال من المجلات المصورة فزاد فى مساحة صفحتها طولا وعرضا حتى كادت تبلغ مساحة الصفحة فى المجلات المصورة الأسبوعية ،

وتعزيزا لهذا الاتجاه زودها بالاستطلاعات الملونة ، وجاءت على أغلفة الأعداد صور الحسان الباسمات لتجذب القراء ، وكان من أقسامها فى أحد الأعداد قسم «للإستراتيجية» يتناول مسائل أمنية وسياسية ، إلى جانب باب دعاه «موضوعات عامة» وآخر عن الكاريكاتير و«صور ناس وحكايات» وغير هذا مما تعنى به المجلات الأسبوعية المصورة ، ولزيادة مساحة قرائها انتدب عدداً من موجهى المدارس لإلقاء دروس فيها .

حاول الجمع بين الأصالة والمعاصرة فقدم شيئا من الأدب العربى ، ومن عيون الأدب الغربى إلى جانب باب آخر تحرره «أقلام شابة» . وواصلت المجلة إصدار الأعداد الخاصة عن «الفكر والفكاهة» و «الحب والجمال» وغير ذلك . وواكبت الهلال فى هذه المرحلة رحلة السادات إلى إسرائيل ، فتناولتها بالثناء والإطراء . ومن أهم كتابها فى ذلك الوقت غير حسين مؤنس ، جمال قطب الذى حرر القسم الفنى وعبد الحميد عبد الغنى الذى كتب فى الهلال منذ الثلاثينيات وسعد رضوان الذى ترجم مذكرات الأميرة جويدان ، والجديد أننا نقرأ شعرا للبابا شنودة وسعاد الصباح .

وعلى وجه العموم قلل الجانب الصحفى العام فى المجلة من قيمتها الثقافية ، وإن كان أضفى عليها بهجة وإشراقا ، وأسهبت فى الحديث عن الحب والجمال والفكاهة والاستطلاعات المصورة .

وفى هذه الفترة مات من كتاب الهلال : على أمين ١٩٧٦ ، صبرى السربونى - يوسف السباعى ١٩٧٨ ، إبراهيم المصرى - فكرى أباظة ١٩٧٩ ، على أدهم ١٩٨١ .

• كمال النجمى (١٩٨١ - ١٩٨٤) :

صلة كمال النجمى ، ككاتب بالهلال ، صلة قديمة ترجع إلى عام ١٩٤٧ عندما نشر بعض شعره فيها ، ولكن هذه الصلة كانت متقطعة وتراوحت بين الاقتراب والابتعاد ، وفى الحالتين كان يتابع عن قرب أطوارها بحكم قراءته لها ، وعمله فى دار الهلال (المصور) . وهو من الميالين إلى الفن الغنائى والموسيقى وله فى هذا المجال كتاب كبير فى جزءين «يوميات المغنين والجوارى» عن الغناء القديم ، وكتاب «الغناء المصرى» عن الغناء الحديث ، وهو إلى جانب ذلك عاشق للصوفية .

ولهذا الكلمات صلة بعمله فى مجلة الهلال ، فقد أفادته مراقبته لها ، وانعكست شخصيته فيها إلى حد كبير .

وأول ما نلحظه فى هلال تلك الفترة عودتها إلى حجمها الصغير ، وابتعادها عن الجانب الصحفى الذى ذكرناه فى الفترة السالفة ، واقترابها الشديد من النواحى الثقافية بوجه عام والأدبية على وجه الخصوص ، ولولا عدة مقالات سياسية كان يكتبها عبد الرحمن شاكر وغيره لاعتبرناها مجلة أدبية خالصة فإن هذه القلة لا تؤثر كثيرا على الخط العام للهلال . وقد استحدث النجمى فيها باب «متابعات أدبية» وجمع فيه بين الأدب والسياسة ، وكان هذا الباب قد سبق ظهوره فى مجلة «الثقافة» (عبد العزيز الدسوقى) لملاحقة الأخطاء الواردة فى الكتب والصحف والمجلات . ولكنه فى الهلال جاء على نحو مختلف ، ومن أبوابها الأخرى «تأملات الصفحة الأخيرة» وكان يكتبها كمال النجمى بتوقيع (ك ....) وغالبا ما يتحدث فيه عن الغناء والطرب ، وعمل على تخفيف مادة المجلة وتجديد قلوب القراء بباب «ابتسامات» الذى عرض الطرائف المستملحة .

ومن الموضوعات التى تقع عليها فى تلك الفترة ، ما كتبه محمد صبيح عن نفسه ، ومادبجه شوقى يوسف عن الشاعرة السكندرية منيرة توفيق صاحبة ديوان «أنوار منيرة» .

وإلى جانب ذلك نجد كتابات كثيرة بأقلام د. الطاهر مكى ، ومحمد عمارة ، وجمال الغيطانى والأنبا غرغريوس . وسناء البيسى ، والنظرة الإجمالية أن المجلة عملت فى تلك الفترة على اتساع الأبواب أمام الكتاب ، واتسمت موضوعاتها بالطرافة .

وفى هذه الفترة رحل من كتاب الهلال : صلاح عبد الصبور ١٩٨١ ، زكى طليمات – إميل زيدان ١٩٨٢ ، بدر الدين أبو غازى ١٩٨٣ ، أحمد رامى ١٩٨٤ .

• *مصطفى نبيل (١٩٨٤ -   ) :*

اكتسب مصطفى نبيل خبرة فى المجالين الصحفى والثقافى من عمله فى مجلة «المصور» فى الستينيات ، ومجلة «العربى» الكويتية بعد ذلك ، وأدرك أن المجلة تحقق مكانة عالية إذا تنوعت مادتها ، وتفجرت فيها قضايا فكرية واجتماعية على قدر من الأهمية ، وواكبت الأحداث العالمية والإقليمية دون الاستغراق فيها ، وقدمت المواد الثقافية

التى تدرك أن القارئ فى حاجة لها ، ونبهت القراء إلى موضوعات غائبة عن الأذهان ، وعملت على أن تكون أكثر حضورا ، وجددت أبوابها فترة بعد أخرى ، واستندت إلى كتاب مشاهير أو متخصصين .

وتراوحت مادة المجلة بين أدب وتاريخ واجتماع ودين وعلوم عصرية ، وقليل من الفلسفة . وفى سبيل الحرص على التنويع استعاضت المجلة عن الأعداد الكاملة الخاصة بالأقسام الخاصة ، فنجد بين طياتها أقساما عن «التليفزيون» بمناسبة عيده الفضى ، وعن «الثورة الفرنسية» بمناسبة مرور مائتى عام على قيامها ، وعن دار الكتب المصرية .. وغير ذلك ، فإذا غاب القسم الخاص فإن «دراسة الهلال» – وهى فى الغالب دراسة متعمقة فى موضوع من الموضوعات – تنوب عنه ، ومن دراسات الهلال : «محنة الاقتصاد والاقتصاديين» و«ديون مصر» و«أزمة الجامعة العربية» .

وقد راعت المجلة أن تكون أكثر اقترابا من العصر بل ملاصقة له ، ومطلة على المستقبل مثل مواضيعها : «مابعد الأقمار الصناعية» و «التعليم ومستقبل مصر» و«الكمبيوتر» . وهذا لم ينسها تقديم صور أجتماعية وتاريخية عن الماضى مثل ما كتبه محمد سيد كيلانى عن الترام والسكك الحديدية (ياوابور قل لى) . كما لم يبعدها عن الأوساط الشعبية وعرض لبعض القضايا الاجتماعية مثل أحاديثها عن «المقاهى» و«الرحا» و«قضية المخدرات» .

ومن بين ما اهتمت به المجلة ، البحث عن العمل الأول لكبار الأدباء مثل يوسف إدريس ونجيب محفوظ ويحيى حقى وسعد مكاوى ويوسف جوهر ، وغيرهم . ولم يكن هذا دورها فقط فى مجال «الأعلام المعاصرين» ، فقد وجهت عنايتها بالكتابة عنهم مثل ما ورد فيها عن د. زكى نجيب محمود ، د. على عبدالواحد وافى ، وجمال حمدان .. ثم جاء باب «تكوين» لتعزيز هذا الاتجاه ، وأتاح للمعاصرين الحديث عن أنفسهم ، وسرد العناصر التى عملت على تكوينهم الروحى فى المكان والزمان .

وتميزت المجلة فى هذا الطور بالتأريخ للصحافة الأدبية مثل ما جاء فيها عن «مجلة الشتاء» (كان يصدرها سليم عنحورى عام ١٩٠٦) ومجلة «حمارة منيتى» (لمحمد توفيق) و«أخبار دمياط» التى كان يحررها على العزبى ، كما تميزت هذه الفترة من عمر المجلة بتقديم مادة دراسية عن مجلة الهلال نفسها ومؤسسها جرجى زيدان من خلال

مقالات كثيرة مثل : «نصف قرن مع الهلال» «الهلال وسيناء» «العقاد والهلال» «الهلال وإنشاء الجامعة المصرية» إلى جانب عدد كامل عن «يوم صدر الهلال» .

وأثارت المجلة جدلا واسعا ونقاشا حاميا حرك نفوس الكتاب والقراء . من خلال مقالة كتبها سيد كيلانى عن «العقاد بين الكفر والإيمان» وأخرى للدكتور فؤاد زكريا عن هزيمة ٥ يونيه ، ومن خلال ما أثاره رئيس التحرير من أحاديث عن الدولة العثمانية ، فقد انهالت الردود والمقالات فى هذه الموضوعات بما يعنى أن القراء والكتاب مؤهلون للعطاء والحركة إذا وجدوا من يحركهم .

أما كتابها ففى الغالب من الأسماء الشهيرة أو من الكتاب المتخصصين ، ومنهم : د. شكرى عياد . د. أحمد عبد الرحيم مصطفى . يحيى حقى . د. عاطف العراقى . د. سيد عويس . د. سعيد إسماعيل على . د. محمد رجب البيومى ، د. محمود على مراد . إلى جانب اسماء أخرى على قدر من العلم والثقافة مثل سليمان فياض د. جلال أحمد أمين ، د. مصطفى عبد الغنى و د. على شلش .. وغيرهم .

وفى هذه الفترة رحل من كتاب الهلال محمد عبد الغنى حسن ١٩٨٥ ، عبدالله عنان ١٩٨٦ ، ميخائيل نعيمه ١٩٨٨ ، ود. سيد عويس ٨٩ وصبرى أبو المجد ١٩٩٠ ، ومن الرسامين محمد عبد المنعم رخا ١٩٨٩ .

نجوم الهلال

حفلت حياتنا الثقافية بحشد كبير من الأسماء اللامعة التى كان لها دور بارز فى إرساء تقاليد المناخ الفكرى وتفجير طاقات الابداع فى كل مكان .

وليست مصادفة أن كان من لمع فى حياتنا الثقافية والفكرية كانت له صلة بالهلال ولايسمح المجال بحصر واستقصاء كل أسماء المشاهير من المبدعين والكتاب الذين ساهموا فى جعل هذا الصرح الثقافى راية خفاقة على مدى قرن من الزمن ، وإن كان هذا لايمنع من الوقوف عند بعض الأسماء التى لعبت دورا بارزا فى مسيرة الهلال .

عباس محمود العقاد

إذا كانت ولادة عباس العقاد الصحفية تمت فى جريدة الدستور عام ١٩٠٧ لفريد وجدى ، فإن ولادة كتبه الفكرية والأدبية كانت فى الهلال منذ أول الشباب ، فقد أخذت الهلال بيده ، وطبعت أول كتبه «خلاصة اليومية» عام ١٩١١ .

وتعد موضوعات «خلاصة اليومية» بذور أفكار العقاد التى نمت واثمرت فيما بعد ، فقد تحدث عن شعر العواطف ومدى تأثيره فى النفوس ، وانتقد شعر شوقى ، وانتقص من القصص ، واهتم بفلسفة الجمال وفرق بين الجميل الذى يحبب الناس فى الحياة والجليل الذى يحرك الوحشة فى النفوس ، وكتب عن التعصب الدينى ، وعن الحرية الشخصية وعلاقتها بتقدم الحركة الاقتصادية ، وبحث فى اللغة ، وغير ذلك من القضايا التى كانت موضع عنايته فيما بعد .

وفى عام ١٩١٢ طبع العقاد كتابه الثانى فى دار الهلال : «الانسان الثانى» تناول فيه المرأة .

وكان أول مقال للعقاد فى مجلة الهلال (عام ١٩٢٤) عن «المرأة الشرقية» وآخر مقال نشرته الهلال فى حياة العقاد عن المرأة كذلك فى عدد (مارس ١٩٦٤) إذ جاء تحت

عنوان «أربع نساء كاتبات» وبين المقال الأول والأخير حوالى أربعين سنة نشر العقاد خلالها ما يقرب من ٢٣٠ مقالة وأربع قصائد ، وقد جُمع عدد من هذه المقالات فى بعض كتب العقاد « مراجعات فى الآداب والفنون » و«ساعات بين الكتب» و«المرأة ذلك اللغز» و«خواطر فى الفن والقصة» و«عيد القلم» .. وغير ذلك .

وقد كان العقاد يقترب أو يبتعد عن الهلال طبقا لظروفه ، فلم يكن منتظما فى الكتابة للمجلة ، وإنما كان ينقطع فى بعض الأحيان بالسنوات لانشغاله بالكتابات السياسية فى الجرائد العامة ، وبلغ مجموع ما كتبه من عام ١٩٢٤ وحتى أبريل ١٩٣٣ سبع مقالات فقط . ولكن مقالته فى الهلال أخذت تظهر بوضوح منذ خروجه على الوفد عام ١٩٣٥ .

نشر العقاد حوالى ثلاثين مقالة فى الهلال عن سيرته الذاتية ، وجوانبه الشخصية ، عرج فيها على أسرته وطفولته ، وأساتذته ، وتطرق إلى فلسفته فى الحب والجمال والحياة ، والكتب التى أفادته . وقد جمعت الهلال معظم المقالات التى تشكل ترجمته الشخصية وأصدرتها فى كتاب الهلال تحت عنوان «أنا» فكان أول كتاب يحدد ملامح العقاد بقلمه ، وفى أواخر عام ١٩٦٤ جمعت مجموعة أخرى من مقالات العقاد تصور اتجاهات كتاباته ونشرتها فى كتاب الهلال تحت عنوان «حياة قلم» . وفى هذا المجال نذكر أن عشرات من كتب العقاد صدرت للمرة الأولى أو أعيد طبعها فى سلسلة «كتاب الهلال» أو فى طبعات خاصة من بينها العبقريات ، و «سعد زغلول» و «الله» و «الفلسفة القرآنية» و«مطلع النور» وغير ذلك .

ومقالات العقاد التى حررها فى الهلال بين سنتى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ طبعت بطابع الفكر السياسى . وكان من الطبيعى أن تأتى مقالاته فى تلك الفترة حاملة انطباعاته عن الحرب العالمية الثانية ، مثل «لو انتصرت المانيا لخرب العالم» ١٩٣٩ ، و «أغراض السياسة الروسية فى الحرب» ١٩٤٠ و«هل يمكن إنشاء حكومة بعد الحرب ؟» ١٩٤٤ ، وتدل هذه المقالات على تتبع العقاد لسير الحرب وكشف سياسات الدول المختلفة من ورائها ، وتأثير هذا فى الشرق العربى .

وعلى أثر قيام ثورة ١٩٥٢ هاجم العقاد النظام الملكى ورأى أن الأديان الكتابية نظرت إلى الملكية نظرة الريب والكراهية ، وذهب إلى أن اختيار النظام الملكى الوراثى فى العصر الحديث كان مسألة ضرورة أو مسألة شكل وصورة ، وقال إن الملك فى لغات أهل الشمال معناه «الجمهور» أو «القومى» وكان ينتخب وليس له حق توريث العرش ، وفى

مقال عن «الجيش وقائده» (١٩٥٢) انتقد سياسة الملك فاروق ، ولكنه بعد ذلك أمسك عن الحديث فى الثورة إلا نادراً .

ولم تكن مقالات العقاد فى الهلال كلها من ذلك النوع الذى لاتطالعه إلا بعد التسلح بالعزيمة ، وإنما كثير منها خفيف الظل يلذ قراءته مثل (ياليل ياعين) و (صاحب الجلالة المال) و (كذبة أبريل) و (هل يباح الحشيش ؟!) و (دفاع عن الكسل) وغيرها من المقالات التى تعلم وتثقف ، كما ترفه وتفكه .

هذا غير مقالاته عن الأدب العربى والآداب العالمية ، والمرأة والطبيعة والكتب والناس .

وإذا كنا قد عرضنا لمقالات العقاد فى الهلال ، فإنه يجب الإشارة إلى مقالات كتبت فى الهلال احتفاء به ، فقد قرظت كتبه ، وفتحت صفحاتها لأمثال المازنى وإبراهيم بيومى مدكور وعبد الرحمن صدقى وعلى أدهم والطناحى ود. عبدالفتاح الديدى للكتابة عنه ، وكانت الهلال تتضمن بين الحين والآخر قسما خاصا عن العقاد فى حياته وبعد وفاته تعرض فيه لاتجاهاته الفكرية ، ففى عدد سبتمبر ١٩٥٨ احتفلت الهلال ببلوغ العقاد السبعين ، وفى عام ١٩٦٧ أصدرت عدداً كاملا عنه ، وفى مارس ١٩٨٧ خصصت قسما فيها لدراسة فكره .

ومقالة العقاد فى الهلال لاتختلف كثيرا عن مقالاته الثقافية فى الدوريات الأخرى، فهى تتناول فكرة أو ظاهرة أو خاطرة أو ملاحظة أو موقفا . وتمتاز بالتعبير المصقول الحر ولاتخلو من تحسين وتجميل ، ولكنه على وجه العموم يصوغ عبارته بأسلوب يفهمُه قراء المجلات الثقافية على مختلف أذواقهم دون الترخص فى اللغة ، ومقالاته فى الهلال متوسطة بين الطول والقصر ، وتجمع بين الذاتية والموضوعية ، وتجنح إلى التركيز ولاتعدم التفصيل عند اللزوم ، ومن خصائصها استيفاء الموضوع إذ تتدفق فيها المعارف المستقاة من مصادر موثوق بصحتها . مع براعة فى توظيفها والقدرة على تطويرها وتوضيحها وتحليلها والاستنباط منها تحت رقابة عقلية صارمة .

طه حسين

عالج د. طه حسين الكتابة الأدبية منذ عام ١٩٠٩ فى صحيفة «مصر الفتاة» الناطقة بلسان الحزب الوطنى ، وبعد عودته من أوربا أخذ ينشر مقالات تعرف الشرقيين بالفكر الأوربى ، القديم والحديث ، وكانت مجلة الهلال أحد هذه المنابر التى ارتقاها

وراح يتحدث من فوقها ، فأخذ ينشر من خلالها مقالات منذ فبراير ١٩٢١ يعرف فيها بمذهب أرسطو فى السياسة والاجتماع ، ويحدث المصريين عن الشعر التمثيلى عند اليونان ، ويسطر لهم «أرقى أنواع التربية فى نظر جوستاف لوبون» وبعض هذه الموضوعات لم يكن جديداً تماما على الحياة المصرية فى العشرينيات ، إلا أن كتابتها بأسلوب سهل ميسور مكنت القارىء من استيعابها والإلمام بأهم ما ورد فيها من آراء .

وعلى درب نقل الوانٍ من الأدب الأوربى إلى الشرق راح يلخص ويترجم مجموعة قصص من الأدب الفرنسى عن هرفيو وليوبولد ورنان وجاك دوفال . وغيرهم ، وفى هذه الفصول يطلع القارىء العربى على حياة الجد واللهو فى أوروبا ، ويضع تحت نظره ألوانا من النفوس ، منها ما يتمسك بالقيم ، ومنها ما يستبيحها .

على أن مقالات طه حسين لم تكن موضوعية خالصة تتحدث عن العلم والحكمة والأدب ، وإنما جنح قدر منها إلى الأدب الذاتى فروى شيئا من سيرته من خلال فصول «الأيام» التى كان ينشرها فى الهلال منذ أواخر عام ١٩٢٦ مصورا فيها الصعاب التي لاقاها ، مودعا فى ثناياها صورا كثيرة عن المجتمع المصرى فى مطلع القرن العشرين. وفى هذا السياق الذاتى كتب مقالا عن زوجته (١٩٣٤) استعاد فيه ذكريات جميلة يرجع تاريخها إلى عام ١٩١٦ ، ويروى كيف حقق الدرجة العلمية فى السربون واقترن بها .

وله عدة مقالات أدبية عن بعض الشعراء المصريين من أمثال إسماعيل صبرى باشا الذى كان يعده من الشعراء الممتازين الذين يمثلون الطبقة الأولى فى الشعر الحديث ، وأخرى عن أحمد شوقى الذى تراوح رأيه فيه بين بين ، وثالثة عن حفنى ناصف أظهر فيها وفاءه وولاءه له .

وبعض مقالاته فى الهلال تظهر همومه الأدبية ، ففى مقال له بعنوان «جناية العصر الحديث على الأدب» (١٩٥٣) (١) يصور تعويق الحياة الحديثة للأديب عن آداء رسالته ، فالأزمات العصرية ، والحروب المتكررة تعكر صفو الحياة ، وتصيب الناس بالاضطراب والخلل ، ويشخص مشكلة الأديب المعاصر تشخيصا دقيقا واقعيا فيوضح أنه لكى يكون الأديب دقيق الفكر ، يلزمه التفرغ للمطالعة والتجويد والتحسين ، فإذا نفض يده من العمل فإن الأدب لا يسـد حاجـاته ، وإذا انشغل بعمل لاينتـج أدباً «يخلب السمع ويرضى القلب» ويتساءل كيف يفرغ للأدب ويكسب القوت فى وقت واحد . ثم يبين

(١) أصلها محاضرة ألقاها فى نادى الأتحاد الثقافى . هلال يناير ١٩٥٣ .

أن الأديب إذا كتب أدبا صحيحا رفيع المستوى لم تقرأه إلا فئة مثقفة لاتغنى من جوع ، وإن هبط إلى مستوى العامة لتتابعه الجموع يكون قد أخل برسالته . وعلى هذا يشخص المشكلة ويتركها بلاحل .

وعندما حضر مؤتمر الأدباء العرب فى دمشق عام ١٩٥٧ ألقى محاضرة طويلة عن عالمية الأدب العربى نشرت الهلال ملخصا لها . وقد نفى طه حسين أن يكون الأدب العالمى هو الأدب الذى يقرأه الناس فى أماكن عديدة نتيجة النفوذ السياسى للدولة . ويرى أن الأدب يصير عالميا إذا فرض قوته وسلطانه على النفوس ، وانتشر فى أقطار كثيرة بقوته الطبيعية لا من قوة تأتيه من البأس السياسى أو من القدرة الأقتصادية . ويخلص إلى القول بأن أدبنا العربى القديم كان أدبا عالميا «لم يكد يتجاوز جزيرة العرب منذ العصور القديمة حتى ظهور الإسلام ، ولم يكد يتجاوز هذه الجزيرة حتى تأثرت به أمم أخرى غير الأمة العربية» [٢] وهذا الكلام على صحته وأهميته يناقض كلاما ساقه فى كتابه «فى الشعر الجاهلى» إذ انكر الشعر العربى قبل الإسلام ، وقال بأن أكثره منحول ، ولا يمثل الحياة العربية الجاهلية ولا طقوسها .

وعندما طلبت منه مجلة الهلال أن يتحدث عن «الروح الجامعى كيف نشيعه فى نفوس الطلاب» أجابهم (١٩٣٨) يقول : «الروح الجامعى هو التعاون على طلب الحق ، ولن تشيعه بين الطلاب إلا إذا ضربت لهم من نفسك أحسن الأمثال ، وأصدقها فى حب الحق والسعى إليه ، ثم يختلف الروح الجامعى بعد ذلك باختلاف البيئات والظروف ، ولكن جوهره الذى لايختلف ولايتباين مهما تختلف البيئات والظروف هو حب الحق والإذعان لسلطان هذ الحب» [٣] .

على هذا النحو نقرأ مقالات الدكتور طه حسين التى تجاوزت سبعين مقالة فى الهلال تعرض فيها لموضوعات كثيرة مثل : «مستقبل الديمقراطية» و «علاقة الأدب بالقانون» و «الخصومة بين القديم والجديد» و «توحيد الثقافة بين الأقطار العربية هو أهم الوسائل لتقدم نهضة الشرق» .

وقد أولت مجلة الهلال أدب طه حسين رعاية وعناية ، فأتاحت الفرص لدراسته ، وتقديره ، فكتب عنه محمود تيمور (١٩٤٧) والطناحى (١٩٥١) وصوره فى صورة كروان

---

(٢) هلال مارس ١٩٥٧ .

(٣) هلال فبراير ١٩٣٨ .

ونوهت الهلال بشعره الذى نشره فى أول الشباب من خلال مقالة كتبها جمال الدين الرمادى (١٩٥١) وخصصت له عدداً بأكمله عام ١٩٦٦ ، وعدداً من مجلة الزهور (ملحق مجلة الهلال عام ١٩٧٣) بعيد وفاته ، وغيرها .

أحمد أمين

كان أول مقال نشره أحمد أمين فى الهلال عام ١٩٣٣ عما يجب توافره من صفات فى المؤلفات الناجحة، وتوالت مقالاته إلى عام ١٩٣٩ ، وفى هذا العام صدرت مجلة «الثقافة» فانشغل بها عن الهلال حتى عام ١٩٤٣ باستثناء مقال أو اثنين ، ثم عاد إلى الهلال شيئا فشيئا إلى أن بلغت مقالاته فيها تسعين مقالة تناولت الاجتماع والأدب والسيرة الذاتية والشخصيات الأدبية .

وأكثر هذه المقالات فى الاجتماع تعرض فيها لوسائل الهدم فى المجتمع ، والأزمات التى تمر بها الأسرة والمشاكل التى يعانى منها الشباب ، وماذا يغضب المرأة ، وأكاذيب المدنية ، وأثر الأخلاق السياسية فى حياة الشعوب ، ومظاهر الرقى فى الأمم إلى آخره .

وهذا يبين مدى اهتمامه بالحياة العامة للأمة، ومشاكلها وأوضاعها المختلفة ، وفوق هذا نشعر بذلك الهم الذى يقلقه ويثقله من جراء تغلغل هذه المشكلات فى حياة الشعب وطبقاته . ولكنه فى معظم هذه الموضوعات يشخص الداء ولا يقدم الدواء ، نعم هو يبدى سخطه على الانحرافات ، ولكن هذا السخط يمثل النفور ولا يعرض العلاج . خذ مثلا مقاله «المغفلون» (١٩٤٧) . يتحدث فيه عن خداع الناس بعضهم لبعض ، وغفلتهم عما يدبر لهم فى الخفاء والعلن من قبل أناس مثلهم ، ويضرب أمثلة لذلك بالمرأة التى تخدع الرجل وتزين له الحياة الزوجية حتى تتزوجه ، وبعد الزواج يصير البيت جحيما ، وكيف يغفل الرجل عن هذا الخداع ، والعكس بالعكس ، ويمضى على هذه الوتيرة فى المعاملات المالية والسياسية وغيرهما ، ويحصر المشكلة فى الشخص الخادع والشخص الغافل . إنها مشكلة حقا ، ولكن ما العلاج ، لا يقول أحمد أمين شيئا سوى أن الناس لا يتعظون . فهو هنا يرقب ويرصد ويشخص ولا يعالج . وربما كانت إثارة المواضيع فى حد ذاتها لونا من الوقاية ، والوقاية – كما يقولون – خير من العلاج .

ولأحمد أمين طائفة أخرى من المقالات الذاتية مثل «استفد من تجاربى» ١٩٤٧ و«أمى» ١٩٥١ و«اعترافاتى» ١٩٥١ و«٦ أيام فى حياتى» ١٩٥٣ و«نظرتى إلى الناس» ١٩٥٤.. إلى آخره ، ومن هذه المقالات واحدة بعنوان «قصة من حياتى» ١٩٤٨ يروى فيها كيف أدرك ضرورة تعلم الإنجليزية فالتحق بمدرسة «برليتز» ثم تعرف على «مس بور» الإنجليزية فى مصر وكانت تجيد عدة لغات وفوق هذا مصورة ومحررة فى الجرائد ، وعلى يد هذه السيدة أتقن الإنجليزية ، وتربى ذوقه الجمالى ، وتعلم دقة الملاحظة وغير ذلك . وقد تكرر تعلم بعض أدبائنا من سيدات حتى كاد يصير ظاهرة ، فأحمد أمين يتعلم الإنجليزية على «مس بور» ومارى هاسكل تراجع أعمال جبران الإنجليزية ، وأوجستا دامنسكى تعلم لطفى جمعة الإيطالية والألمانية وتراجع معه ترجمته لكتاب «الأمير» لمكيافللى .

وكان لأحمد أمين طائفة من المقالات الأدبية ترجم فى بعضها لأعلام مثل «ابن هانى» ١٩٣٦ و«أبو العلاء» ١٩٣٨ و«عبده الحامولى وألمظ» ١٩٤٧ و«ابن دانيال ومسرحياته» ١٩٥٢ و«الجاحظ» ١٩٥٢ و«الشافعى الأديب» ١٩٥٣ ، ومن هذه التراجم واحدة عن «عبد الله فكرى» ١٩٤٧ تناول فيها سيرته وعلاقته بالخديو توفيق وبالثورة العرابية ، وعرض لإصلاحاته فى التعليم ، وجوانب شخصيته الإنسانية ، وصلاته الاخوانية ، أى أنه أحاط بمعظم جوانبه فى مقالة صغيرة ، واستطاع أن ينقل إحساسه بصاحبه إلى المتلقى فترانا نعجب بعبد الله فكرى ، وهذا من أهم غايات كتابة التراجم ، فبراعة كاتب الترجمة تتحقق عندما يجعلك تثق فيه ، وتصدق ما يكتبه لك وبالتالى يؤثر فيك ، وينقل إحساسه إليك .

ولعل أحمد أمين من أوائل الذين تحدثوا عن فن كتابة المقالة عام ١٩٣٧ عندما كتب عن «كتابة المقالات» .

ومقالات أحمد أمين فى الهلال تمثل عقله أكثر مما تمثل وجدانه ، فهو يسعى إلى المعنى ، وينقب عن الفكرة ، ويقيد المعلومة أو الملاحظة ، ويتخير اللفظ المعبر عما يريد دون زخرفة أو تجميل ، ومن ثم فإن مقالاته لا تستهدف الامتاع الحسى والترويح النفسى عن طريق الاحتفال بالطرائف والنوادر .

وهذه المقالات تشكل جزءاً من نتاج أحمد أمين ، وقد جمعها أو جمع معظمها فى كتابه «فيض الخاطر» .

ومن ناحية أخرى عرفت الهلال قراءها ببعض كتبه مثل فجر الإسلام (١٩٢٩) وضحى الإسلام (١٩٣٣) و ظهر الإسلام (١٩٤٥) وحياتى (١٩٥٠) ، كما كتب عنه الطناحى (١٩٥١) وصوره فى صورة مالك الحزين ، وهناك كتابات أخرى فى الهلال دبجها عبد الحميد يونس ١٩٦٨ ، وكمال النجمى ١٩٧١ ، وعلاء الدين وحيد ١٩٨٠ كما صدر عنه كتاب فى سلسلة كتاب الهلال عام ١٩٨٥ بقلم ابنه حسين أحمد أمين .

محمد حسين هيكل

كانت مقالات محمد حسين هيكل التى بدأت فى الهلال عام ١٩٢٥ أدبية فنية فى المقام الأول ، وإذا نظرنا فيها ألفينا كثيرا منها عبارة عن إجابات عن أسئلة الهلال التى كانت توجهها بين الحين والحين للأدباء لاستنفار قرائحهم الأدبية ، مثل «هل بين أدبائنا من يستحق جائزة نوبل ؟» ١٩٣٢ و«هل فى مصر نهضة أدبية ؟» ١٩٣٢ و «ماذا يجب توافره فى المؤلفات الناجحة ؟» ١٩٣٣ إلى آخره . فهذه الأسئلة وغيرها أجاب عنها هيكل كما أجاب عنها آخرون ، ومن ثم تصبح موضع موازنة .

وعدا ذلك له مقالات فى الحضارة القديمة والتمدن الحديث تعكس نظرته إلى الثقافة الأوربية وأفكاره عن المجتمع الشرقى مثل «ماوراء المدنية الحديثة» ١٩٣٤ و «بعث الفن المصرى القديم» ١٩٣٤ و«حضارة البر والرحمة» ١٩٣٦ .

والغالب على تلك المقالات هو طابع الثقافة الأدبية وما توحى به ، فهو يتحدث عن الإحياء العربى للتراث القديم ، ويرى أن طبع التراث العربى له فائدة محدودة تقف عند طبقة معينة من المثقفين ، ويرى أن تلخيص هذه الكتب وإعادة نشرها بلغة هذا العصر وأسلوبه أنفع ، ووجه دعوته إلى المجتمع العربى كله للعمل على تنفيذ هذه الفكرة . (٤) ولا أظن أحدا يقر هيكل على آرائه ، فتلخيص التراث القديم وإعادة صياغته بأسلوب حديث يعنى القضاء المبرم عليه بعد فترة وجيزة ، إذ أن الناس سينصرفون إلى الطبعات الجديدة ويهملون القديم ، وكان عليه أن يدعو إلى تحقيق التراث تحقيقا علميا ، وتيسيره بالشرح الوافى لتعم الفائدة ، والتوسع فى استخراج خلاصات منه فى شكل دراسات .

(٤) الهلال مايو ١٩٣٥ .

وعندما احتفل بمرور ألف عام على وفاة المتنبى ، وأصدرت الهلال عدداً خاصا بهذه المناسبة فى أغسطس ١٩٣٥ ، كتب هيكل مقالا عن سر هذا الاحتفال ، ورأى أن المتنبى الذى صمدت عبقريته ألف سنة تباعا جدير بالاحتفال والتخليد ، لأن شعره يجول بخواطر العرب ويعبر عنها لأنه يشتمل على معانى الحرية التى يتشوق إليها أبناء العرب وقت الاحتلال . وقد حول هيكل الموضوع الأدبى إلى موضوع شبه سياسى يتغنى فيه بالحرية ويطلب من خلاله الاستقلال والعزة ، بل يرى أن الاحتفال بالمتنبى في عدة أقطار عربية يعنى وجود وحدة ثقافية بينها يمكن أن تؤدى إلى وحدة سياسية فى المستقبل . وتتابعت خطواته فى هذا الاتجاه وذهب إلى أن هذا الاحتفال يرد الأمة العربية إلى مجدها الأدبى فى وقت اتجهت فيه الانظار إلى الغرب وتقليده ، وهكذا أودع مقاله الأدبى أفكاره السياسية ، وخواطره الوطنية والقومية .

وتتوالى مقالات هيكل فى الهلال ، ولم يفته أن يسجل رأيه فى القصة ، وهو من كتابها المتقدمين ، وأظهر أن القصة تدل على فكرة وتتصل بمثل أعلى فى نفس الكاتب ، ورأى أن القصة الحديثة لابد أن يتمثل فيها هذان العنصران مهما تهافتت أو سمت ، وراح يقول إن القصة تستقل بنفسها «وتستمد كل مقومات حياتها من البيئة المحيطة بالكاتب ومن القومية والوراثة التى تخضع الكاتب لأثرهما» (٥) .

وأقواله تلك فى القصة تذكرنا بمذهب الناقد الفرنسى «تين» فى النقد والفن الذى يربط فيه بين العمل الأدبى والعصر والبيئة والميول الموروثة . فأقوال هيكل تعكس ثقافته الفرنسية .

ويمضي هيكل فى مقالاته فيفرق بين الأدب وتاريخ الأدب ونقده ، فالفن ذاتى والنقد موضوعى ، ويتحدث عن الحرية ومدلولها الإنسانى . ويبحث عن سر الحياة ، فيجد أن سرها وسعادتها فى المحبة ، ويرى أن السياسة تنهض بأخلاق الأمم القوية ، وفى عام ١٩٣٥ تنشب بينه وبين طه حسين معركة على صفحات الهلال حول علاقة الأدب بالقانون ، ومن بين ما اختلفا عليه : هل يقال صلة الأدب بالقانون كما يرى هيكل أو صلة الأدب بالفقه كما يذهب إلى ذلك طه حسين .

(٥) الهلال أغسطس ١٩٤٨ .

سلامة موسى

حرر سلامة موسى فى الهلال منذ عام ١٩١٠ وتولى رئاسة تحريرها بعد ذلك فترة من الزمن فى العشرينيات إلى أن غادرها عام ١٩٢٩ بعد خلافه مع أصحاب الدار، وخلف لنا أكثر من ثمانين مقالة ، ومن علائم تفكيره : الاشتراكية ، وحب الغرب ، وتمجيد الفرعونية ، والتهجم على الإسلام واللغة العربية وأدابها ، وانتقاد الأدباء انتقادا فاحشا .

وقد وجهت إليه الهلال سؤالا عن نهضة الأقطار العربية فرأى لكى تنهض «إيجاد نظام لزواج مدنى يعاقب فيه من يتزوج أكثر من امرأة واحدة» وإجازة « زواج الأفراد ولو اختلفوا دينيا » ورأى أن « علة الأقطار العربية ورأس بلواها أننا مازلنا نعتقد أن هناك مدنية غير المدنية الأوربية .. فيجب أن ننزع نحو أوربا ، ونفتح أبوابنا على مصراعيها للحضارة الأوربية .. وليس هناك حد يجب أن نقف عنده فى اقتباسنا من الحضارة الأوربية .. والحقيقة أن فى العالم العربى الأن صراعا بين المبادىء الآسيوية التى ينصرها ويذود عنها رجال الدين ، والمبادىء الأوربية التى يدين بها ويعمل فى نشرها طبقة صغيرة عدداً ولكنها كبيرة حرمة .. باعتبار أن فى يدها مقاليد الأحكام ، فهذه الطبقة تستطيع أن تحضر العالم العربى لطفرة بسن القوانين ، كأن تعاقب مثلا المرأة المتحجبة» ورأى أن يمنع كتاب الصحف وأصحاب المطابع الكتاب الرجعيين «ذوى الثقافة الآسيوية من نشر أرائهم فى صحفهم وطبعها للجمهور» (٦) .

فها هو يرغب فى تغيير نظام الزواج الإسلامى ، ويدعو إلى الحجر على الفكر الإسلامى ، ويستخدم تعبير «المبادئ الآسيوية» كناية عن الإسلام ، ويسمى الكتاب الإسلاميين بأنهم رجعيون ، ويرغب فى التغيير بطريق الطفرة والثورة والعنف ، ولا يترك الخيار للمرأة المسلمة بين السفور والحجاب ، وإنما يأمرها أمرا شديد اللهجة بالسفور ، فإذا لم تستجب تطبق عليها العقوبة . أين الحرية والديمقراطية والصواب فى هذا الكلام ؟!! هل هذه طريقة صحيحة فى الحوار ؟!

وفى هذا الاتجاه كتب مقاله «الدين والعلم» ١٩٢٧ و«الدين والتطور وحرية الفكر» و«إلى أيهما نحن أقرب الشرق أم الغرب ؟» ، وأهم ما يراه سلامة موسى أن الإسلام هو المعوق لنهضة الشرق .

---

(٦) الهلال نوفمبر ١٩٢٢ .

وأخذ يهاجم الأدب العربى القديم على صفحات الهلال ويطلق عليه «أدب الفقاقيع»[٧] ويبين أن هناك خصلتين فى الأدب العربى هما : حب القديم وحب الصنعة[٨] كأنه ليس فى الأدب العربى غير الصنعة ، وكأن الناس لا يحبون فى الأدب إلا الصنعة . أترى كان المستشرقون غافلين عن هذا ؟ ولكى ينال من الأدب العربى راح يرجح العامية على الفصحى ويآزر دعوة ولكوكسى الإنجليزى الذى دعا إلى العامية ونبذ الفصحى[٩] . وهذا الذى نشره فى الهلال له صلة بآرائه السابقة واللاحقة فقد كان يرى «إن أصغر مستشرق عند الفرنسيين يعرف العربية أحسن من أكبر أديب عندنا»[١٠] ودعا إلى اتخاذ الحروف اللاتينية فى الكتابة العربية .

ولسلامة موسى عدة مقالات فى الهلال بعنوان «صورة موجزة لأدباء مصر» تناول فيها المنفلوطى وقال عنه «ليس له إلا حلاوة الأسلوب التى خدعتنا عن تقدير المعنى المنطوى فى ألفاظه» ، وأخرى عن مصطفى صادق الرافعى الذى قال عنه «يجيد الصنعة ولا يعنى بالفن» وغير هذا من النقد الذى يعد مهذبا إذا ماقورن بماكتبه فى مجلة المستقبل التى وصف فيها حفنى ناصف بأنه «مغفل» وحمزة فتح الله بأنه «مجذوب» وأحمد زكى شيخ العروبة بأنه «بلاف» .

وأخذ فى الهلال يروج للثقافة الفرعونية وبعثها مثل مقالاته «الثقافة البدارية» نسبة إلى مدينة البدارى - أسيوط التى نشأت فيها حضارة مصرية قديمة جدا ، و«ملوك العالم من سلالة الفراعنة» وفاته أن الفراعنة من أصل عربى أو أصل أغلبه عربى كما قال كثير من علماء المصريات .

ولسلامة موسى عدا ذلك مقالات تدعو إلى الاشتراكية وأخرى نفسية وعلمية ، وقد جمعت بعض مقالاته فى الهلال فى كتب مثل «اليوم والغد» و«مختارات سلامة موسى» ، وكان سلامة موسى يؤلف كتبا وتقدمها الهلال لمشتركيها مثل : «أشهر قصص الحب التاريخية» و «العقل الباطن» و «حرية الفكر وأبطالها فى التاريخ» و «أشهر الخطب ومشاهير الخطباء» . وقد قدرته الهلال بالرغم من كل ذلك وطبعت عنه كتابا بعنوان «سلامة موسى المفكر والإنسان» لحمود الشرقاوى عام ١٩٦٨ فى سلسلة «كتاب الهلال » .

---

(٧) الهلال أبريل ١٩٢٦ .

(٨) الهلال نوفمبر ١٩٢٥ .

(٩) الهلال يوليه ١٩٢٦ .

(١٠) سلامة موسى المفكر والإنسان لمحمود الشرقاوى .

إبراهيم عبد القادر المازنى

نشر إبراهيم عبد القادر المازنى نحو ثلاثين مقالة فى الهلال ، وكان اتصاله الأول بها فى أول عام ١٩٢٧ عندما ذكر فى مقالة أسماء الكتب التى أفادته ، ومنذ هذا التاريخ وهو يكتب فى مجلات دار الهلال بغير انتظام . ففى مجلة «كل شئ» يتحدث عن شوقى وما يستحسنه منه ، وعن حافظ إبراهيم ، وعن فوائد المال ومضاره ، وينتقد قواعد التعليم ويهاجم السياسة البريطانية (١١) كما أن «كل شئ» كانت تحاوره وتوجه إليه الأسئلة مثل : ماذا أعددتم للموسم الأدبى القادم ؟ (١٩٣٤) كما دعته إلى ندوة عن سعد زغلول (١٩٣٦) . وعندما كانت مجلة «المصور» توجه اسئلتها إلى الكتاب مثل : هل أخلاقنا فى تقدم ؟ أجابها بما عن له (١٩٤٣) كما نشرت له عام ١٩٥٦ مقالات بعد وفاته لم يسبق نشرها . أما فى الهلال فقد نشر عدة قصص قصيرة مثل «رجل عادى» «زوجها الواحد» «الفرصة الضائعة» «ولدان» «ليلة هادئة» .

ومن بين هذه القصص قصة «ماء . ماء» التى نشرها عام ١٩٣٠ . وهى قصة اجتماعية تظهر خلافات فى وجهات النظر بين زوجين ، فالزوج يميل إلى الأسلوب الأوربى فى تنظيم البيت ، والزوجة لا تطيق ذلك ، ويتصاعد الخلاف بينهما إلى الفراق ، فتقيم (فريدة) الزوجة فى بيوت أقاربها بالاتفاق مع زوجها (صابر) وهو يتردد عليها كل عدة أيام ، وعندما كانا يلتقيان تنشأ بينهما مودة وعتاب ، وأحيانا خلاف ، ولكن الزوجة فى نهاية المطاف تدرك قيمة الزوج وتسارع إلى إرضائه وتعود إليه .

والقصة بهذا الشكل غريبة على المجتمع المصرى لأن الزوج لا يزور زوجه عند أقاربها بانتظام وهما فى حالة نفور وضيق ، فإما فراق مستديم ، وإما خلاف يعقبه صلح . ولكن القصة تتسم بالتشويق ، والحوار السريع ، وقوة التعبير عن مختلف المواقف .

وفى بعض هذا القصص الذى أشرنا إليه يدافع عن الأزواج . ومن الطريف أن السيدة أمينة السعيد كتبت مقالة تدافع فيها عن الزوجات (١٢) فرد عليها المازنى مدافعا

---

(١١) راجع «كل شئ» فى عامى ٣٢-١٩٣٣ .

(١٢) الهلال مارس ١٩٤٨ .

عن الأزواج ، مظهرا مواطن الضعف في المرأة ، منتقدا ضيق صدرها ، ونفاد صبرها ، وقلل من جهدها ، إلى جانب ذلك ذكر أنها تتزين خارج بيتها ، وتظل عاطلة من الزينة في داخله ... وبعض هذا أودعه قصته «ماء . ماء» ولكن بأسلوب فني .

والمازني كثير الحديث عن نفسه . ومواقفه ومشاهداته ومن هذا ما كتبه بعنوان «أمي» يذكر فيه معاناتها في تربيته أوقات العسر ، و«في طريق الحياة» و «اساتذتي» . واساتذة المازني الذين علموه كيف يقوى ، ويواجه الحياة ويروضها ، أحدهم الفقر ، فقد مات أبوه وتركه طفلا ، فتعلم من الفقر التسامح ، والرفق ، وضبط النفس ، أما استاذه الثاني فهو الضعف . ومضى المازني في هذا الاتجاه الذاتي فكتب عن «فتاة لا أنساها» وبعض ذكرياته عن شوقي ، و«كهولتي خير من شبابي» ويحسب القارئ أن المازني غارق في نفسه منطو عليها ، لا يجيد التعبير إلا فيها ، ولكن من يتبصر يجد أن كثيرا مما يرويه المازني ينطبق على كثيرين منا ، فهو يعبر عن الناس والحياة من خلال ذاته ، ويسخر ويسامر ، ويسترسل ، ويسترجع ما مضى ، ويظهر ما يخفيه غيره ويظن أن في إعلانه عيبا ، ويميل إلى الدعابة والاستخفاف بالأمور مثل كثيرين في الحياة . وإذا كانت تلك صفات المازني ، فهي صفات في مقالاته أيضا .

ومن سخرية القدر أن يكتب المازني في هلال يونيه ١٩٤٧ مقالا بعنوان «المازني بعد عشرين سنة» يعتقد فيه أن سيحتفظ «بقدر كاف جدا من مرونة العقل والنفس وإن فقدت مرونة البدن ، وسأظل قادراً على مسايرة الزمن ، بل استطيع أن أقول في غير اغترار أني سأكون قادراً لا على مسايرته فحسب بل سبقه أيضا» ويسبق إليه الموت بعد عامين (١٩٤٩) لا بعد عشرين .

وقد جمعت بعض مقالات المازني وقصصه التي نشرها بمجلة الهلال في كتبه مثل «سبيل الحياة» «خيوط العنكبوت» وتناولته الهلال بالدرس فكتبت عنه مقالات مختلفة بأقلام الطناحي ١٩٤٩ ، وأحمد عبد القادر المازني ١٩٤٩ ، ١٩٥٨ ، ود. محمد رجب البيومي ١٩٨٨ ، وصدر عنه كتاب «مع المازني» تأليف فاروق خورشيد عام ١٩٨٤ في «كتاب الهلال» .

ميخائيل نعيمه

أخذ أدب ميخائيل نعيمه مكانه على صفحات الهلال منذ وقت مبكر ، ففى عدد أبريل من سنة ١٩١٨ نشرت له الهلال قصيدته الشهيرة «أخى» نقلا عن مجلة «الفنون» التى كان يصدرها نسيب عريضة فى الولايات المتحدة ، وتوالت بعد ذلك أعماله الأدبية والاجتماعية . وفى ٢٨-٦-١٩٢٢ أرسل «اميل زيدان» صاحب الهلال – فى ذلك الوقت – خطابا لنعيمه فى أمريكا [١٣] يتضمن رغبته فى افتتاح السنة ٣١ من الهلال باستفتاء مفكرنا حول نهضة الشرق وموقفه بإزاء مدنية الغرب فأجابه نعيمه على ذلك ، ونشر المقال فى نوفمبر ١٩٢٢ ، وأتبعه بمقال عن «الغربلة» ١٩٢٣ ، وآخر بعنوان «هو الحب قال لنا كونا فكنا» ١٩٢٤ ، وفى عام ١٩٤٢ كتب نعيمه مقالا آخر عن الغرب والشرق أطلق عليه «مدنية العقل ومدنية الخيال» ، وفى عام ١٩٤٧ دبج مقالا تحت عنوان «حكاية الشرق والغرب» استكمالا للموضوع ، وهو يعطى فكرة واضحة عن الشرق والغرب من خلال فكر نعيمه ، ولا يؤمن نعيمه بأن الشرق شرق ، والغرب غرب ، وإنما يرى أنهما فى تلاحم دائم على مدى التاريخ البشرى يهجع الواحد فيأتيه الآخر بلقاح لا يلبث معه أن يفيق من هجعته ، ولا أدرى كيف فات نعيمه ذلك التحطيم المنظم الذى يمارسه الغرب ضد الشرق منذ غزو الاسكندر للشرق ومرورا بالاحتلال الرومانى له والحروب الصليبية فضلا عن الاستعمار الحديث .

ومن القصص الاجتماعى والرمزى الذى نشره فى الهلال «مصرع ستوت» و«هدية» و«صبى من الشرق» و«عدو النساء» والأخيرة تتضمن تحليلا رائعا لعاطفة الأبوة الكامنة فى النفوس حتى عند غير المتزوجين أو الذين حرموا نعمة البنين والبنات ، وقصة «اليوبيل الماسى» ويرى فيها أحقية الذين يعملون فى صمت ويعطون من غير حدود ، بالتكريم والتمجيد ، وقصة و «ينوب الجليد» ويقول فيها إن «الذين دفئت قلوبهم بالمحبة والجود والصدق والرضى والعدل دفئت أعوامهم بالسلام والبحبوحة والطمأنينة» .

ومن الحوار المسرحى ما جاء فى الهلال تحت عنوان «ستستريحون يوم أستريح» وهو حوار بين والد ووالده وابن وبنت يدور حول الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية .

---

(١٣) كتاب «سبعون» لميخائيل نعيمه .

ولنعيمه مقالات كثيرة منها «روسيا التى عرفتها» ويتحدث فيها عن روسيا القيصرية زمن إقامته بها فى بلتافا عندما كان يتلقى تعليمه فى السمنار فى الفترة (١٩٠٦-١٩١١) ، ومن مقالاته الأخرى «سحر الطفولة» وقد شارك بها فى عدد خاص عن الطفولة ، ورأى فيها أن «الطفولة باب إلى الغبطة التى كلها معرفة ومقدرة وانطلاق» ومقالة «طهروا اللغة العربية» وينادى فيها بتبسيط قواعد اللغة . ومن يتصفح الهلال يجد عديدا من مقالات نعيمه الأخرى مثل «حدثنى جبران» و «لماذا نسير بأرجل السلاحف ؟» و «عالم جن جنونه» و «صفوا الحساب مع الماضى» .

وكانت مجلة الهلال تتابع أخباره وتستحثه على الكتابة ، فعندما أشيع عنه أنه اعتزل الناس فى الشخروب أرسلت الهلال إليه تسأله : «لماذا اعتزلت الناس ؟» فأجاب بمقال جاء بالعنوان نفسه نفى فيه العزلة ، ولما صدر كتابه «سبعون» (المرحلة الثانية) نشرت الهلال فصلا منه تحت عنوان «هذه هى الحرب» تحدث فيه عن الحرب العالمية الأولى التى كان مجندا فيها من قبل أمريكا ، وتواصل الهلال إذاعة الفكر النعيمى بين الناس حتى قبل أن يصدر فى سفر مستقل ، فعندما كان يتأهب لإصدار كتابه «هوامش» نشرت الهلال منه فصلين . وقد أخذت معظم كتابات نعيمه - التى نشرها فى الهلال - طريقها إلى كتبه التى صدرت فيما بعد مثل «المراحل» و «هوامش» وقد قامت الهلال بطبع كتابه عن «جبران خليل جبران» فى سلسلة كتاب الهلال عام ١٩٥٨ ، وكان قد أحدث - هذا الكتاب - ضجة كبيرة عند نشره . لأن نعيمه مزج فيه الفن الروائى بالحقائق والواقعات ، ولعل الحوار الذى أجراه معه أحمد أبو كف عام ١٩٦٧ ونشرته الهلال وأجاب فيه عن أسئلة عن روسيا قبل الثورة ، والأدباء الروس الذين مهدوا للثورة ، والقيم الثورية .. ، هو آخر عهده بمجلة الهلال .

زكى مبــــارك

ما ان عاد الدكتور زكى مبارك من باريس عام ١٩٣١ بعد حصوله على الدكتوراة من السربون ، حتى أخذ يشارك بمادة أدبية فى الهلال فنرى له مقالا عن «أثر بغداد فى الشعر العربى» عام ١٩٣٢ .

وكانت بينه وبين بعض المستشرقين معارك طاحنة نجمت عن تباين الأراء حول نشأة النثر الفنى العربى . وقد أظهر مبارك حدة وغلظة وهو يناقش المستشرقين (١٤) ورماهم بالغلط ، وبالرغم من هذه الحملة الشرسة عليهم نراه يكتب مقالا فى الهلال يوضح فيه أن «نفع المستشرقين أكثر من ضررهم» (١٥) .

وقد أفاد زكى مبارك من دراسته فى السربون ومن اطلاعه على الحياة الثقافية الأوربية ، وأدرك مدى أهمية تلاقح الثقافات الشرقية والغربية وأثرها فى حضارات الأمم ، ورأى أن المثقف العاقل هو الذى يحصل المعارف من مختلف الممالك . لذلك نراه يكتب مقالا يدور فى هذا المعنى يدعو فيه إلى «أن تكون للأمم العربية ثقافة لها خصائص وأصول ، ولكننا ننكر انقطاعها عن الثقافات الأجنبية لأن الانقطاع عن العالم من علائم الضعف والخمود» ومن هنا أنكر تنقية اللغة العربية من الألفاظ الأجنبية ، لأن تخليصها من اللفظ الدخيل عنوان على انقطاعها فى الميادين المختلفة ، وبالتالى دليل على ضعفها (١٦) .

فهو يرتب ضعف الأمة على العزلة ، والانقطاع عن الثقافات الأخرى ، وبالرغم مما فى كلامه من وجاهة فإن صلة أمة بأمم أخرى ليس شاهدا على قوتها وحيويتها وتحضرها ، وهناك لغات أمم كثيرة مخلطة بألفاظ أمم أخرى ومع ذلك نراها ضعيفة ، فكثير من لغات الدول الإفريقية يختلط فيها اللفظ الوطنى باللفظ الأجنبى ومع ذلك فإن الضعف يشملها ، والعكس صحيح فى اللغات الأوربية وأممها ، فإن اللغات الأوربية غير نقية تماما ومع ذلك فإن القوة بادية عليها ، وعلى هذا فإن وجود اللفظ الأجنبى فى لغة أمة ليس دليل ضعف أو قوة . وإنما الضعف والقوة فى الأمم لهما عوامل أخرى ليس هنا مكان تناولها . ولكن هذا المقال كانت له آثار أخرى ، فقد كتب أحمد أمين بعد ذلك بشهرين فى الهلال مقالا أورد فيه أن أدبنا لا يمثلنا ، وأننا فى حاجة إلى التطعيم بالآداب الأجنبية (١٧) وسرعان مارد عليه الشيخ أمين الخولى وقال له إن أدبنا يمثلنا وإنه صورة صادقة لحياتنا الاجتماعية (١٨) .

---

(١٤) راجع كتاب «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى» للدكتور زكى مبارك ط الهيئة العامة للكتاب .

(١٥) هـ . يناير ١٩٣٤ .

(١٦) هـ . نوفمبر ١٩٣٦ .

(١٧ هـ . يناير ١٩٣٧ .

(١٨) مجلد ٤٥ عام ١٩٣٧ .

وقد كانت بين زكى مبارك وطه حسين مناوشات قلمية ، ومعارك أدبية ، وبخاصة المعركة التى نشبت حول كتاب مبارك الشهير «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى» إذ انتقص منه طه حسين ، ورد عليه زكى مبارك وتوالى العراك بعد ذلك حول الفكر اليونانى والأدب الذاتى والوجدانى .

وكان زكى مبارك ندا لطه حسين وأكثر من ند فى السجال ، وفى مقال له بالهلال يرسم مبارك صورة لتلك المعارك ، لا تملك إلا أن تبتسم بعد تأملها . يقول : «كان طه حسين فى بداية هذه العداوة يظنها جمرة سريعة الخمود ، ولكنها تضرمت واستطارت أقباسها فى الشرق والغرب ، ولم يبق إنسان يقرأ ويفهم إلا عرف أن فى الدنيا رجلا اسمه طه حسين ، وصار لا يدخل فى محفل ، ولا يتكلم فى مجتمع ، ولا ينشر مقالا فى جريدة إلا قال الناس : هذا هو الرجل الذى رأينا اسمه فى مؤلفات زكى مبارك . والدكتور طه حسين رجل فيه شئ من الذكاء وقد هداه ذكاؤه إلى هذه الحقيقة ، فاندفع يعادينى بلا ترفق ليتم له من نباهة الذكر ما يريد» (١٩) .

وقد لفتت معارك زكى مبارك أنظار الكتاب ، وجذبتهم إليها ، وكثرت أوصافهم لها ، ومن هذا ما يقوله محمود تيمور عنها : «أما مشاجراته القلمية فقد كان فيها مطواعا لفطرته ، منساقا مع الشيمة البدوية أو الريفية فى إيثار الصراحة العارية .. وما كان زكى مبارك يؤمن بتلك الطراوة العصرية فى محاسنة الناس بعضهم لبعض ، ولكنه كان عارم الرغبة فى البوح بمكنون وجدانه ، دون محاباة أو مواربة ، ومن ثم يكتسب حديثه طابع الخشونة والجفوة والاقتحام» (٢٠) .

ولزكى مبارك عدا ذلك مقالات أدبية أخرى فى الهلال عن الأدب النسائى الحديث ، والأدباء المجانين ، وأدب المتنبى وأبى نواس ، وكلمات أخرى تعد من الأدب الذاتى الذى أكثر منه ، ومن هذا ما يقوله تحت عنوان «تجاربى فى الحب» «ولو أننى انفقت فى سبيل المجد بعض ما أنفقت فى سبيل الحب لكنت اليوم رئيس الوزراء» (٢١).

ومن خصائص الأدب المقالى عند زكى مبارك حرارة الأسلوب ، وتدفق العاطفة والصراحة فى القول الناجمة عن فرط ثقته فى نفسه وفى أدبه ، وكثرة حديثه عن

---

(١٩) هـ . يونية ١٩٣٧ .

(٢٠) هـ . مايو ١٩٦٦ .

(٢١) هـ . يناير ١٩٣٧ .

صبواته ولذاته وتجاربه ، ولعل مقالاته الذاتية تقوم بدور الترويج عن نفسه بعد حياة شاقة عسراء فى صباه وشبابه . وكفاح موصول من أجل العلم والعيش .

نجـــوم آخـــرون

ولا يحسب القارى أن هؤلاء فقط هم رواد ثقافتنا ، أو رواد الهلال ، فهناك غيرهم كثيرون شاركوا بجهودهم الشعرية والأدبية والتاريخية والنقدية نذكر منهم :

* ***خليـل مطـران*** : الذى كان ينشر قصائده منذ أوائل القرن ، وأخص بالذكر قصيدة «الجنين الشهيد» التى تقع فى مئات الأبيات ، وقد أفردت لها الهلال قسـما خاصا كبيرا من عدد مايو ١٩٠٥ ، وهى قصة شعرية تعرض لفتاة من بنات الهوى ، كانت تبيع الخمر فأغواها شاب ، واعتدى على عفافها ، وأعرض عنها ، وبعد أن حملت سفاحا ، دفعها اليأس إلى التخلص من الجنين الذى اعتبرته شهيدا ، وراحت ترثيه بكلمات شجية مؤلمة . وهذه القصيدة تعد من أوائل القصائد التى مالت بالشعر العربى إلى الرومانسية ، وظهرت فيها علائم التجديد فى الشعر الحديث ، وتحسب من عيون الشعر العربى كله ، وتوالت بعد هذا التاريخ قصائد مطران ، ومقالاته التى سجل فيها خطراته عن اللغة العربية ومستقبلها ومعاجمها . وفى عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ترجم مطران فصولا من كتاب «تربية الإرادة» لبايو وأبرز فيه سلطان الهوى على النفس ، ودور الانفعالات فى الإرادة ، وأرخ لبداية التمثيل المسرحى فى الشام ومصر وذكر سماته وأساليبه [٢٢] ، ثم استكمل قصة المسرح فى مقال بعنوان «التمثيل العربى» [٢٣] ، وله عدا ذلك أراجيز كان يكتبها للشباب ، وكلمات عن التجديد فى الشعر ورواد النهضة الحديثة . وقد شاركت الهلال فى حفلات تكريم خليل مطران عام ١٩٤٧ ، وقامت بطبع ديوانه الضخم بأجزائه الأربعة .

* ***جبـران خليـل جبـران*** : الذى نشر حوالى ثلاثين مقالة فى الهلال مثل : «نحن وأنتم» ١٩١١ ، «العبودية» ١٩١١ ، « الجبابرة» ١٩١٦ ، «المخدرات والمباضع»

(٢٢) هـ . فبراير ١٩٣١ .

(٢٣) مجلد ١٩٤٢ من الهلال

١٩٢٠ ، «القشور واللباب» «من أمثال المجنون» ١٩٢٤ ، «نحن والغرب» ١٩٣١ ، وتمثل هذه المقالات لونا جديدا من النثر الفنى الحديث ، يصح أن نصف بعضها بالشعر المنثور ، وتسيطر عليها الروح الرومانسية الخيالية ، وتزدحم فيها الصور الضاحية ، والضبابية ، والاستطرادات الوصفية ، وتتدافع فيها الفكرات الذهنية المتشعبة ، والخطرات النفسية المتدفقة ، وجبران يحدثنا فى هذه المقالات عن نفس قلقة ، متمردة ، تشقيها ألغاز الحياة ، نفس متطلعة إلى المبدأ والمثال ، شغوفة بمعرفة الأسرار الأبدية ، تواقة إلى التفلسف فى الحب والموت والخلود . وجبران يميل إلى تفريع الموضوع وتقسيمه إلى أقسام لا يمكن أن نتوقعها ففى مقال له بعنوان «العبودية» يحدثنا عن العبودية الشمطاء ، والعبودية السوداء ، والعبودية العوجاء ، والحدباء وغير ذلك . وكثير من صوره البيانية الرافلة فى الغناء ، وأساليبه الفنية النازعة إلى الخيال تستمد مقوماتها ومثالها من الصور التوراتية والإنجيلية .

• وبخلاف هؤلاء هناك **أنطوان الجميل** الذى عرف طريقه إلى الهلال عام ١٩٠٨ عندما كتب مقالة تحليلية لشعر خليل مطران ثم توالت مقالاته عن التسامح والإخاء والوئام . **وأحمد تيمور** الذى كتب فى الهلال منذ عام ١٩١٦ عن اللغة السرية عند العرب ، وبعض أعيان القرن الثالث عشر الهجرى ، وعن الشيخ حسن الطويل الذى يعد من أوائل المتفلسفين فى مصر ، وله عدا ذلك دراسة مطولة عن التصوير الإسلامى . **وأحمد زكى باشا** شيخ العروبة الذى كتب عن مكة والمدينة ومن زارهما من الافرنج ، غير كتاباته الوافرة عن الآثار العربية فى الأندلس . **ومصطفى صادق الرافعى** كاتب الهلال منذ أجاب عن سؤال طرحته المجلة عام ١٩٢٠ عن مستقبل اللغة العربية ، ثم واصل الكتابة فى موضوعاته المحببة إليه مثل المرأة الشرقية ، ورسم صور للحبيبة سابحة فى الخيال . والشيخ **مصطفى عبد الرازق** الذى استهل كتاباته فى الهلال عام ١٩٢٣ بالحديث عن زواج الشرقيين بالغربيات ، وصلة العلم بالدين ، **ومنصور فهمى** المعروف بكتاباته النفسية ، وخواطره التى أرسلها فى الاعتراف والذكاء والتربية ، وهناك كذلك **أحمد بهاء الدين وإبراهيم المصرى ، ومحمد فريد وجدى ، وعلى أدهم ، وحبيب جاماتى وعبد الرحمن صدقى ود. محمد عوض محمد ومحمود تيمور وغيرهم من الكتاب المبدعين الذين أثروا حياتنا الثقافية والفكرية .**

«الهلال» و ٣
ثورات مصرية

ثلاث ثورات سياسية شهدتها مصر فى تاريخها المعاصر ، ولم تكن «الهلال» بعيدة عن رصد وتقييم ومؤازرة هذه الانتفاضات الثورية التى شارك فيها شعب مصر ، فهى باعتبارها مركز اشعاع ثقافى يساهم فى قافلة التنوير خلال هذه الحقبة ، استطاعت أن تلاحق أحداثها وتسجل أهدافها وتقيم فكر الزعماء الذين فجروها .

الثورات الثلاث هى صحوة عرابى عام ١٨٨٢ ، وثورة ١٩١٩ التى قادها الشعب ضد الاحتلال الإنجليزى ، وثورة يوليو عام ١٩٥٢ التى أثرت بمبادئها الستة على البنية الاجتماعية والسياسية والبشرية فى مصر .

وقد شاركت الهلال فى صياغة مستفيضة لما جد خلال تلك الثورات وما حدث بعدها من تطورات كان يجب تسجيلها كوقائع صنعها التاريخ ، وبادرت بتوثيقها من خلال الأعداد الخاصة والمقالات والبحوث والمذكرات الشخصية لصناع هذه الأحداث ، ونجحت إلى حد كبير فى مهمتها التاريخية والثقافية ، وأصبحت أعدادها فى هذا المضمار مراجع مهمة تتسم بالموضوعية والجهد والصدق .

الثورة العرابية

إذا كان لى أن أقول كلمة حول الثورة العرابية ، فإننى أرى أن عرابى قام بثورته لمناهضة الظلم الواقع على أبناء جلدته ، ولا أحد يلومه فى ذلك ، والقائلون بمناسبة الوقت وغير مناسبته لإحلال العدل ، فى الوقت الذى ثار فيه ، يختلقون المبررات لإدانة عرابى ، وإذا كان عرابى لا يحارب الظلم فى الوقت الذى يقع فيه فمتى يحاربه ؟ هل بعد أن ينقشع ؟ هذا هو جانب ، ومن جانب آخر ، إذا كان معظم المؤرخين - إن لم يكونوا كلهم - قالوا بأن إنجلترا كانت تعد منذ زمن لاحتلال مصر ، وذكروا مسوغات ذلك ، فإنه من الجهل إسناد سبب الاحتلال إلى عرابى ، وكل ما جرى أن عرابى دافع عن البلاد بتفويض من الخديو نفسه وكبار رجال الدولة ، فلما انحاز توفيق إلى جانب العدو الإنجليزى ، تكون فى الحال مجلس كبير من علية القوم ، ونحّى الخديو جانبا لخيانته ، وخوّل لعرابى مهمة الدفاع عن مصر ، فأدى واجبه الوطنى على قدر استطاعته .

تناولت الهلال فى بدايتها الثورة العرابية ، وبالرغم مما شاب مادتها من أخطاء ، فإنها كانت أكثر اعتدالا ، فيما كتبته ، من جرائد ومجلات أخرى فى تلك الفترة .

كان عرابى - بعد نفيه إلى سيلان - موضع زراية ومؤاخذة ، ومحل تهكم الشعراء ، فصاغ شوقى أشعارا فى هجائه منها ما قاله عام ١٨٩١ :

فطغى فى البلاد قوم أزيحو ... فازيحت من جفنها الأقذاء (١)

وقال قدرى بك (عثمانى) عن الإسكندرية :

أحـرقت عـرابى ثغر بلادنا ... والله قـد حـاطت بـك الآثام

(١) د . صبرى السربونى - الشوقيات المجهولة جـ ١

وفى هذا السياق نشرت الهلال أبياتا لحسن حسنى الطويرانى يقول فيها :

بشــرى بتــوفيق لنــا فالمجـــد أيـد ما بنى

زال الطغاة وانقضــت أيامهــم مــع العنـــا

فتـزلزلت أقـــدامهــم إذ ذلهــم سلطــاننا (٢)

وهؤلاء الشعراء جميعا أتراك ، وطعنهم فى عرابى يؤيد ثورته ، إذ إن الثورة فى بدايتها كانت ضد العناصر المتمتعة بخيرات البلاد من شركس وترك وأجانب أوربيين ، وسرعان ما انضم إلى هؤلاء مصريون ممن خدعوا بالدعاية المضادة للثورة .

ثم كتبت الهلال عدة مقالات تناولت سيرة عرابى وأحداث الثورة موزعة فى الهلال منذ عام ١٨٩٦ إلى سنة وفاته ١٩١١ ، وأهم ما فى هذه المقالات أن كاتبها جرجى زيدان حاول خلالها أن يكون مؤرخا موضوعيا نزيه القصد ، فبين أن من أسباب الثورة الظلم الذى وقع على المصريين من قبل الحكام والشركس . وعند تناوله لمطالب عرابى المعروفة وهى : عزل وزير الجهادية - عثمان رفقى - ثم إقالة وزارة رياض باشا ، وزيادة عدد الجيش ، والحكم الدستورى قال : «وهو - أى عرابى - لا يلام لأنه إنما كان يعتقد الحق والعدل فى اقتراحاته ، وقد قام فى أول أمره وسلاحه العدل والجند ، والدليل على عدالة مطاليبه أن الحكومة لم تعترض على عدالتها ، ولكنها أكبرت العنف فى طلبها».

وقد دافع زيدان عن زعيم الثورة ، عندما قال بعض الناس إنه متواطئ فى الثورة مع إنجلترا فقال «لو كان متواطئا ما ثبت فى الحرب إلى هذا الحد» ، وإذا كان عبد الرحمن الرافعى يقول إن «عرابى» لم يحارب أثناء الثورة و «لم يتول خلالها أية قيادة فعلية» (٣) فإن جرجى زيدان يقول عن عرابى : «وقد غادره أنصاره بين نادم ومارق وهارب وشارد وظل وحده يتأهب للدفاع حتى دخل الإنكليز العاصمة وقبضوا عليه وحاكموه»(٤) .

ولكن جرجى زيدان لم يمتدح «عرابى» على طول الخط فقد أدان بعض تصرفاته واتهمه باساءة النظر فى عواقب الأمور ورماه بالتطلعات الشخصية ورغبته فى التشبه

(٢) هـ ١٨٩٤/٤/١٥ .

(٣) الثورة العرابية للرافعى ص ٥١٧ ط . النهضة عام ١٩٣٧ .

(٤) نصوص زيدان الموضوعة بين أقواس . انظر هـ ١٩٠٦/٦/١ .

بصلاح الدين أو محمد على وإقامة دولة بزعامته ، وقد ردد الرافعى هذا القول بصيغ أخرى واتهم «عرابى» بالغرور إلى جانب أنه كانت «به ناحية ضعف أخرى وهى إيثاره المطامع الشخصية على مصالح الوطن .. وإسقاطه وزارة شريف باشا يرجع العامل الأكبر فيها إلى أطماعه فى السلطة والجاه ، وسعيه فى خلع الخديو توفيق يرجع إلى مثل ذلك» (٥) .

وكان زيدان ممن دعوا الحكومة إلى العفو عن عرابى أكثر من مرة فى الهلال (٦) وكان يراسله فى منفاه بسيلان ، وقد اثبتت الهلال خطابا وارداً من عرابى جاء فيه : «إننا أموات فى صورة أحياء ، أو أحياء فى صورة أموات ، ولكننا لسنا بآسفين لاعتقادنا جازما بأننا قمنا بما فرضه الله سبحانه علينا من الواجبات الشرعية والحقوق الوطنية» (٧) ثم أعاد زيدان نشر هذا الخطاب قبيل العفو عنه وعلق عليه قائلا : «قصده حسن ووجهته الحق ثم انخدع بما توسط بينه وبين الحكومة من ذوى الأغراض فتهور فى مطالبيه ولم يقف عند حد» . (٨)

ولما اطلع عرابى على ترجمة زيدان له ، أرسل إليه من سيلان كتابا مطولا ترجم فيه سيرته وسرد فيه وقائع الثورة ، ونفى حدوث أشياء وقعت فى كتابات زيدان منها قول الأخير إن البارودى كان يثير العرابيين بما ينقله إليهم ، فقد نفى عرابى ذلك ، ولكن بعض المؤرخين مثل الرافعى يؤكد أن البارودى كان يقوم بمثل هذا الفعل من أجل مآرب شخصية .

وعندما عاد عرابى إلى مصر من المنفى ، زاره زيدان كثيرا وقال عنه «لم تزدنا المقابلة إلا وثوقا بسلامة نيته وإخلاصه فى الدعوة التى قام بها» .

وهذا يبين أن الهلال لم تطعن فى عرابى مثل الآخرين ، وانتقادات زيدان لعرابى أقل بكثير من انتقادات غيره ، فقد وصفه مصطفى كامل بالخيانة (٩) مع أن ألد اعداء

---

(٥) الرافعى المصدر السابق .

(٦) انظر على سبيل المثال هـ ١٨٩٦/٨/١٥ .

(٧) هـ . أول يونيه ١٨٩٨ .

(٨) هـ . أول يونيه ١٩٠٦ .

(٩) اللواء ١٩٠١/١٠/١٠ وكتاب السربونى السالف ذكره .

عرابى الذين حاكموه لم يثبتوا عليه الخيانة ، ونعته الشيخ محمد عبده بالجبن (١٠) بالرغم من أن موقف عرابى فى ساحة عابدين وهو يمتطى حصانه ويملى على توفيق مطالب الأمة يضعه فى أعلى مراتب الشجاعة ، بل إن يوم التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ يعد من أمجد أيام مصر .

ويحسب للهلال فى هذه الحقبة أنها شاركت فى الدعوة إلى العفو عن عرابى ، ونشرت أول سيرة مطولة (استغرقت نصف عدد من الهلال) بقلم عرابى نفسه ، فأتاحت بذلك الاطلاع على الوجه الآخر للقضية بعد أن كانت معظم الكتابات ضد الثورة وزعيمها كما أنها كانت أكثر إنصافا وموضوعية فى الكتابة عن عرابى والثورة العرابية .

وقد سجلت الهلال مادة محدودة عن الثورة العرابية فى فترة ما بين الحربين العالميتين أبرزها مقـال عن «يوم عابدين» (١١) الذى استعرض فيه عبد العزيز عرابى (نجل أحمد عرابى) أحداثه الخالدة فى تاريخ المصريين .

وبصفة عامة كانت الكتابة عن عرابى والثورة قليلة فى النصف الأول من القرن العشرين إذا استثنينا مقالات الصحف التى تناولت «عرابى» عند عودته من منفاه وعندما فارق الحياة ، وبعضها كان نقدا ولوما . وترجع قلة الكتابة فى هذا الموضوع إلى أسباب منها : أن الناس انشغلوا بقضايا اجتماعية مثل تحرير المرأة ، وبقضية الاستقلال أكثر من انشغالهم بالظروف التى وقع فيها الاحتلال ، فاشتعلت ثورة ١٩١٩ ، وأعقبها تفرق الاتجاهات بين وفديين وأحرار دستوريين واتحاديين ... ومتابعة أخبار المفاوضات والاهتمام بالانتخابات الحزبية ، وملاحقة تطورات الحربين العالميتين ، ومنها أن الكتابة فى إنصاف الثورة العرابية لا يرضى الإنجليز أو القصر ، فمن يكتب عن عرابى وثورته لابد أن يذكر توفيق وخيانته ، ويحمل على التدخل الإنجليزى فى شئون مصر وتآمرها على وادى النيل .

ولكن مع ذلك لم نعدم ظهور عدة كتب منها كتاب الرافعى «الثورة العرابية» الذى صدر عام ١٩٣٧ ولم يخل من انتقاد زعماء الثورة وعلى رأسهم عرابى ، وكتاب العقاد «١١ يوليو» الذى ظهر فى الثالث من يوليو ١٩٥٢ ويتضمن دفاعا عن عرابى وشرح

(١٠) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ وكتاب الرافعى السالف ذكره .
(١١) هـ . مارس ١٩٢٨ .

الظـروف الـدولية فى تلك الفتـرة ، والجـديد فى كتاب العقاد هو إبراز النفـــوذ الصهيونى فى السـياسة الدولية والمسـألة المصرية ودوره فى أحـداث تلك الفترة التى اشـتعلت فيها الثورة .

ثم جاءت ثورة يوليه ١٩٥٢ وكانت عاملا محركا للكتابة عن الثورة العرابية ، فقد انتهى زمن أسرة محـمد على ، وأفـل نجم الإنجليز ، لذلك رأينـا الهـلال تبـكر بإصدار كتاب عرابى «كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية» تحت عنوان «مذكرات عرابى» عام ١٩٥٣ فى جزءين كتب مقدمة الجزء الأول الرئيس محمد نجيب ، ووصف مذكرات عرابى بأنها «جمعت فأوعت ، وألقت الضوء على حقائق تلك الحقبة الخطيرة من تاريخنا الحديث فأظهرتها فى صدق وإخلاص ويقين» .

وفى عام ١٩٧١ أعادت دار الهلال طبع كتاب «أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه» فى جزء ين لمؤلفه محمود الخفيف [١٢] وفى العام نفسه خصصت مجـلة الهلال قسما خاصا عن الثورة العرابية كتب فيه صبرى أبو المجـد وفتحى رضوان و د . عبد المنعم تليمة و د . أحمد عبد الرحيم مصطفى وقبل أن ننتقل إلى نقطـة أخرى نشير إلى أنه صدر كتابان مترجمان عن عرابى وثورته أحدهمـا ترجمه عبد العـزيز عرابى عن كرومر عام ١٩٥٨ والثانى هو كتـاب «التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر» لمؤلفه «بلنت» .

وفى فترة ما بـعد ثـورة ١٩٥٢ ظهرت مقـالات فى الـهلال توازن بين ثورة عرابى وثورة ١٩٥٢ مثل ما كتبه عبد الرحمن الرافعى وبين فيه أوجه الشبه بينهما وأن ثورة الجيش فى كلتيهما لم تصدر «عن نزعات شخصية أو مطامع فردية» [١٣] مع أنه قال فى كتابه عن الثورة العرابية إن من بين أسبابها نزعات شخصية ، كما قارن فتحى رضوان بين ثورة عرابى وثورة ١٩٥٢ [١٤] .

---

(١٢) ومما يجدر ذكره أن الهلال قالت فى عدد نوفمبر ١٩١١ إن أحمد عرابى أودع مذكراته عند محمد بك أصاف وفوضه فى نسخها وتصحيحها وربما نشرها مع أولاده إذا أذنت الحكومة بذلك ، بينما يقول محمود الخفيف فى كتابه عن عرابى إن الزعيم دون مذكراته عام ١٩١٠ فى ثلاث كراسات كبيرة طبع منها الجزء الأول ، وحرص على كتابة ثلاث صور منها ، أحدها محفوظة بدار الكتب المصرية والثانية والثالثة لدى أبنائه .

(١٣) هـ . سبتمبر ١٩٥٢ .

(١٤) هـ . سبتمبر ١٩٧١ .

وقد كتبت مقالات كثيرة تقليدية تعنى بالسرد التاريخى مع مديح لعرابى .

إلا أن الهلال أخذت تنشر جديدا فى بعض أعدادها ، يكشف تفصيلات ، ويظهر خفايا وتمثل هذا الجديد فى نشر وثائق مهمة مع صورها ، منها خمسة عشر خطابا بعث بها عرابى من منفاه إلى يعقوب صنوع المنفى إلى فرنسا ، حصلت عليها من باريس «فريدة مرعى» يتضمن واحد منها سيرة الزعيم وقصة الثورة بقلمه ، وتفيد هذه الوثائق أن أحمد عرابى لم يغير موقفه ، وظل ينظر إلى ما جرى على أنه من أعمال الوطنية ، ويصف يوم ٩ من سبتمبر ١٨٨١ بأنه «يوم العروبة» وحمل على الإنجليز وبيّن أن سياستهم قائمة على المطامع وهضم الحقوق ، وتظهر الرسائل مدى متابعة عرابى لما يجرى فى مصر وأوربا ، فإنه كان يعلق على الأحداث بما يفيد استيعابه لها ، وعندما ثار البلغار على أميرهم قال ما فحواه لماذا لم تهب أوربا لحماية الأمير البلغارى ؟ وكشف عن الجمهورية المؤقتة التى نشأت فى مصر وأدارت البلاد أثناء الحرب عندما انحاز توفيق إلى الإنجليز . وفى هذه الرسائل بيان موجز إلى ابناء مصر يحثهم فيه على ترك اللهو ومناهضة المحتلين ، وتوضح هذه الخطابات ثقة عرابى فى المستقبل ، وأن مصر ستكون فى نهاية المطاف للمصريين إن لم يكن اليوم فغدا ، ويحذر من اعتماد مصر على عدالة أوربا أو قوة تركيا .(١٥)

وكان حلول عام ١٩٨٢ مناسبة لأن تصدر الهلال عدداً تخصص فيه قسما خاصا عن الثورة وكشف فيه فتحى رضوان عن صفحات مجهولة من تاريخ الثورة العرابية بعرضه وتعليقه على كتاب «عزل خديو» الذى كتبه المترجم الإنجليزى المحب لمصر «أردن هيولم بيمان» وندد فيه بسياسة بريطانيا فى مصر ، وأطلق على الطريقة التى حكم بها كرومر مصر «الكرومرية» أو «كرومرزم» ويعلق فتحى رضوان على ذلك بقوله : «هو اصطلاح لم أصادفه فى كتاب إنجليزى أو عربى» لا قبل ثورة عرابى ولا بعدها ، ويذهب بيمان إلى أن الكرومرية «أوهمت المصريين انها ستمنحهم الاستقلال ، فى حين أنها منحتهم بدلا من ذلك الاحتلال» ، ومما ينفرد به بيمان أن الخديو توفيق لم يكن صديقا كما يشاع لبريطانيا وكرومر وانما كان يصارع لخلاص نفسه «من براثن البريطانيين وأن ينعزل كحاكم مستقل ما وسعه الجهد» ويمكن تصديق هذه المقولة لأن الخديو لم يستنجد بالإنجليز ليأخذوا منه مصر ، فلما بسطوا نفوذهم أدرك حقيقتهم بعد فوات الآوان ،

(١٥) هـ . سبتمبر ١٩٧١ .

فليس من المستبعد أن يضيق بهم ولو فى سريرة نفسه . واثنى على وطنية عرابى كثيرا وأدان قومه لكذبهم [١٦] ، وهذا الكتاب يظهر مدى معرفة الأجانب بحقيقة ما جرى .

وهناك مادة جديدة قدمتها الهلال وتعد من أسرار ثورة عرابى كشف عنها د . رجب البيومى وهى دور المستشرق الإنجليزى «أدرين بالمر» الذى قام بدور الجاسوسية أثناء الحرب العرابية الإنجليزية لصالح قومه ومحاولته إغراء العربان بالذهب لتقديم العون لجيش إنجلترا فى الميدان الشرقى ، وقد لقى مصرعه مع اثنين كانا معه . وانتقم له الإنجليز بإعدام خمسة مصريين [١٧] .

وعلى هذا النحـو قدمت الهـلال جديدا فى الثورة العرابية أظـهر حقائقها ، ووسـع مادتها ، والقى الضوء على مسرح عملياتها لتتكشف أدوار رجالها . .



على أن كفاح المصريين لم يتوقف . بل إنه يمكن القول إنهم كانوا فى ثورة دائمة منذ عام ١٨٨١ إلى ١٩٥٢ للتخلص من الحكم الأجنبى والنهوض بالبلاد . فما أن هلك الخديو توفيق وتولى ابنه الخديو عباس حلمى الثانى حتى انتعشت الوطنية المصرية ممثلة فى الشيخ على يوسف وصحيفة المؤيد . ومصطفى كامل ومن بعده محمد فريد من خلال الحزب الوطنى وجريدة اللواء . فقد عمل هؤلاء على بقاء القضية ساخنة لا تخبو نارها ، بما عقد من مؤتمرات فى جنيف وباريس وبروكسل نظمها محمد فريد ، وبالرغم من أن هذا الكفاح لم يسفر عن شئ مهم يحول مسار الأمور ، فإنه عمل على إطلاق الحماسة . وتنوير العقول ، وجعل المصريين يعيشون على أمل تحت شعار «لا معنى لليأس مع الحياة ، ولا معنى للحياة مع اليأس» وظلوا فى حالة غليان داخلى إلى أن وجدوا الفرصة الملائمة ، والزعيم القائد فانطلقوا فى ثورة كبرى وانتفاضة نشطة عارمة عام ١٩١٩ .

وقد تابعـت الهـــلال كل ذلك وبخـــاصة جهـــاد الزعيم مصـطفى كـامل وبـاركته وأشـــادت به .

---

(١٦) هـ . سبتمبر ١٩٨٢ .

(١٧) هـ . فبراير ١٩٨٨ .

ثـــورة ١٩١٩

وإذا كانت الثورة الثانية قد تفجرت عام ١٩١٩ فإن التفكير فيها والإعداد لها بدأ منذ عام ١٩١٣ . وهذا ما تكشفه الهلال من خلال كلام وهيب دوس الذى قال : «واننى اذكر اننى فى سنة ١٩١٣ قابلت سعدا فى بيته وكان هناك حفنى ناصف والشيخ عبد الكريم سلمان والآنسة «مى» واتفق الرأى يومئذ على أن جهاد البلاد لنيل حريتها لا يمكن أن يؤتى ثمرته إلا إذا كان جهاداً منظما وتعاون الجميع على المضى فيه» (١) ثم يذكر دوس انه زار عبد العزيز فهمى عام ١٩١٧ فى الإسكندرية وتحدث معه فى المطالب الوطنية ، ورأى مع عبد العزيز فهمى ضرورة ان يسافر وفد من كبار المصريين إلى أمريكا للقيام بالدعاية هناك (٢) وهذا الحديث المقتضب يظهر التخطيط المسبق لنيل الحقوق وهو الجهاد المنظم الذى يشارك فيه الجميع وتكوين وفد لحمل الرأى العام العالمى على تأييد المطالب الوطنية المصرية . ولم تخرج الثورة فى أدوارها الإجرائية فيما بعد عن ذلك .

(١ ، ٢) الهلال أبريل ١٩٤٩ . ورواية وهيب دوس بعد رحيل سعد زغلول وفى حياة عبد العزيز فهمى ، تدحض مقولة عبد العزيز فهمى التى أوردها فى مذكراته «هذه حياتى» (كتاب الهلال عام ١٩٦٣) وهى أن محمد محمود باشا اقترح على عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وسعد زغلول أن يؤلفوا وفدا من المصريين ليسافر ويطالب بحقوق مصر . ويضيف عبد العزيز فهمى ، أن سعدا رفض هذا الاقتراح بحجة أنه لا أمل فى ذلك وبخاصة بعد انتصار الإنجليز فى الحرب ، ثم غير سعد رأيه لما علم من حسين رشدى وعدلى يكن انهما اتفقا مع السلطان فؤاد على السفر لأوربا للمطالبة بحقوق مصر ، وحينئذ دعا (أى سعد) عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود إلى بيته وأخذوا يتشاورون فى الأمر إلى أن اتفقوا على تأليف الوفد ، ومطالبة المعتمد البريطانى ونجت بالسفر إلى باريس ، ويرد عبد العزيز فهمى السبب فى تحول رأى سعد من الرفض إلى القبول إلى أنه «خشى الا يكون له فى الأمر شئ» .

ولو وقفنا عند النقطة الأولى وهى تعاون الجميع فى النضال فإن هذا يلزمه عدة أسباب مباشرة قوية تستنفر الأمة ، وتفجر طاقاتها . وقد جاءت الرياح بما تشتهى السفن هذه المرة ، فما أن وقعت الحرب العالمية الأولى حتى اشتد جور الإنجليز على الفلاح المصرى الذى يمثل الطبقة العريضة من المجتمع ، يقول وهيب دوس : «فأخذوا – أى الإنجليز – يستولون على القطن والقمح والفول والذرة والحمير والجمال بأبخس الأسعار .. ويغالطون ويماطلون فى الدفع .. وكذلك أخذ الإنجليز يسخرون عمد البلاد ومشايخها فى جمع الشبان والرجال بالقوة للعمل فى جبهات القتال باسم متطوعين» فكان هذا عاملا قويا استفز المصريين وهيأهم للثورة ، ويفطن الدكتور محمد صلاح الدين (وزير خارجية مصر الأسبق) إلى عامل آخر وهو ظهور الشباب المتعلم فى الثورة (٣) . وهكذا اجتمعت القاعدة العريضة مع الصفوة المثقفة فاندفع الشعب فى ثورة غاضبة تدمر المرافق التى يستخدمها الإنجليز ، عندما علم أن زعيم الأمة سعد زغلول ورفاقه تم اعتقالهم ونفيهم إلى مالطة فى الثامن من مارس ١٩١٩ .

وقد نشبت الثورة فى التاسع من مارس ١٩١٩ . واضطربت البلاد ، وازدادت أعمال العنف ، وكان على الهلال أن تنشر شيئا من ذلك فى عدد أبريل ١٩١٩ ، إلا أنها آثرت التحفظ حتى ينجلى الأمر ، وما أن تراجع الإنجليز عن موقفهم ، وأطلقوا سراح الزعماء المعتقلين فى مالطة ، وأباحوا السفر إلى مؤتمر الصلح بباريس ، وصدرت الاعلانات الرسمية بذلك ، حتى أظهرت الهلال موقفها من الثورة ، وجاء عدد مايو ١٩١٩ مصدّرا بصورة سعد زغلول ، ومتضمنا تهانى الهلال ودعاءها بتحقيق «ما يختلج فى القلوب من الأمانى والرغبات الصادقة» ووصفت ما جرى بعد نفى سعد ورفاقه بقولها : «فحدثت بعد ذلك مظاهرات ومشاغبات كثيرة فى القاهرة والبنادر ووقعت أمور مكدرة مما لا مندوحة عنه فى مثل تلك الأحوال» .

وهذا وصف شائه فاتر ضعيف لما حدث ، وتقليل من جهد المصريين وبسالتهم وتضحياتهم ، وكأن الهلال تهادن السلطة ، لأن ما جرى يرقى إلى حد الثورة الشعبية ، وليس مجرد مظاهرات ومشاغبات وأمور مكدرة . والهلال فى هذا الوصف تجارى صحيفة «المقطم» الاحتلالية النزعة التى تجاهلت الثورة يومين ثم عادت تتحدث بعد ذلك

---

(٣) هـ . أبريل ١٩٤٩ .

عن أعمال «شغب ومظاهرات وتجمهر وتخريب» (٤) ، بل إن الهلال فى هذا سايرت الإنجليز أنفسهم الذين زعموا فى أوربا أن ما حدث ويحدث هو قلاقل واضطرابات فى شوارع القاهرة وأمسكوا عن ذكر «ثورة شعبية» اشترك فيها المسلمون والأقباط والطلاب والفلاحون والموظفون والعمال والنساء وسائر الطوائف فى كل أرجاء البلاد .

ثم نشرت الهلال الإعلانات والمنشورات الرسمية التى وقّع عليها السلطان فؤاد يوم ٦ / ٤ / ١٩١٩ ، واللنبى فى ٧ / ٤ / ١٩١٩ وغيرهما وتتضمن مناشدة الأمة ونصحها بالكف عن المظاهرات والإخلاد للراحة وتنقل إلى الجموع الشعبية خبر إطلاق الزعماء من معتقلهم فى مالطة والسماح لهم ولغيرهم بحضور مؤتمر الصلح بباريس .

وقد أبرزت الهلال فى عدد لاحق دور النساء ومظاهراتهن ، ونشرت صورهن وهن يعبرن عن مشاعرهن الوطنية ، أمام الدور الرسمية ، ودور المعتمدين السياسيين ، وخطبهن أمام قصر السلطان فؤاد ، ورفعهن أعلام مصر عالية وهتافهن بالدعاء لمصر وحياة الوطن . ويذكر عبد الفتاح عبادة أنه «مع كثرة الزحام لم يقع من شخص واحد ما يخالف القانون ، بل مع اختلاط النساء والرجال لم يقع حادث مخل بالآداب» (٥) وهذا يظهر انضباط السلوك أثناء الكفاح الوطنى ، وصحة النظر إلى العمل الثورى . وأفاضت الهلال فى ذكر دور المرأة المصرية فى الحركة الوطنية (١٩١٩) وأظهرت أن المرأة وقفت وسط المظاهرات «تخطب بجرأة فى الميادين والطرقات .. وفى كل مكان فى المتظاهرين والمتظاهرات والجماهير المحتشدة حولهن فى المواضيع السياسية والعمومية فكان لكلامهن وخطبهن الرائعة وقع عظيم فى النفوس زاد به تحمس الناس» (٦) .

وكان من نتائج هذه الثورة انتقال اسم سعد زغلول من دنيا الشهرة إلى عالم الزعامة ، وباتت الكلمة التى يسمعها الشعب ويعمل بها هى كلمة سعد . وقد اتسعت صفحات الهلال لمادة كبيرة عن سعد زغلول فى حياته وبعد موته كتبها كل من العقاد وتوفيق دياب وأحمد فريد رفاعى وفكرى أباظة الذى تناول شخصية زعيم الأمة بعد وفاته من مختلف نواحيها . وبالرغم من أنه كان خصما سياسيا لسعد بحكم انتمائه إلى الحزب الوطنى ، فإنه أنصفه ، وعدد عناصر شخصيته الثائرة وحللها ، وأظهر تاريخه

---

(٤) المقطم ١١ / ٣ / ١٩١٩ .
(٥) هـ . يونيه ١٩١٩ .
(٦) هـ . يوليه ١٩١٩ .

منذ أن كان ثائرا من ثوار الأزهر إلى رئاسته لمجلس النواب ، ولم يفته أن يذكر ظُرف سعد باشا وتأثير خطابته على الجماهير ، وقوة حججه وتماسك منطقه (٧) ومن المعروف أن سعد زغلول كان أحد ثلاثة خطباء فى العالم هم : لويد چورچ فى إنجلترا وكليمنصو فى فرنسا وسعد باشا فى مصر .

إلا أن اسم سعد زغلول أخذ يتوارى بعد ثورة ١٩٥٢ فلم يذكر إلا قليلا فى هلال تلك الفترة ، وربما يكون مرد ذلك إلى أن ثورة ١٩٥٢ كانت فى خصومة مع حزب الوفد ، مع أن سعدا كان زعيما تاريخيا لمصر كلها وليس لحزب الوفد فقط ولا يمكن إنكار كفاحه وتعرضه للنفى مرتين إحداهما فى مالطة والأخرى فى سيشل .

هذا وعندما حقق د . عبد العظيم رمضان مذكرات سعد زغلول ، ووقعت فيها أخطاء ، قامت الهلال من خلال مقال للدكتور عبد الخالق لاشين بانتقاد هذه الأخطاء وتصويب نحو خمسين منها (٨) .

فى عام ١٩٤٩ أى بعد مرور ثلاثين عاما على ثورة ١٩١٩ عقدت الهلال ندوة ناقشت فيها أسباب الثورة ، وما حققته من أهداف ، واشترك فى هذه الندوة : وهيب دوس و د . محمد صلاح الدين وعبد الرحمن الجديلى . وقد اختلفت الآراء وتباين التقويم ، فذهب وهيب دوس إلى «أن الثورة لم تحقق أغراضها» وهون من أمر دستور ١٩٢٣ والحكم النيابى ، واعتبر «ما نالته البلاد من وراء تصريح ٢٨ فبراير إنما هو قشور لا تغنى عن اللباب ، وكل ما حدث من التغيير هو أن الإنجليز استبدلوا بحكمهم السافر توجيه دفة الحكم بأيدى من استعملوهم من المصريين» .

ورأى عبد الرحمن الجديلى أن الثورة حققت أغراضها وأخذ يعدد المكاسب الوطنية التى نالتها مصر مثل تضاؤل نفوذ الإنجليز وتحقق الحكم النيابى والحصول على الدستور كما أنه صار لمصر «سفارات ومفوضيات فى الخارج وحرية فى التشريع وفى توجيه التعليم وفى تكوين جيش» ووافق محمد صلاح الدين على ذلك ولكنه أقر بأن أهداف الثورة البعيدة لن تتحقق إلا «بالاستقلال التام» .

---

(٧) هـ . نوفمبر ١٩٢٧ .

(٨) انظر الهلال فى أعداد مارس وأبريل ومايو ١٩٨٧ .

وهذا صحيح لأن الإنجليز بعد تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ ظلوا يتمتعون بنفوذ قوى وندلل على ذلك بحادث ٤ من فبراير ١٩٤٢ ، فمع أن الحكم عاد لحزب الوفد الوطنى «حزب الأغلبية» فإن هذا الحادث فى ذاته يبرهن على أن الإنجليز قادرون على التغيير والتبديل طبقا لمشيئتهم مما يتنافى مع الاستقلال التام ، ولم تمنعهم معاهدة الشرف والصداقة (معاهدة ١٩٣٦) من التدخل المباشر فى شئون كثيرة بما فى ذلك الهجمات العسكرية ، فقد اقتحموا البنادر والكفور المصرية ، واشتبكوا مع المصريين فى الإسماعيلية وبورسعيد ، واحتلوا كوبرى الفردان وجمرك السويس وهاجموا حى كفر عبده فى السويس عام ١٩٥١ ، كما اقتحموا مدينتى أبى صوير والمحسمة واحتلوا التل الكبير عام ١٩٥٢ (٩) مما يعيد إلى الأذهان معارك الثورة العرابية فى الميدان الشرقى . وكان الإنجليز يستخدمون الدبابات والمصفحات والمدافع الأتوماتيكية مما يعنى أنها كانت معارك ضارية مع الفدائيين المصريين فى مناطق القناة وتخومها .

نعود إلى ندوة الهلال السالفة الذكر والتى أنهاها وهيب دوس بقوله : «وإنا لنرجو أن تجد البلاد من شبابها الآن ما يحقق آمالها وأغراضها» (١٠) ولم يمض على هذا الرجاء سوى ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر حتى قام عدد من الضباط الشبان بثورة يوليه ١٩٥٢ .

---

(٩) راجع كتاب عبد الرحمن الرافعى «مقدمات ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢» مكتبة النهضة ١٩٦٤ .
(١٠) هـ أبريل ١٩٤٩ .

ثورة ١٩٥٢

كان الشباب فى الأجيال السابقة على ثورة ١٩٥٢ عنصرا فعالا فى الجهاد الوطنى والثورة على المحتل ، وثورة ١٩٥٢ نفسها قامت بها مجموعة من الشبان . ومن ثم أدرك قواد ثورة يوليو الخطر الذى يمكن أن يحيط بهم ، ويؤثر على مستقبل الثورة واستقرارها من العمل الشبابى . لذلك فإن أول ما يلقاه المتصفح لمجلة الهلال عقب نجاح الثورة مباشرة هو رسائل متوالية إلى الشباب ، ومقالات متلاحقة عن الشباب تنصحهم بالانصراف إلى مذاكرة دروسهم والبعد عن العمل السياسى .

ففى عدد سبتمبر ١٩٥٢ من الهلال وجه الرئيس محمد نجيب «رسالة إلى الشباب» يقول فيها : «أما رسالتى إلى الشباب ، فهى أن يباعد بينه وبين النزوات ما وسعه البعد ، وأن يدرك أن طريق المجد شاق وطويل» .

وفى عدد نوفمبر ١٩٥٢ من الهلال ، يوجه الرئيس محمد نجيب نصائح جديدة للشباب على هذا النحو : «وعلى الشباب من الطلبة أن يعلموا أن مقاليد الأمور قد استقرت فى ايد تخاف الله ، وتحرص على كرامة الوطن ، وأن عهد الفساد قد ذهب إلى غير عودة ، فمن الخير لهم وللبلاد كلها أن ينصرفوا إلى تلقى دروسهم حتى يجنى الوطن ثمار علمهم وعملهم ، وأن يتركوا كل شئ بعد ذلك للقادرين على خدمة الأمة من رجالها الصالحين الذين ينتظرهم طريق شاق طويل من الجهاد» .

ونجد على صفحات الهلال أيضا مقالة بعنوان «إلى شباب الجمهورية» كتبتها أمينة السعيد والمطلوب فيها من الشبان هو : «أطالبكم بالدروس فقط ... أما الحكم على الأمور فليس الآن من شأنكم فاتركوه للكبار» [1] فهذا هو المراد من كثرة الحديث عن الشباب فى تلك الفترة المبكرة من عمر الثورة .

(١) هـ . سبتمبر ١٩٥٣ .

وقد شذ عن هذا الاتجاه فتحى رضوان الذى تولى وزارة الإرشاد القومى وقتئذ ، فإنه راح يخاطب الشباب قائلا : «ايها الشباب اشتغلوا بالسياسة» لتوسيع الآفاق ، وانضاج المدارك ، وتقوية الشخصية» ، ويقول «أنا أدعو الشبان أن يشتغلوا بالسياسة كما اشتغل بها لينين ونهرو ومحمد فريد وغاندى وديفاليرا» (٢) .

هذا فى الوقت الذى يدعو فيه قائد الثـورة الشباب إلى الانصراف عن السياسة، ووزير الارشاد الذى مهمته الإرشاد والتوعية والتثقيف يحث الشباب حثا على الاشتغال بالسـياسة ، والتطلع إلى الزعامة ، وقد أدى هذا إلى تدخل طاهر الطناحى ليخفف من وقع كلام فتحى رضـوان ، فذهب إلى ان السـيد فتحى رضوان يدعو الشباب إلى «العناية بالوطنية» (٣) . وهناك بون شاسع بين السياسة التى تعنى بتدبير شئون الدولة وترسم اتجاهها ، والوطنية التى يمكن أن تتجلى فى أى عمل يعود على الوطن بالنفع . وقد زاد الكلام فى موضوع الشـباب فكتب كمال الدين حسين «الشـباب عزيمة وكفـاح» وعـبد الرحمـن الرافعى «دروس للشباب ...» و د . أحمد زكى «شيخ يتحدث إلى الشباب» ولم يقف الكلام عند هذا الحد فأصدرت الهلال عدداً خاصا عن «شباب عهد التحرير» فى أبريل ١٩٥٣ .

لم يكن قد مضى على قيام الثورة غير أسبوعين حتى بعث محمد نجيب بخطاب مخطوط إل مجلة الهلال ، يبارك فيه مسعاها ، ويثنى على جهود القائمين عليها هذا نصه :

«من اللواء محمد نجيب إلى مجلة الهلال

«مجلة الهلال دعامة الأدب ، وأساس النهضة العلمية والاقتصادية ، ولن ينسى مصرى أو سودانى ما لدار الهلال من أياد بيضاء على وادى النيل ، فقد رفعت منار العلم والعرفان فى البلاد . فشكرا للقائمين على ذلك» .

١٩٥٢/٨/٥

لواء أركان حرب
محمد نجيب
القائد العام (٤)

---

(٢) هـ . سبتمبر ١٩٥٣ .
(٣) هـ . نوفمبر ١٩٥٢ .
(٤) المصدر السابق .

وفى مناسبة مرور ستين عاما على الهلال أرسل محمد نجيب كتابا مخطوطا آخر تضمن تحية للهلال قال فيه :

«ستون عاما فى خدمة الصحافة .. ستون عاما فى خدمة الأدب .. ستون عاما فى خدمة وادى النيل . ليس بعد هذا فخر يدانى فخر أسرة دار الهلال ، ولا شرف يدانى شرف صحفها الرشيدة التى تهدف إلى خدمة الثقافة والعلم والأدب بأحدث الأساليب ، ولن ينسى أحد جهادها المجيد للنهضة الصحفية فى البلاد ومساهمتها فى حركة التحرير . وللهلال الغراء مكانتها المرموقة فى بلاد العروبة جميعا فلله در دار الهلال فأهنئها والقائمين عليها بهذا العيد الستينى السعيد ، وهو عيد ذهبى فى تاريخ الصحافة والأدب .

١٩٥٢/١٠/٢١ **محمد نجيب**

لواء أ.ح (٥)

. وحفلت الهلال فى عامى ٥٢ و ١٩٥٣ بأحاديث محمد نجيب ، وخطاباته ، ومقالاته التى تناول فيها الجيش المصرى ومستقبله ، ومقتطفات من أقواله ، وصوره المختلفة ، وموازنة بينه وبين أحمد عرابى كتبها عبد الرحمن الرافعى .

وعلى صفحات الهلال تبادل زعماء الثورة التحية ، فقال جمال عبد الناصر «إذا كان لكل ثورة هدف ، ولكل حركة غاية فقد كان هدف الثورة التى رأسها اللواء محمد نجيب هو الإصلاح الشامل لكل مرفق من مرافق البلاد» (٦) .

أما محمد نجيب فقد كتب تحت عنوان «نمر الثورة المصرية جمال عبد الناصر» : «ليس فى خصائص جمال عبد الناصر من النمور إلا قوة صفاتها ، بل صدق ثباتها ، فهو يرضى عن كل شئ إلا أن يرى بلاده تهوى بها عناصر الفساد ، وتسئ إليها عصابات السوء . عندئذ ينقلب الإنسان الحليم الوديع نمرا هائجا لا يتقهقر فى وثبته ولا يضعف فى هجمته» (٧) .

---

(٥) هـ . يناير١٩٥٣ .
(٦) هـ . مارس ١٩٥٣ .
(٧) المصدر السابق .

ولم يمض وقت طويل حتى دب الخلاف بين الزعيمين ، وسرعان ما اتسع إلى أن وقعت أزمة مارس ١٩٥٤ ، وبعد ذلك اعتقل محمد نجيب فى المرج ، وأخذ يتألق نجم جمال عبد الناصر . ويذهب أنور السادات فى مقال نشرته الهلال فى يوليه ١٩٥٦ إلى أن الثورة قامت ومحمد نجيب لا يعرف عنها شيئا ، وأن القائد الحقيقى للثورة هو جمال عبد الناصر . وأسهب السادات فى إطراء عبد الناصر وكال له المديح (٨) .

وقد تغيرت لهجة الهلال - بطبيعة الحال - فى عهد الثورة ، فبعد ان كانت تنشر المقالات فى مدح الملك السابق وتتحدث عن الحياة السياسية السابقة ، صارت تحمل على الماضى ، وتدين العهد البائد ، وتمجد الثورة وتمنى البلاد بمستقبل سعيد فى العهد الجديد ، وتنشر مقالات تشيع فيها نغمة التفاؤل ، ويبدو منها أن الخير مشرف على الناس ، وأن مطالع السعد دانية الأوان ، بعد أن ولّت المحن الشداد . كذلك اتسمت بعض المقالات بالمبالغة . والمغالاة ، من مثل قول فكرى أباظة :

«رأيت اسم مصر يصعد من السفح حتى يصل إلى القمة ، ويرتفع من الحضيض حتى يصل إلى السماء ويمسح الحاضر الماضى ويمحوه .. كانت (الثورة) زهوا وتيها على العالمين ، والعجيب أن الإجماع على الإعجاب بها انعقد بين جميع الطبقات فى جميع الدول والشعوب» (٩) وكأن الثورةأدركت الغاية ، وبلغت المراد فى شهرين ، وكان له أن يقول ذلك بعد فترة من الزمن يتحقق فيها الكمال للنظام .

وحذر بعض الكتّاب العقلاء من تملق الجماهير ، فقد تساءل الدكتور إبراهيم مدكور عن : «ماذا يمكن أن تسفر عنه نهائيا ثورة سنة ١٩٥٢» وعيّن علل الماضى (١٠) . وذهب محمد فريد أبو حديد إلى أن الظلم وقصر النظر والغرور والفساد كانت وراء سقوط عروش السلطان عبد الحميد والخديو عباس الثانى والملك فاروق (١١) مع أن الخديو عباس الثانى عزله الإنجليز لموالاته للأتراك . ورأى الأمير مصطفى الشهابى (سفير سوريا فى مصر وقتئذ) أن شعوب الشرق لم تعد تحتمل الفوارق الكبيرة بين

(٨) راجع «قصة الثورة كاملة» بقلم أنور السادات - كتاب الهلال يوليه ١٩٥٦ .
(٩) هـ . نوفمبر١٩٥٢ .
(١٠) هـ . يناير ١٩٥٣ .
(١١) هـ . سبتمبر ١٩٥٢ .

الطبقات ، ولا حصر الحكم فى عائلة أو طبقة محددة «ولا إنفاق أموال الدولة على غير المستحقين» . (١٢)

وتردد على صفحات الهلال فى بدايات الثورة شعارات نسيناها الآن ، نذكر بواحد منها وهو «الاتحاد . والنظام . والعمل» كما عبر بعض الكتّاب عن بهجتهم بإلغاء الألقاب مثل بك وباشا ، وتحدثت الهلال عن الأناشيد الوطنية التى تسابق المطربون والمطربات فى تسجيلها وإذاعتها ، وتنتقد الهلال بعض أناشيد الثورة التى يجب أن تكون «هائلة كهولها ، ثائرة كثورتها ، متحمسة كحماستها» (١٣) .

وإذا كانت ثورة عرابى حققت حياة نيابية وأخفقت فى منع الانجليز من دخول مصر، وفشلت ثورة ١٩١٩ فى طرد الإنجليز، بالرغم من نجاحها فى إقامة حكم نيابى دستورى ، فإن ثورة ١٩٥٢ حققت جلاء الإنجليز ، وزعمت أن الأحزاب فاسدة ، وبدلا من أن تعمل على إصلاحها ، قامت بتعطيلها ، وغاب الحكم النيابى الصحيح عن مصر ، وتلاشت الديمقراطية .

ومما لا شك فيه أنه من أهم إنجازات الثورة وحسناتها ، تحقيق الاستقلال التام بطرد الإنجليز من منطقة القناة ، وإنهاء نفوذهم الإدارى والسياسى فى البلاد . ففى ١٩٥٤/١٠/١٩ تم توقيع اتفاقية الجلاء ، وقد عبرت الهلال عن فرحتها بهذه المناسبة من خلال مقال لمحمد فريد أبو حديد جاء فيه : «إن صفحة أخرى قد بدأت فى حياة مصر تعود فيها الأمة المصرية إلى الميدان الفسيح الذى تجول فيه أمم العالم المتمدن لتتعاون معها على رفعة الإنسانية وخدمة الثقافة وتحقيق السلام» (١٤) .

ولكن هذا الاستقلال الذى تم بخروج الإنجليز سرعان ما بات مهدداً ، فقد أخذت عجلة الزمن تعود القهقرى عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر ١٩٥٦ ردا على تأميم قناة السويس ، فقد احتل المعتدون سيناء بالكامل وجزءا من أرض القناة ، فضلا عن تحطيم القسم الأكبر من الجيش المصرى . وكان هذا العدوان دافعا إلى كتابة مقالات عديدة فى الهلال تهاجم الاستعمار ، وتسرد تاريخه ، وتنشر مخازيه ، وتظهر أكاذيبه (١٥) .

---

(١٢) هـ . يناير ١٩٥٣ .
(١٣) هـ . يناير ١٩٥٣ .
(١٤) هـ . ديسمبر ١٩٥٤
(١٥) راجع هلال ديسمبر ١٩٥٦ .

وأثار هذا العدوان روح التعاطف بين العرب ، وأدرك بعض الأشقاء في الدول العربية أنه لابد من الاتحاد لمواجهة مؤامرات الغرب والصهيونية فأعلن عن قيام «الجمهورية العربية المتحدة» في أول فبراير ١٩٥٨ بين مصر وسوريا واليمن . وكان لقيام هذه الدولة صداها في الهلال ، فقد ابتعث بعض الكتّاب ، مثل سامي الكيالي (سوري) أحلام الماضي ، وتتبع فكرة القـومية ، وكيف أخذ يتكون الوعي القومي فترة بعد فترة إلى أن قامت الجمهوريةالعربية المتحدة (١٦) وكتب طه حسين عن القومية العربية ورد نشأتها إلى وقت ظهور الإسلام (١٧) .

وقد ساعد الأدباء بمقالاتهم في تعزيز الوحدة والفكر القومي ، فتناولوا الثقافة العربية والقومية باعتبارها رابطة دائمة تربط الشعوب العربية وتعمل على تلاحمها ، وفي هذا كتب العقاد «لا إقليمية في الأدب العربي .. بل أدب عربي واحد وصور متعددة» (١٨).

وطالب صلاح البيطار (وزير الثقافة والارشاد المركزي في ذلك الوقت) الأدباء بأن يوجهوا تفكيرهم «نحو ما يقضي على النزعات الاقليمية» حتى تفكر العقول العربية تفكيرا عربيا واحداً (١٩) .

ولكن كل هذه الكتابات لم تحل دون وقوع انقلاب عسكري سوري أدى إلى الانفصال بين سوريا ومصر عام ١٩٦١ .

وتمضي مسيرة الثورة تحت زعامة عبد الناصر إلى أن تقع الحرب العربية الإسرائيلية في الخامس من يونيه ١٩٦٧ ، وكانت نتائجها مخيبة للآمال الوطنية والقومية .

وقد أثرت هزيمة يونيه ١٩٦٧ على مستقبل الأمة العربية ، ونالت من طموحاتها .

ولهذا فتحت الهلال صفحاتها لدرس القضية ، وتقليب أوجهها . فكتب د . فؤاد زكريا مقالة صاخبة في هلال أغسطس ١٩٨٦ عن الهزيمة لإظهار أبعادها ، والبحث في أسباب وقوعها ، واستبعد أن يكون الخط الاشتراكي في مصر بما له من صلة مع

') هـ . مارس ١٩٥٨

) هـ . يناير ١٩٥٩

١) هـ . يونيه ١٩٥٨ .

١') هـ . يونيه ١٩٥٩ .

السوفييت هو سبب الهزيمة ، كما استبعد أن يكون الاتجاه العلمانى للدولة وراء النكسة . ورد الأسباب إلى ضعف الجبهــة الداخلية مما اتاح الفرصــة للتــآمر الخارجى أن ينفذ إليها ويؤثر فيها ، وحصر عوامل الضعف في «عيوب الحكم الفردى المطلق ، وانعدام المشاركة الشعبية الحقيقية ، وما يترتب على ذلك من استخفاف بالقانون ، وخلط بين المصالح الشخصية والمصلحة العامة ، والارتكاز على عناصر القوة المادية المباشرة فى عملية الحكم ، وفى تحقيق التوازن بين قوى المجتمع» (٢٠) وقد رد عليه اخرون من أمثال فتحى رضوان ومحمد سيد أحمد ومحمد عودة ومنهم من أيدّ ومنهم من ناقش وانتقد .

وأضم صوتى إلي صوت د . فؤاد زكريا فى أن الحكم المطلق هو الآفة التى تضعف الأمة ، لأن الشعب عندما يدرك أنه لا يشارك فى الحكم ، أو فى اتخاذ القرار ، ينصرف إلى مصالحه ، من أجل تحقيق منافعه حتى ولو تضاربت مع اتجاه الدولة . ومع ذلك فإن تأثير هذه النقطة ضعيف فى هزيمة يونيه ١٩٦٧ لأنه عندما انتصرنا عام ١٩٧٣ لم تكن هناك حياة ديمقراطية صحيحة .

وقد تابعت الهلال كل أحداث الثورة وسجلتها ومنها طرد الملك ، وإعلان الجمهورية ، وتحديد الملكية الزراعية . ومنح الشعب السوداني حرية تقرير المصير ، وجلاء الإنجليز ، وتأميم قناة السويس وتنفيذ مشروع السد العالى ، وتطبيق النظام الاشتراكى، والنهوض بالصناعة ، والتضامن الأسيوى الأفريقى ، والحياد الايجابى وغير ذلك .

وكما سجلت الهلال إنجازات الثورة بأحرف من نور ، سجلت أوجه قصورها وسلبياتها بأحرف من نار ، فقد قال الدكتور فؤاد زكريا بعد أن سرد عددا من العيوب التى اشرنا إليها : «هذه العيوب ليست مجرد سلبيات توضع فى كفة الميزان مقابل الإيجابيات التى تحققت بالفعل كالاتجاه إلى تأكيد الاستقلال الوطنى ، وتأييد حركات التحرر ومحاولة إيجاد نموذج مستقل للتنمية الاقتصادية وإنما هى سلبيات من طبيعتها أن تبطل تأثير أية ايجابيات تصادفها فى طريقها» (٢١) .

(٢٠) هـ . أغسطس ١٩٨٦ .
(٢١) هـ . أغسطس ١٩٨٦ .

على أن الرواية لم تتم فصولا كما يقال ، فقد ظل الشعب المصرى يرنو إلى الأرض المحتلة ، وراحت الصحف والمجلات تنوح على سيناء الأسيرة ، وسيناء الحبيبة ، وفى هذا الإطار أصدرت الهلال عدداً كاملا عن سيناء فى يونيه ١٩٧١ كتب فيه د . أحمد شلبى ومحمد العزب موسى و د . عبد الحميد يونس وغيرهم وتناول جملة من تاريخها وجغرافيتها وسكانها . وكان الرئيس السادات قد تسلم السلطة غداة وفاة الرئيس عبد الناصر فى أواخر عام ١٩٧٠ وأعطى وعوداً بتخليص سيناء من الأسر ، إلى أن عبر الجيش المصرى إلى الجانب المحتل من أرض الوطن ، وحطم خط بارليف ، ورفع علم مصر عاليا على جزء من سيناء فى ٦ من اكتوبر ١٩٧٣ . ثم توقف القتال بعد اسبوعين تقريبا . لقد عرف الرئيس السادات كيف يهيئ الأجواء للجيش المصرى ليفعل شيئا يبيض وجه مصر . وقد هللت الهلال لهذا النصر وعبرّ كتابها عن وطنيتهم فى أعداد مختلفة ، وفى اكتوبر ١٩٧٦ أصدرت الهلال عدداً خاصا ضخما مزينا بالصور المفرحة يقع فى ٤٨٢ صفحة عن حرب اكتوبر . وكانت أمينة السعيد رئيسة تحريره يعاونها فيه رجاء النقاش . وعرض للحرب من نواحيها المختلفة .

ثم بدأت رحلة السادات إلى القدس التى انتهت بمعاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩ وعودة سيناء إلى مصر بشروط معينة . وقد سجلت الهلال هذه الأحداث فى أعداد مختلفة عندما كان الدكتور حسين مؤنس رئيسا لتحريرها .

الدعوة للتعليم
والتمدن الحديث

دعت الهلال منذ نشأتها إلى العلم الراقى ، لأنه أساس التمدن الحديث وزينة الهيئة الاجتماعية والمحارب للخرافات والأوهام .

وتميزت دعوتها بتحديد النقص ، ولفت النظر لملافاته ، وتعيين ما ينبغى عمله ، والأسلوب الذى يجب مراعاته فى ذلك .

وقد كتب زيدان سلسلة مقالات مطولة يظهر فيها احتياجات الطلاب إلى دروس فى علوم حديثة تعمل على بناء أجسامهم (١) ، وترقية مداركهم العقلية ، وتعميق اتصالهم بالحضارة الحديثة عن طريق استيعاب الأفكار الفلسفية والاقتصـادية ، والقضائية وغيرها ، ومما قاله : «هناك مؤلفات كثيرة فى علوم حديثة نحث المدارس على تعليمها ، ونتقدم إلى كتابنا أن ينقلوها إلى لساننا لأننا فى حاجة إليها ككتب الاقتصاد السياسى، وعلم العمران – السوسيولوجيا – والتربية وعلم الرياضة البدنية – الجمناز – وتدبير المنزل ، وآداب السلوك وغيرها ، فإن المنقول منها إلى لساننا قليل جدا بالنسبة إلى ما أدخره علماء الإفرنج من جواهرها فى لسانهم» (٢)

وينبه إلى وضع كتب فى فلسفة القوانين على غرار ماكتبه مونتسكيو فى روح القوانين وبنتام فى أصول الشرائع وأخرى فى المعاهدات الدولية وغيرها فى حقوق الدول وعلاقاتها بعضها ببعض وتأليف كتب فى مسك الدفاتر والزراعة ، ووضع كتب مستقلة لكل صناعة على حدة مثل التفصيل والصباغة وصناعة الساعات والحدادة والصياغة (٣) .

---

(١) كتب زيدان عدة مقالات عن الرياضة البدنية وفوائدها وأثرها فى الهيئة الاجتماعية أنظر أعدادا مختلفة فى هلال السنتين السابعة والثامنة .
(٢) هـ . ١٥ – ٢ – ١٨٩٧ .
(٣) هـ . ١٥ / ٣ / ١٨٩٧

ويوجه انتباه المسئولين عن التعليم إلى نقل منظومات فطاحل شعراء الافرنج قديما وحديثا من أمثال فرجيل وهوراس ودانتى وجيته وشيلر وشكسبير وملتون وهوجو وراسين وغيرهم ، ويلفت الأنظار إلى عيوب ترجمة الكتب المدرسية لتعليم اللغات مثل القواميس وغيرها فإنه «يجب التدقيق فى وضع الألفاظ العربية الصحيحة إزاء مايقابلها من الألفاظ الأفرنجية لأن بين الكتب التعليمية التى تعلم الآن فى المدارس الأميرية وغيرها كتبا سقيمة التركيب عامية الألفاظ ليست من اللغة العربية فى شئ فمثل هذه الكتب مفسدة لملكة اللسان العربى لأنها تغرس فى أذهان التلاميذ ركاكة التعبير فنوجه أنظار مؤلفيها إلى ذلك» (٤) .

وغير هذا مما أوصى به فى العلوم الطبيعية ، ونقل كتب التاريخ المطولة ، ووضع كتب مبسطة فى النحو والصرف إلى أخره .

ولم تذهب هذه الدعوات والصرخات فى واد ، فقد التفتت وزارة المعارف فى عهد حشمت باشا إلى ما يساعد المرأة على ترتيب منزلها وتربية أولادها فأنشأت مدرسة التدبير المنزلى عام ١٩١٠ فى «القبة» ووجهت عناية أكثر إلى التعليم الفنى مثل الزراعة والتجارة ، والجديد فى المدارس الفنية أثناء تولى حشمت باشا وزارة المعارف أنها صارت تدرس العلوم الفنية باللغة العربية (٥) بعد أن كانت تدرسها بالإنجليزية .

وإذا كنا اليوم نناقش قضية تعريب العلوم ، ونختلف حولها ، فإن الهلال أثارتها منذ سنة ١٨٩٧ ، فقد أثنى زيدان على تعليم العلوم الطبيعية ومن بينها الطب فى المدرسة الكلية السورية عندما كان يتلقاها من أساتذته باللغة العربية ، فلما عدلت هذه الكلية عن الفصحى بعد ذلك أظهر استياءه وأوضح أن التلاميذ منذ ذلك الحين «يخرجون منها وعلومهم فى صدورهم وقلما يستطيعون نشرها بين أصحابهم بلسانهم ، فهم بالطبع لا يستطيعون الكتابة فيها ، نعم إنهم إذا قرأوا كتابا علميا فى العربية فهموه ، ولكن من يكتب لهم تلك الكتب وهم الذين يرجى منهم التأليف فيها ، فتعليم العلوم الطبيعية .. باللغة الإنكليزية قد أضر فى اللغة العربية ضررا بليغا» فإذا كان بعضنا يأخذ على تعليم العلوم بالعربية عدم التواصل مع الجديد ، فإن جرجى زيدان يظهر عيبا

---

(٤) هـ . ١٥ - ٢ - ١٨٩٧

(٥) هـ أكتوبر ١٩١٠

كبيرا فى تلقيها باللغات الأجنبية وهو عدم قدرة هؤلاء على التأليف فى هذه العلوم بالعربية وهذا مكمن الخطر .

ولكى نظهر أن تعليم العلوم بالعربية ممكن ومفيد ، نشير إلى أن د. عبد الملك أبو عوف (أستاذ بكلية الصيدلة - جامعة القاهرة) درس الصيدلة بجامعة دمشق بعد ما قضى أعواما كثيرة يدرسها بالإنجليزية فى مصر ، وتمكن من «وضع مؤلف ضخم باللغة العربية فى الكيمياء العضوية ، كما أن نتائج طلبته فى جامعة دمشق كانت أفضل من نتائج طلبته فى جامعة القاهرة (٦) وهذا يؤكد صحة كلام جرجى زيدان .

وإذا كان علاّمة الهلال قد أدان المدرسة الكلية السورية لأنها تحولت إلى التعليم بالإنجليزية فإنه أدان وزارة المعارف المصرية للسبب نفسه ، فقد كانت العلوم الطبيعية تلقن بالعربية إلى أن جاء الاحتلال الإنجليزى فصارت تعلم بالإنجليزية أو الفرنسية وفى هذا يقول : « فكأن نظارة المعارف تسعى فى إماتة اللغة العربية وبعبارة أخرى فى إماتة العلم بين أهل اللسان العربى» وكرر القول بأن المتخرجين لايستطيعون التعبير عن حقيقة علمية ، وأنهم لو تعلموا العلوم بالعربية لاستطاعوا التأليف ومحادثة الناس بسهولة .

وأخذ يناقش الأسباب التى دعت إلى العدول عن التعليم بالعربية ورد عليها وهى :

أولا : أن التعليم بلغة اجنبية يساعد على إتقانها ، ورد على هذه المقولة بأن تعلم اللغة الأجنبية محصور فى مصطلحات ذلك العلم وفى اللغة التى يتعلم بواسطتها «وهذه هى الحال فى العربية أيضا فإن الذى يدرس العلوم الطبيعية فى العربية لا يفهم اصطلاحاتها فيها ولو كان عالما فى قواعد اللغة» .

ثانيا : أن العربية فقيرة فى المؤلفات العلمية ، ورد على هذه النقطة بأن هناك كتبا تكفى لهذا الغرض الآن «وهب أنها غير موجودة ففى إمكان النظارة تأليفها بسهولة» وذهب إلى أن تعليم العلوم بالعربية لا يمنع من إتقان لغة أجنبية والاطلاع بواسطتها .

ثالثا : عدم كفاءة المعلمين وهذا يرده إلى أنهم لم يتلقوا أصلا علومهم بالعربية .

وحمّل الانجليز ذنب تعلم العلوم باللغات الأجنبية وله عبارة يقول فيها : «بعد أن

(٦) من مقال د. محمد السيد سليم . أهرام ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٣ .

سرنا فى النهضة العربية شوطا بعيدا عدنا فوقفنا هنيهة كأن عجلات مركبتنا عثرت بالاحتلال الإنجليزى فوقفت» (٧) .

ولم تكن الهلال فى تلك الفترة تنشد من وراء ذلك الفائدة العلمية فقط ، وإنما ترمى أيضا إلى تعزيز الوجدان القومى ، وإحياء آداب اللغة ، وتجديد عطائها .

وهذه القضية – تعريب العلوم – من القضايا المتجددة فى الساحة التعليمية والثقافية والمجامع اللغوية العربية ، وآخر ما أصدره مجمع اللغة العربية فى دورته الثامنة بعد الخمسين : «يوصى المؤتمر الدول العربية وجامعاتها بتعريب التعليم الجامعى فى جميع مراحله وتعد المعجمات العلمية المتخصصة التى أصدرتها مجامع اللغة العربية الركيزة التى تقوم عليها حركة التعريب» كما أوصى المؤتمر «بنقل تراث الفكر والأدب العالميين إلى اللغة العربية»(٨) وعلى هذا فإن الهلال سابقة لعصرها بخمس وتسعين سنة ، فقد قرر صاحبها بمفرده ما اتفق عليه الخالدون فى مجمعهم .

الدعوة إلى انشاء جامعة مصرية

كانت الحركة التعليمية بمصر فى أواخر القرن التاسع عشر آخذة فى الاتساع والتنوع فهناك تعليم عام وفنى ومدارس للبنات ، ومدارس أجنبية ، حتى الكتاتيب ألحقت بوزارة المعارف اعتباراً من ١٨ من يونيه ١٨٩٠ ونهضت وتحولت إلى مدارس ، فضلا عن إنشاء المدارس العالية مثل الحقوق والهندسة والطب ، ومعنى هذا أن الظروف كانت مهيأة لأن تنتقل مصر من دور المدارس التى تعلم الصغار إلى دور الجامعات التى تعد الرجال لقيادة الوطن ، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى دعاة عارفين ومخططين يوجهون ، وكان المنتظر أن تقوم صحيفة المؤيد بالدعوة إلى هذا العمل ، فقد كادت كتاباتها – فى تلك الفترة – تقترب من فكرة الجامعة ، إذ أنها شنت حملات ضارية على المدارس الأجنبية فى مصر واتهمتها بإفساد النشء ونادت بإصلاح المدارس العالية حتى لا يلجأ طلاب العلم إلى مدارس أوربا صيانة لثروة البلاد وغير ذلك (٩) .

---

(٧) هـ ١٥ – ٢ – ١٨٩٧

(٨) الأهرام ٢١ – ٢ – ١٩٩٢ .

(٩) راجع منتخبات المؤيد لسنة ١٨٩٠ – المجلد الأول .

وتقدمت الهلال إلى الأمة فى فبراير ١٩٠٠ داعية إلى انشاء جامعة مصرية عصرية ، وكتبت تحت عنوان «مدرسة كلية مصرية هى حاجتنا الكبرى» : «نحن فى حاجة إلى مدرسة كلية تعلم العلوم العالية يتولى أمرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة فى الاعتماد على النفس والإقدام وحرية الفكر والقوة ومعرفة الحقوق والواجبات» وأخذ جورجى زيدان يعدد فوائد الجامعة ومنها أن خريجى هذه الجامعة يبثون العلم فى سائر القطر، وأنها تقوم بالتعليم بدلا من إرسال الطلاب إلى أوربا ، وإذا كانت جريدة «المقطم» تعمل على انصياع المصريين للانجليز وتقـول «أحسنوا الظن بالمحتلين» (١٠) فإن الهلال قالت بأن العلم هو طريق الحرية والاستقلال ، وأن المتعلمين المستنيرين أكثر تلبية لنداء الاستقلال من الجهال ، وتبين أن الإنجليز حققوا المجد والعظمة «بالعلم والتربية» وأنهم - أى الإنجليز - ليسوا «من طينة خصوصية» فربط بين العلم والاستقلال وحب الوطن من ناحية وبين العلم وحياة اللغة العربية وإحياء أدابها من ناحية أخرى

وحدد زيدان المطلوب فى شيئين : الأول : المال الكافى ويمكن تحصيله عن طريق الاكتتاب والتبرع ، والثانى : الأساتذة وأمرهم ميسور بعد توفير المال ، وراح يدعو إلى «تشكيل لجنة يرأسها أحد كبار الأمة المشهورين بالغيرة على الوطن المصرى فتسعى فى جمع المال» وحث الصحف على مساندة دعوته وصولا لهذه الغاية .

وظلت المجلة تواصل دعوتها وتغذيها وتكرر أن الرأى والفكر والاعتماد على النفس طريق الاستقلال ، وهذا لا يتأتى إلا بالتعليم الراقى (١١) ، وقد لاقت دعوة زيدان عنتا كبيرا من جهات عديدة ولكنه صـمد وقاوم ، ورد على أحمد حـافظ عوض الذى كتب فى المؤيد أنه يجب الاهتمام بالكتاتيب أولا ، وسخر زيدان من هذه الفكرة فى مقال جعل عنوانه «الكتاتيب أم مدرسة كلية» (١٢) يوضح فيه أننا فى حاجة إلى جامعة تضم عدة كليات أكثر من حاجتنا إلى كتاتيب ، وقاومت الهلال دعوة مماثلة من كرومر ، وفندت ما قاله رئيس الوزراء من أن إنشاء جامعة مصرية أمر سابق لأوانه ، وفى نهاية المطاف تألفت لجنة وسـارع الغيورون على الاكتتاب ، وفى نوفمبر سنة ١٩٠٦ تنشر الهلال

---

(١٠) المقطم ٦ - ٤ - ١٨٩٨ .
(١١) هـ . ١٥ - ٢ - ١٩٠٠ .
(١٢) هـ . أول أكتوبر ١٩٠٥ .

مقالا شاملا فى أكثر من عشرين صفحة عن الجامعة المصرية ، وتقترح أن يكون التعليم فيها باللغة العربية ، وتعلن عن غبطتها بافتتاح الجامعة المصرية فى ٢١ - ١٢ - ١٩٠٨ (١٣) وقد عملت هذه الجامعة على تحقيق نهضة علمية ووطنية ، فكان طلبتها ممن شاركوا فى ثورة ١٩١٩ .

على أن صاحب الهلال لم يقف عند هذا فقط ، وإنما أخذ ينتقد التعليم الثانوى الذى يؤهل الطالب للتعليم الجامعى ورأى أن «مايلقى فى المدارس المصرية أقل مما يطلب للبكالوريا فى البلاد الأخرى .. فالكليات هنا تتوسع فى التاريخ العام والجغرافيا وتعلم فلسفة التاريخ والاقتصاد السياسى والفلسفة العقلية والأدبية والمنطق ومبادئ اللغات القديمة وهذه كلها لا وجود لها فى المدارس المصرية بل هى تكتفى بمبادى أولية فى التاريخ والجغرافيا» وكان هذا دافعا إلى إدخال مواد علمية جديدة فى التعليم الثانوى مثل الفلسفة والمنطق والتوسع فى التاريخ والجغرافيا كذلك نبه صاحب الهلال إلى أن «طالب آداب اللغة العربية - فى الجامعة - يجب أن يكون له إلمام بأخواتها السامية وهى السريانية والعبرانية والحبشية ، كما يجب على طالب آداب اللغة الفرنسية أن يعرف مبادى اللاتينية واليونانية» وهو ما أخذ به بعد ذلك ، وهناك انتقادات وتوجيهات كثيرة لا تقل أهمية عما ذكرناه (١٤) .

وكل هذا يظهر أن الهلال كانت يقظة فى فترة التحول التعليمى ، تراجع وتهدى ، وتعين النقص ولا تكتفى بالنقد ، وتلجأ إلى المضاهاة والموازنة بين مدارسنا ومدارس الغرب ، ولتكشف عن الثغرات التى يمكن بعد ذلك سدها .

وأخذت الهلال تتابع حركة التعليم فى مصر وتشير إلى ما يجرى فى العالم الغربى ، وتوجه اهتمامها إلى الفكر التربوى من خلال كتابات جوستاف لوبون (١٥) ومحمد على علوبه الذى عرض لمناهج الدراسة ، ومايراه من طرق إصلاحها (١٦) وما كتبه أحمد فهمى العمروسى عن التربية وأهدافها (١٧) وكان للحرب العالمية الأولى أثرها فى

---

(١٣) كتب مصطفى نبيل بحثين عن دور الهلال فى إنشاء الجامعة انظر هـ سبتمبر ١٩٨٨ ومجلة المصور فى ٢٤ - ٤ - ١٩٩٢ .

(١٤) هـ . أول فبراير ١٩٠٩.

(١٥) هـ مايو ١٩٢٣

(١٦) هـ ابريل ويوليه ١٩٢٢ .

(١٧) هـ نوفمبر ١٩٢٦ .

مناهج التربية فقد بين أمير بقطر أهمية بث مبادئ التربية السلمية فى نزع روح القتال من النفـــوس ، ومن أهـم ما التفت إليه الهـــلال التعليم عن طريق الراديو (١٨) وهـــو ما نشهده الآن .

عدد خاص للمعارف

وفى مارس ١٩٣٧ أصدرت الهلال عدداً خاصا عن وزارة المعارف بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء أول ديوان للمدارس ، وتناول العدد رسالة الوزارة وأعباءها ، وتطور نهضتنا التعليمية من وجهات متعددة ، وذكر الأعلام الذين نهضوا بها ، وحققوا قدرا كبيرا من أهدافها وتوجهت الهلال بسؤال إلى بهى الدين بركات وزير المعارف الأسبق عن أداء الوزارة لرسالتها فرأى أنها لم تؤد رسالتها ودليله «أننا لا نزال إلى اليوم عالة على أوربا فى كل فروع العلم والتعليم فجامعاتنا لا تزال عالة عليها تلجأ إليها لتوريد المعلمين فى الكثير جدا من المواد ، فهذا القرن الكـــامل الذى مضى على التعليم لم يكن كـــافيا لتخريج كل من يـلزمنا من المدرسين برغم اســتمرار إيفاد البعثـــات إلى أوربــا ، وليس لتلك النتيجــة القاسية سوى معنى واحد هو أن نظم تعليمنا الحـــاضرة عجزت عن الوصـــول بالطلاب إلى المستوى العلمى الذى تحتاج إليه البلاد» .

وفى هذا العدد تنبه المجلة من جديد إلى توجيه العناية بالتعليم الفنى وتقويمه وتثقيف الفتاة وتكوين الأخلاق على أساس صحيح ، وإصلاح إدارة التعليم نفسها للتخلص من مساوئ المركزية لتوفير قسط كبير من الاستقلال .

واستعرض هذا العدد جميع أسماء وزراء المعارف منذ اختيار أول وزير لها هو مصطفى مختار عام ١٨٣٧ مرورا بأدهم باشا وشريف باشا وعلى مبارك إلى أخر وزير عام ١٩٣٧ وهو على زكى العرابى ومع اسم كل وزير صورة ملونة له ، ولم يفت الهلال استعراض مراحل الطالب المصرى فى مائة سنة ونظام الامتحانات الذى يخلف فى الممتحنين أسوأ الأثر ، والعقوبات المدرسية وتطورها خلال قرن كامل ، وهو عدد تذكارى جيد يجدر بمجلة الهلال الحالية أن تجاريه وتصدر عدداً على غراره بما يلائم الأوضاع التعليمية الحالية .

(١٨) هـ أغسطس ١٩٣١ .

ومما يتصل بهذا العمل التذكارى ما كتبته المجلة فيما بعد عن «مصطفى مختار» أول وزير للمعارف فقد ترجم له مصطفى الشهابى وأبرز دوره منذ سفره إلى إيطاليا عام ١٨١٣ ثم إلى فرنسا ودراسته للعلوم العسكرية إلى أن صار رئيسا لديوان المدارس الذى انفصل عن ديوان الجهادية ، ونهض بوظيفته التعليمية فنظم التعليم الابتدائى ووضع له اللوائح واختار الكتب المناسبة للتلاميذ (١٩) وهذا يقود إلى حديث المجلة عن أول مدرسة انشئت فى مصر ، فقد ذهب د. السيد فهمى الشناوى إلى أن أول مدرسة فى مصر الحديثة كانت مدرسة بنات انشئت عام ١٨٣٠ وتخصصت فى الولادة ، وكانت طالباتها من الجوارى واللقطاء واليتامى لعزوف المصرى عن تعليم بناته ، وكان أساتذتها من خريجى مدرسة الطب بالإضافة إلى مديرة المدرسة السيدة جوليت ، وكانت تمنح البنت المتخرجة درجة ملازم ثان فى الجيش ، وقد زاولن بعد التخرج الكشف على الموتى من النساء ، وأعمال الحجر الصحى فى الموانىء وتطعيم النساء ضد الأوبئة ، ومن أشهر خريجاتها جليلة تمرهان التى تولت إدارة المدرسة بعد جوليت وكتبت فى الصحافة الطبية عن التمريض (٢٠) .

وفى هذا السياق تحكى المجلة قصة مدرسة شهيرة متميزة فى نهضة التعليم وعلو شأنه هى «دار العلوم» فقد تحدث د. الطاهر مكى عن الظروف التى مهدت لظهورها عام ١٨٧١ والدور الذى أدته واساتذتها وخريجيها ومن بينهم قضاة ومفتون ، وكيف صارت كلية جامعية عام ١٩٤٦ وعرض لحاضرها والمخاطر التى تتهدها فى المستقبل (٢١) .

وما عرضناه يمثل جزءا من اهتمامات المجلة بتاريخ التعليم فى مصر ، وهوتاريخ يقظة العقل الذى أخذ يبحث فى المعلوم ، ويتطلع إلى المجهول ، وتاريخ بلوغ الأمة دورالرشد وحل مشاكلها باستيحاء العلم ، وكانت منذ أكثر من قرن تستهدى الغيب ، وتقع تحت سيطرة الوهم ، وتتعامل مع الظاهرات بالتسليم والإذعان دون تعليل يفسر أو تقنين ينظم .

---

(١٩) هـ أكتوبر ١٩٨١ .
(٢٠) هـ . يناير ١٩٨٣ .
(٢١) هـ . سبتمبر ١٩٨٧

الاستعانة بالإحصاء والأرقام

وتلجأ الهلال إلى العمل الاحصائى لتبين نمو الحركة التعليمية فى مصر ، واختارت عقدا من الزمان يقع بين ١٩٣٤ - ١٩٤٤ لتظهر تقدم التعليم المصرى فى كل مراحله وتذكر أن عدد طلاب الجامعة عام ١٩٣٤ كان : ٣٤٧٥ طالبا وفى عام ١٩٤٤ صار ٨٦٥٩ طالبا ، وازداد عدد الدارسين فى المدارس الثانوية من ١٥١٢٦ عام ١٩٣٤ إلى ٢٦١٣٠ عام ١٩٤٤ وعلى هذا النحو بينت عدد التلاميذ فى المدارس العليا والابتدائية والأولية ، وقدمت احصائية أخرى عن عدد المدرسين لكل ألف طالب فكان عدد المدرسين ٧٠ عام ١٩١٧ ، ١٢٠ سنة ١٩٢٧ ، ١٧٨ عام ١٩٣٧ (٢٢) وهذا يظهر أن التعليم فى مصر كان يتحسن باطراد ولكن كان ينبغى على المجلة أن تذكر عدد السكان فى ذلك العقد لنقف على عدد المتعلمين بالنسبة لتعداد السكان .

كما قدمت أحصائية أخرى لإظهار وجهات نظر الطالبات الجامعيات ، وحددت أسئلة أربعة دار حولها الاستفتاء الذى أوضح أن عدد الراغبات فى إنشاء جامعة خاصة للفتيات أقل من الراغبات فى الاختلاط ، وأيدت الأغلبية تحريم الزينة على الطالبات ، وأعلنت معظمهن عن سرورهن بمعاملة الزملاء ، وأبدت أكثر الفتيات رغبتهن فى الجمع بين الزواج والعمل بعد التخرج (٢٣) .

ومثل هذه الاحصائيات مفيدة ومختصرة ، لأن الأرقام لها دلالاتها السريعة وتعلن عن الواقع والحقيقة دون غموض أو إبهام ، ويكفى أن تنظر إلى الجداول لتدرك الاتجاهات والميول وعلى أساسها يكون الإصلاح والتطوير ، والمجلة التى تعمد إلى الإحصاء والأرقام - فى حال من الأحوال - أدق من المجلة التى تتجه إلى الإنشاء بوجه عام ، وإن كان لكل عمل جدواه فى ظروف دون ظروف .

الدعوة لوزارة للبحث العلمى

ومع أن الجامعات قامت بواجبات كثيرة ، وحققت نجاحا ملحوظا ، فإن الهلال لم

---

(٢٢) هـ يونيه ١٩٤٧

(٢٣) هـ . يوليه ١٩٤٧ .

تقف عند هذا الحد فطالبت بمزيد من التطور والتعمق ، لأنه لا يكفى أن تكون الكليات معاهد للتلقين ، ومراكز للتثقيف ، ومعامل لتخريج المتعلمين ، وإنما يجب تطويع العلم للتطبيق العملى من أجل تنمية المجتمع وتحقيق تطلعاته ، أو بعبارة أخرى لابد من الاستفادة بالكشوف العلمية فى قطاعات الإنتاج المتعددة ، ولا مفر من أن يضيف العلم شيئا إلى مختلف مجالات الحياة العامة ويخدم خطط التنمية التى تتبناها الدولة .

ومن أجل هذا رأينا الهلال تفتح صفحاتها للدكتور عبد الحليم منتصر (عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس آنذاك) ليطالب «بإنشاء وزارة للبحث العلمى تختص به دون سواه .. ويتبع هذه الوزارة المعهد القومى للبحوث ومعهد الصحراء والأقسام الفنية بوزارة الزراعة والمعامل الحكومية المنبثة فى المصالح المختلفة» (٢٤) وقد استجابت الدولة لهذا المطلب وأنشأت وزارة مستقلة للبحث العلمى وعاد الدكتور عبدالحليم منتصر ليكتب فى الهلال من أجل تحديد ما يريده من الوزارة يقول . «لعل قراء الهلال يذكرون دعوتنا إلى إنشاء وزارة للعلم أو البحث العلمى ، فقد دعونا إلى إنشائها منذ بضع سنوات فى هذه المجلة» وطالب بإنشاء مراكز بحث ومعامل فى المحافظات والأقاليم مزودة بالأدوات اللازمة ، والمراجع الوافرة والاساتذة المؤهلين لتكون قوة دافعة إلى النهوض وتقدم الصناعات (٢٥) وأخذ يبين دور العلم فى الصناعة وأهمية معامل البحث فى نهضة الأقاليم .. وتمنى للوزارة الجديدة كل توفيق !!!

المطالبة بالهوية الحضارية

والمقصود بها أن يقوم التعليم بدور فى تنمية الشخصية العربية الإسلامية وإحساسها بذاتها وكيانها ويعكس هويتها الحضارية ، فقد بين د. سيد اسماعيل على أن الثقافة المصرية - على وجه العموم - كانت متجانسة فى أصولها ، متشابهة فى مراميها خلال العصور الفرعونية والقبطية والإسلامية إلى أن تنافر هذا التجانس باتصالنا بالغرب ، وبين أن الثقافة المصرية تنافست عليها الثقافات الانجليزية والفرنسية والأمريكية حتى لم تعد لها هوية واحدة ، وأن ثورة ١٩٥٢ «لمت الشمل» ثم تناول الكاتب

(٢٤) هـ . يناير ١٩٥٦

(٢٥) هـ . أكتوبر ١٩٦١ (٢٦) هـ . سبتمبر ١٩٨٧ .

أعمال المؤتمر القومى لتطوير التعليم الذى عقد فى جامعة القاهرة عام ١٩٨٧ وأبدى ملاحظات كثيرة لما جاء فى تقرير المؤتمر وانتهى إلى أنه «عجز عن أن ينظر إلى الهوية العربية الاسلامية كمنهج فلسفة حياة تسرى كالدم فى عروق التعليم» (٢٦) وأنه من الجميل أن تطالب الهلال بهوية عربية إسلامية تسرى فى مناهج التعليم ، وصحيح أن الغزو الثقافى كان له دوره ، ولكن يبدو لى أن الدكتور سيد غالى فى إنكار الهوية القومية والدينية فى التعليم السابق على الثورة ، فلم يكن المسئولون عن التعليم فى المراحل المختلفة غافلين عن هذا الجانب ، ففى عام ١٩١٠ رأت الجامعة المصرية أن يقوم جرجى زيدان بتدريس التاريخ الإسلامى ثم غيرت موقفها لأنه مسيحى ، وكان التيار الأساسى فى دروس دار العلوم هو الفكر العربى الإسلامى ، وعندما تولى حشمت باشا وزارة المعارف عرب العلوم فى المدارس الفنية ، وبين يدينا المنتخبات الأدبية وكتب المطالعة المخصصة للمدارس التى صنفها أحمد السكندرى وأحمد أمين وأمين الخولى وغيرهم والغالب عليها الثقافة العربية الاسلامية .

ومن كل ذلك وغيره يتضح أن دراسات الهلال فى مجال التعليم أوضحت مدى تقبل المصريين للعلم واستيعابه ، والاستغناء إلى حد كبير عن الجامعات الأوربية بإنشاء الجامعات المصرية ، وقيام المصريين بعد تعليمهم بالوظائف بدلا من الأجانب ، ومن فوق صفحاتها انطلقت الدعوات إلى قيام الجامعة المصرية ، وإنشاء وزارة البحث العلمى ، والاهتمام بالتعليم الفنى ، والتنبيه إلى النقص فى المناهج ، والحفاظ على الهوية القومية بتعريب العلم الطبيعى ، ولفت الأنظار إلى ما ينقصنا من كتب وعلوم إلى جانب أنها أرخت للتعليم فى مصر وبخاصة فى العصر الحديث من محمد على إلى اليوم .

(٢٦) هـ . سبتمبر ١٩٨٧ .

التسامح الدينى
ومحاربة التطرف

منذ أن بدأت الهلال نشاطها الفكرى والثقافى وهى تهتم بتأصيل التسامح الدينى والبعد عن التعصب ومحاربة التطرف ، والتأكد من الابتعاد بالأديان عن دائرة الصراع واحترام كل إنسان دين الآخر ، ومن أجل ذلك أفردت العديد من مقالاتها وبحوثها التى رصدت فيها أهمية نشر الثقافة والعلم لتوسيع قيمة الإحساس بالحب والتسـامح ونبذ احتقـار عقائد الآخـرين .

فمثلا بدأت حركة التبشير الإنجيلى فى مصر عام ١٦٣٣ على يد بيترهيلنج(١) وتوالت المحاولات بعد ذلك حتى نشطت الحركة نشاطا ملحوظا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وجاء المبشرون والمرسلون من أوربا وأمريكا للقيام بهذا العمل ، وافتتحوا مدارس ومستشفيات وملاجىء ليسهل عليهم استدراج المسلمين ، وقد حققوا بعض النجاح المحدود للغاية ، ومن هذا أن مسلما تنصر عام ١٩٠٣ فرأى المرسلون الأمريكان أن يستغلوا هذا الحدث فى الترويج لمذهبهم الإنجيلى ، فأقاموا حفلة فى قاعة المدرسة الأمريكية بالقاهرة ودعوا الجمهور لحضورها وجعلوا المسلم المتنصر يدعو الحاضرين إلى ديانته الجديدة ، فانبرى له من يجادله ويسفه أراءه ، ويحقر من شأنه .

وقد تصدت الهلال لهذا الحادث وحملت عليه ، ورأت « أن الجدال فى الدين مصدر التعصب وآفة الاتحـاد لأن كلا من المتجادلين يجتهد فى تقبيح دين الأخر فلا تكون النتيجة الا تقبيح الدينين فيزداد السـامعون تعصبـا فى دينهم وكرهـا لأهل الدين الأخر »(٢) .

وأدركت الهلال هنا أنه عندما تشتد المجادلة وتقوى المناضلة ، سيتحول الأمر من ريح عابرة إلى عاصفة ثائرة ، تشعل النفوس ، وتعمق الكراهية ، وتحط من قداسة

(١) كتاب « تاريخ الكنيسة الإنجيلية فى مصر » لأديب نجيب سلامة – دار الثقافة – القـاهرة
(٢) هـ ١٥ – ١ – ١٩٠٤ .

الأديان ، فضلا عن أن الجدال لن ينتهى أبدا بتسليم طرف لطرف مهما كانت الحجة لامعة ، وعلى أية حال فإنه يجب ألا يكون الدين - هذا الوتر الحساس - موضع مطارحة ، ومدار مساجلة بين شخصين ربما كانا على غير علم كاف بدينيهما .

وأهمية الهلال - فى هذا الشأن - تكمن فى غزارة المادة وتنوعها التى دعت فيها إلى التسـامح الدينى حتى لاتحل السفاهة محل السـماحة ، فقد نشرت مضمون محاضرة ألقاها

أمين الريحانى فى جمعية الشبان المارونيين فى نيويورك بعنوان « التساهل الدينى » ومدار الخطاب فيها « أن يحترم كل إنسان أديان الأخرين ولو كانت مخالفة » ، وقد علقت الهلال على هذه المحاضرة بكلام كثير منه أن التساهل الدينى « يزيد الالفة بين العناصر المختلفة وهى غاية التمدن الحقيقى » ولكن المجلة تحذر من المبالغة فى التساهل الدينى لأن هذا « يؤدى إلى احتقار الدين وخصوصا بين العامة » أما الوسيلة التى تعمل على التسامح الدينى - كما رأتها المجلة - فهى نشر التعليم لأنه يهذب الخلق ويقلل من التعصب (٣) .

ونرى على صفحات مجلة الهلال دعوة مشابهة - فيما بعد - قام بها الدكتور أحمد زكى تحت عنوان « الإسلام والمسيحية هل يمكن التوحيد بينهما ؟ » جاء فيها « إنى أومن بأن يكون بين الإسلام والمسيحية اتحاد لا توحيد » « إن الإسلام يستطيع أن يعيش مع المسيحية جنبا إلى جنب ، وكذلك المسيحية تستطيع أن تعيش مع الإسلام جنبا إلى جنب » وبيّن أن مزاج المسلمين والنصارى تغير اليوم أما المسيحيون فغير من مزاجهم .. العلم .. وأما المسلمون فغير من مزاجهم رجوع إلى ما كان فى دينهم أول الأمر من تسامح .. وغير من مزاجهم ما أسهموا فيه من هذا التعقل الذائع المنتشر فى هذه الأيام » « إن غاية الاسلام وغاية المسيحية واحدة هى تمجيد الله وانما اختلفت الوسائل » وأخذ يعدد وجوه الشبه والخلاف بين الدينين (٤) .

ومن العجيب أن نرى فى مقالة د . أحمد زكى شيئا مماثلا تمام المماثلة لخبر نشرته الهلال وعلقت عليه عام ١٨٩٦ . فقد ذكرت الهلال فى أول مارس ١٨٩٦ أن قسا يدعى لوازون جاء مصر وأخذ يخطب فى الأندية ويدعو الناس الى توحيد الاديان الثلاثة

---

(٣) هـ . ١٥ - ٣ - ١٩٠١ .

(٤) هـ يناير ١٩٥٥ (عدد خاص عن الإسلام)

وخلاصة مذهبه « أن الله واحُد وأن محمدا وموسى نبياه وأن عيسى رسوله » وقد علق زيدان على هذه الدعوة بما يفيد الرفض . ويروى د . أحمد زكى فى هلال يناير ١٩٥٥ أن أحد المستشرقين المسيحيين الاوربيين حل ضيفا على الشـيخ حسن الطويل وبينما يأكلان الفـول المدمس والبيض واللبن ، حاول المستشرق أن يقنع حسن الطويل بتوحيد النصرانية والاسلام فكان تعليق حسن الطويل : كل فولا .. كل فولا . وهذا يعنى الرفض . فهل فكرة توحيد الأديان هذه التى تكررت ، طريقة جديدة فى التبشير بعد فشل التبشير المباشر ؟ !!!

وظلت الهـلال تنبذ التطرف والتعصـب ، وكان اميل زيدان يحظر الطعن فى أى دين ، وفى عام ١٩٨٧ نشرت الهلال مقالين للدكتور محمود اسماعيل أدانت فيهما التطرف الدينى ، ومقالا أخر لفضيلة شيخ الأزهر جاد الحق ينكر فيه العنف ويظهر دور الأزهر فى الوحدة الوطنية ، والإخاء بين المسلم والمسيحى .

وقد عملت الهلال على إبعاد الدين عن طوفان العلوم ، وصيانته من لجج متقلبة موّاجة لأن اختيار الدين بالعلم على الدوام قد يهبط به من مقامه السامى ،. ويقلل من جماله الروحانى فالدين لم يأت لينظّر للعلوم ، وانما جاء ليشرع للبشر ، ولكن المجلة لم تهوّن فى الوقت نفسه من أحدهما ورأت أن « نستعين بالواحد على الدنيا وبالآخر على الآخرة »(٥) .

وانعكس هذا المفهوم على موقف المجلة من مذهب دارون فى النشوء والارتقاء وأصل الانسان ، فإنها لم تحبذه ، ولم تعارضه ، وقد وردت فى الهـلال ترجمة لدارون تضمنت ثناء عليه ، ولكنه ثناء على الجهود العلمية التى بذلها ، وليس على النتائج النهائية التى وصل إليها . لأن هذه النتائج لها مساس بالدين . وكان دور جرجى زيدان هو التعريف بنظرية دارون وطريقته وخلاصة مباحثه مع اثبات اعتراضات العلماء عليه . ومما قاله زيدان عن نتائج داروين فى مسألة تسلسل الانسان من نوع اندثر من القرود ، والحلقة المفقودة بين الانسان وهذا النوع من القرود : « ولا يزال رأيه « أى داروين » هذا فى مقام رأيه فى أصل الأنواع من حيث الثبوت والنقض ، بل هو أحوج إلى الاثبات ريثما يجدون الحلقة المفقودة » (٦) . وهذا يعنى أن صاحب الهلال لم يسـلّم بنظرية

(٥) هـ أول مارس ١٩٠٠ .

(٦) هـ أول اكتوبر ١٨٩٤

داروين أو يتبنى مذهبه الطبيعي ويدافـع عنـه . ثم قدمت المجلة بحثـا مستفيضا فى نظرية النشوء والارتقاء بقلم توفيق مفرّج جاء فى نهايته « ربما برهنت التجارب فى المستقبل على صحة هذا الناموس أو فساده » (٧)

وهذا يؤكد أن الهلال كانت تشرح نظرية علمية ، أقامت الدنيا ولم تقعدها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، للتعريف والتثقيف ، وليس من أجل بث الشك ، وإشاعة القلق وزعزعة اليقين . ولا ريب فيما نشرته الهلال فى هذه القضية طالما لم تتبنها أو تروّج لها . وإذا كنا سنعرض عن كل نظرية علمية بزعم أنها تهدد الدين ، فإننا لن نتعلم شيئا ، والصحيح أن نقرأ ونسمع ، وليست هناك قوة تلزمنا بالاعتقاد فى شيء يهز إيماننا .

وموقف الهلال من نظرية النشوء والارتقاء وأصل الانسان ، ونظريات تندال فى التولد الذاتى ، أصح من موقف المقتطف ، فقد تذبذب موقف صاحبى المقتطف (صروف ونمر) من نظرية التطور الداروينية فى البدايات ثم حسما موقفيهما منها بتأييدها منذ عام ١٨٨٢ (٨) . ومما يحمد للهلال أنها لم تتوسع فى مناقشة مذهب النشوء والتطور وأصل الانسان على نحو ما فعلت المقتطف ، التي نشرت مادة كبيرة شارك فيها أصحاب المقتطف وشبلى شميل وغيرهم .

على أن الهلال لم تقف عند هذا الحد ، ففى مرحلة تالية حاولت التوفيق بين العلم والدين قدر الامكان من خلال بحث كتبه الدكتور « ميلر بروز » رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة « ييل » (ترجمة د . محمد خلف الله) رأى فيه امكانية « اتفاق العلم والدين فى شركة تؤدى إلى خير كثير ، فلو أن القوة التى يعطينا إياها العلم تستعمل فى الأغراض التى يحددها الدين لأدى ذلك إلى عمل الدين والعلم معا لسعادة الإنسان ، وفى خدمة الله » ويرى هذا العالم أن سيطرة الانسان المتزايدة على الطبيعة لا تناقض الدين ويستدل على ذلك بآية من القرآن الكريم « يمكن أن يستنتج منها أن المجموعة الشمسية خلقت لكى يدرس الإنسان علم الفلك ويستخدمه فى حياته » (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) « وكثيرا ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتباره أحد الآيات التى تبعث على الشكر

(٧) هـ مايو ١٩١١ .

(٨) راجع بحث د . عبد الله العمر ضمن كتاب « المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة » كتاب العربى ص ٣٨ ، ٣٩ – يوليه ١٩٨٤ .

والايمان » (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سـبحان الذى سخر لنا هذا ومـا كنا له مقرنين)(٩).

وعلى هذا النحو يحاول هذا العالم أن يوائم بين العلم والدين ، ويوحد بين هدفيهما ، ويضرب أمثلة ، ويتساءل ويجيب ، ولكن هذا التوفيق بين العلم والدين هو توفيق اوّلى محصور فى حث الدين للعلماء على النظر فى مجالى الطبيعة ، وتفسير غامضها ، والبحث فى طواياها وظاهراتها عما يفيد بنى البشر .



ويتصل الدين بالتمدن من ناحيات أهمها التشريع ، فالتمدن ليس هو تحقيق الاختراع ، واستخدام ما استجد فى الحياة من ابتكار فقط ، وانما للتشريع الدينى الدور الأكبر فى هذا ، لذلك تربط الهلال بين الدين والتمدن على أساس ما جاء فى الدين من كبح النزعات الفوضوية ، والميول الهمجية ، ومن هنا تقول : « وما فى العالم المتمدن من قانون شرعى أو أدبى أو اجتماعى إلا كان أساسه الدين ، ومصدره من الدين ، وإن كان ذلك لا يظهر جليا لأول وهلة » وتقر - المجلة - بأن التمدن الاسلامى نشأ عن الدين الاسلامى و « لو تتبعت منشأ التمدن عند سائر الأمم لرأيت الدين رائدهم فى وضع الشرائع وكبح جماح المظالم ، ورد القوى عن الضعيف بالإرهاب والوعيد » فإذا قال بعض الأوربيين بأن الدين لم يؤثر فى الناس ردت الهلال قائلة « أخطأوا خطأ فادحاً ونظروا فى الأمر نظراً قصيراً لأن فضل الدين على التمدن لا ينكره عاقل متبصر» (١٠) .

وهذا يعنى بعبارة صريحة أن التمدن الحقيقى - من وجهة نظر المجلة - هو القائم على أساس التشريع الدينى ، ومن هنا حملت الهلال على الحضارة الحديثة لأنها سببت تعاسة وشقاء للانسان ، وساعدت على التمرد ضد الدين (١١) .

وبناء على ما وقفنا عنده ، وأشرنا إليه ، فإنه يمكن القول بأن مجموع أقوال الهلال فى الدين والعلم والتمدن يظهر أنها كانت تقف إلى جانب الدين مع اتجاهها العلمى ، ولم تدع إلى ما يخرج الانسان عن دائرة السعادة الدينية .

وكانت الهلال من هذا المنطلق - فى مرحلتها الأولى - تتساهل مع اليهود ، وتدفع عنهم ارتكاب الفظائع ، واقتراف الجرائم ، ومنها خلط الدقيق بدم النصارى لعمل

(١١) هـ أول يناير ١٩٠٤ . (٩) هـ يناير ١٩٥٥ . (١٠) هـ ١٥ - ٨ - ١٩٠٠

الفطير ، وينزه زيدان الأمة اليهودية عن هذه الأفعال لأنها « عاصرت التمدن القديم والحديث ، وهى منبع الشريعة ، وأساس الأديان الصحيحة ، وعلى الأخص بعد أن بزغ نور التمدن ، وانبعثت أشعة الحرية »(١٢) .

وقد أنكر بعض القراء على زيدان ما ذهب إليه واتهموه بأنه يذبح الحقيقة من أجل مجاملة اليهود فرد عليهم قائلا : « إن ما تتناقله الألسنة ويلهج به بعض الناس مما ينسبونه إلى اليهود من الفظائع القبيحة إنما هو نتيجة لعوامل التعصب الذى مد رواقه فى الأجيال المظلمة ولا حقيقة رسمية له »(١٣) وهذا خطأ كبير .

وتذهب الهلال فى أحد مقالاتها إلى التفريق « بين « اليهودية » كدين ، وبين الصهيونية كمذهب سياسى استعمارى »(١٤) وكاتب المقال - منصور رجب ، استاذ بكلية أصول الدين - يشير إلى اليهودية التى ورد ذكرها فى القرآن . فهذه لا غبار عليها ، أما اليهودية الواردة فى الكتاب المقدس فهى يهودية سياسية صهيونية .

جاء فى سفر التكوين . اصحاح ١٥ : « قطع الرب مع ابرام (ابراهيم) ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » وجاء فى سفر يشوع - الاصحاح الأول أن الرب قال ليشوع : « كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم اعطيته كما كلمت موسى . من البرّية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » فكل يهودى يؤمن بالتوراة ، يؤمن بالدولة العبرية التى رسم الرب حدودها . وعلى هذا فكل يهودى مؤمن رمز من رموز الصهيونية ، لأنه يعتقد فى صحة ما جاء فى الأسفار المقدسة . وبناء على هذا يمكن القول إن الديانة اليهودية تحدد السياسة الصهيونية ، وإن السياسة فى خدمة الديانة اليهودية التوراتية . وفى عام ١٩٧٨ قال ناحوم جولدمان (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى) : « إن اسرائيل لم تتمكن خلال ثلاثين عاما من الشروع فى بناء وطن يهودى مأمون يصبح المركز الروحى لليهود »(١٥) فها هو أحدهم يربط بين الروحانية اليهودية وبناء الوطن اليهودى . والعبارة التى تتردد على شفاه قادة اسرائيل الحاليين ومفادها أن حدود اسرائيل هى الأرض التى يضع الجندى الاسرائيلى أقدامه عليها ، هى عبارة توراتية على نحو ما جاء فى سفر يشوع : « كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم اعطيته » .

---

(١٢) هـ ١٥ - ١٢ - ١٨٩٥ .

(١٣) هـ ١٥ - ١ - ١٨٩٦ .

(١٤) هـ يناير ١٩٥٥ .

(١٥) الاهرام ٢١ - ٧ - ١٩٧٨ .

وأخذ كتّاب الهلال يناقشون القضية اليهودية والدولة العبرية من زوايا مختلفة ، فقد فند الدكتور محمد عوض محمد مزاعم اليهود فى حق العودة إلى فلسطين وذهب إلى أن اليهود الحاليين ليسوا من بنى اسرائيل ، واستشهد على صحة ذلك بكلام « هرتزل » الذى أظهر فيه أن يونانيين ورومانا دخلوا الديانة اليهودية فى العصور القديمة والحديثة (١٦) .

وتوالت مقالات الهلال فى هذا الصدد وأظهرت اسباب اضطهاد اليهود فى العالم ، وردتها إلى سلوكهم وغدرهم وعدم قدرتهم على التأقلم فى البلدان التى عاشوا فيها ، وقد كتب فى هذا اكثر من واحد نذكر منهم أحمد بهاء الدين (١٧) ، كما أوضح د . محمد عوض محمد دور اليهود فى نشر الفكر الشيوعى فى الشرق (١٨) ، كذلك كشفت الهلال أخطاء الغرب فى فهم القضية اليهودية ومن هذا ما كتبه أحمد بهاء الدين فى كتابه «اسرائيليات» وما خطه كامل زهيرى عندما أظهر أخطاء جان بول سارتر فى تحليل قضية الشعب اليهودى .

وجهود الهلال غزيرة فى هذا المجال يضيق عنها الحصر ، ومما تجدر الاشارة إليه أنها أصدرت عدداً خاصا عن القضية الفلسطينية والدولة اليهودية فى يولية ١٩٤٨ ، كما صدر فى سلسلة كتاب الهلال « اسرائيليات » لأحمد بهاء الدين عام ١٩٦٧ ، وكتاب « اليهود والحركة الصهيونية فى مصر » من تأليف أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف عام ١٩٦٩ .

وإذا كانت هذه الكتابات لا يتضح فيها بجلاء الربط بين اليهودية والصهيونية ، فإن العلاقة بينهما فى الأساس قائمة نتيجة الصلة العضوية بين الديانة التوراتية والسياسة العنصرية الصهيونية .

ونعود مرة أخرى إلى السماحة الدينية التى جعلتها الهلال شعارا لها فى مجال الحديث عن الملل والنحل ، فنراها – عملا بهذا المبدأ – تنشر نصوصا تحض على الالفة بين المسيحيين والمسلمين ، فتذيع نص العهدة النبوية ، وعهدة الامام عمر بن الخطاب للنصارى فى البلاد المفتوحة .

---

(١٦) هـ يولية ١٩٤٧ ، يولية ١٩٤٨ .

(١٧) اسرائيليات . أحمد بهاء الدين . كتاب الهلال نوفمبر ١٩٦٧ .

(١٨) هـ مارس ١٩٤٩ .

وفى عهدة النبى (ص) للنصارى أو من انتحل ملتهم حمايته لهم ورعايته لأموالهم وطمأنتهم على دينهم ومستقبلهم ، ومما نشرته الهلال وورد فى هذه العهدة : « لا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ، ولا يدخل شىء من مال كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ولا فى بناء منازلهم ... ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية .. وأنا أحفظ ذمتهم اينما كانوا فى بر أو بحر فى المشرق أو المغرب والجنوب والشمال . وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل مكروه .. » إلى أخره ، كذلك نشرت الهلال عهدة عمر بن الخطاب لصفرونيوس بطريرك القدس الشريف عام ١٥ للهجرة وفيها من التسامح مثل ما فى السابقة [١٩] .

وكانت الهلال قد نشرت فرمان الباب العالى الذى يوضح العلاقة بين البطاركة والدولة العثمانية . وقد شرحت المجلة الاسباب التى دعت السلطنة العثمانية إلى إصدار الفرمانات السلطانية فى خصوص الملة المسيحية ، وتنحصر هذه الأسباب فى أنه بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ على يد السلطان المؤمن محمد الفاتح واتخاذها عاصمة له، هجر كثيرون من المسيحيين بلادهم إلى أقطار أخرى ، فكتب السلطان فرمانا بضرورة عودتهم إلى أوطانهم مع تأمينهم على معاشهم وممارستهم لطقوسهم الدينية فى حرية تامة . ولم يكتف السلطان بذلك وانما حبب إلى البطريرك العودة ، فلما علم أنه مات ، أوعز إلى المسيحيين أن ينتخبوا بطريركا غيره على طريقتهم ففعلوا ، وتقول الهلال : « فأمرهم – أى السلطان – أن يحتفلوا فى تنصيبه كما كانوا يحتفلون بتنصيب البطاركة على عهد الأباطرة المسيحيين .... وتقدم البطريرك نحو العرش (السلطانى) فسلمه السلطان عصا الرعاية ... ثم خلع عليه رداء ثمينا وخوّله الحكومة فى كنيسة القسطنطينية كما كان يفعل البطاركة قبله .. ومنحه اختصاصا لا حد له للنظر فى شئون المسيحيين الخاضعين للباب العالى مع لقب ملة باشى أى رئيس الأمة . وقضى جناديوس (البطريرك المنتخب) فى حضرة السلطان ساعات ثم هم بالخروج فشيعه السلطان بنفسه إلى باب القاعة ، وأمر له بفرس من الاسطبل السلطانى عليه سرج مرصع ، وأوصى جماعة من أهل البلاط أن يسيروا فى ركابه إلى الكنيسة الكبرى » ثم أصدر السلطان فرمانا تضمن امتيازات كثيرة منها : « أن يباح للمسيحيين فى بلاد الدولة معاطاة شئون دياناتهم بكل حرية ، وأن تكون الكنائس تحت حماية الحكومة فلا تحوّل إلى جوامع ، وأن يتمتع الكهنة بامتيازات وحقوق خصوصية ، وأن يعفوا من السخرة ،

(١٩) هـ ١٥ – ١١ – ١٨٩٨ .

ويكون شخص البطريرك مقدسا لا يعتدى عليه ، وأن تكون له السلطة المطلقة فى أمر الزيجة والدفن والميراث وسائر الاحوال الشخصية فيجرى فى أحكامها على مقتضى قوانين الكنيسة اليونانية لا يعترضه أحد فى تنفيذ أحكامه أو أحكام من ينوب عنه ، بل يكون مستخدمو الحكومة فى الاستانة وغيرها أعوانا له فى تنفيذها » .

هذا ما قالته المجلة وليس لنا فيه إلا دور النقل والتلخيص ويعلق چرچى زيدان على هذا الفرمان بقوله « وما الفرمان إلا دليل ذلك السماح » ويستطرد قائلا : « ونال مثل هذه الامتيازات أيضا بطريرك الأرمن ثم نالها غيره من رؤساء الملل المقيمين فى الاستانة » ويمضى منشىء الهلال ويذكر أن البطاركة الذين خلفوا جناديوس « تمتعوا جميعا بالنفوذ والاكرام مما لم ينله اسلافهم على عهد امبراطرة الروم فقد كان السلطان يكرمهم ويستشيرهم فى بعض الشئون الهامة ، ولم يلتمسوا أمرا فى مصلحة المسيحيين إلا نالوه وكان لهم فضلا عن ذلك راتب مقداره مئة دوكا ذهبا يقتضونها كـــل عام من خزينة الحكومة باعتبـــار كونهم من كبـــار رجالها »[٢٠] .

وقد أخذت الهلال على عاتقها سرد الامتيازات والصلاحيات التى حظيت بها الطوائف المسيحية حتى وصلت بها إلى عهد صدور المجلة . إذ أثبتت على صفحاتها فرمانات السلطان عبد المجيد (١٨٣٧) المماثلة ، وانعامات الخديو اسماعيل على الأقباط المصريين ومنحهم «جانب عظيم من الأطيان الزراعية وغيرها فأضيفت إلى أوقاف الطائفة للانتفاع بها » ولما وقع خلاف بين البطريرك والمجلس المللى القبطى عام ١٨٨٣ حول انتخابات المجلس الملى توسطت الحكومة الخديوية وعينت مندوبا يشهد إعادة الانتخابات وهكذا ... وهكذا – [٢١] .

وما يمكن أن يستنتج من هذا العرض المحدود لهذه النصوص والبنود :

★ أن التسامح الدينى فى الاسلام كان قاعدة دائمة منذ عهد النبى (ص) إلى الآن عملا بقوله تعالى : « لا إكراه فى الدين ... » (البقرة ٢٥٦) وقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم » (العنكبوت ٤٦) ، وعملا بقول الرسول الكريم (ص) « من قتل معاهدا – لم يَرَح رائحة الجنة ... » (رواه الامام البخارى فى صحيحه). وهذا التسامح صاحب الحكم الاسلامى فى بيئاته المتنوعة وعواصمه المختلفة مثل المدينة والاستانة والقاهرة .

(٢٠) هـ ١٥ – ٤ – ١٨٩٨ .

(٢١) انظر عدد الهلال سبتمبر – اكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ١٨٩٢ والاعداد الستة الأولى من سنة ١٨٩٣ وبعدها ...

★وأن شهادة جرجى زيدان شهادة حق ، لها قيمتها ليس فقط لأنه مسيحى ، ولكن لأنه عربى مثلنا ، وعاش معنا ، وكان أدرى من غيره بأمورنا ، وهى شهادة تضاف إلى شهادات بعض المستشرقين وبعض الأوربيين الذين أقروا بسماحة الاسلام . بل إن بعضهم قال إن هذه السماحة سهلت على المسلمين فتح البلدان .

★وأن ما نشرته الهلال يعمل على تهدئة نفوس المسلمين والمسيحيين ، وتصفيتها مما علق بها من تعصب . فالمسلم يقتدى برسوله (ص) وائمته فى محاسنة غير المسلمين ، والمسيحى يعرف أنه لم يقع عليه ظلم أو يدركه حيف . وهذا ما يجب أن نفعله لتعزيز الروابط بين المسلمين والمسيحيين عملا بشريعة الاسلام السمحاء .



وقد عرضت المجلة لنشأة المجلس المللى القبطى ، ولاحقت الخلافات الشديدة بين اعضائه ودونت تاريخ الكنائس المسيحية المختلفة فى مصر مثل الكنيسة الأرمنية بالاسكندرية ، وكنيسة السوريين الارثوذكس فى القاهرة ، ووقفت عند الجمعيات المسيحية فى مصر وسوريا وأظهرت أغراضها ، وتناولت انتخابات البطاركة ، وتضمنت مادة غير قليلة عن السيد المسيح (عليه السلام) وخصت بالذكر ما ورد عنه فى تاريخ يوسيفوس اليهودى ، وعرضت لما قاله أريوس ، غير ما دونته عن تاريخ نشر المسيحية فى بقاع قاصية ودانية من العالم .



ومن طرائف الهلال ما جاء فيها تحت عنوان « لو عاد السيد المسيح » فقد كتب تحت هذا العنوان : أحمد أمين وأمير بقطر والعقاد .

وتنهض الفكرة الرئيسية فى هذه المقالات على تخيل ما يمكن أن يفعله أو يقوله الانبياء (موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم السلام) فى هذا العالم الذى استشرى فيه الباطل ، واستشاع فيه الشر والظلم .. والغاية من هذه المقالات هى أن الانبياء لا يرضون عن الجرائم والمعاصى والمفاسد التى ترتكب من أناس ينتسبون إلى الأديان السماوية .

ولم يبتدع كتابنا هذه الفكرة أو هذا التخيل ، وانما سبقهم إلى ذلك الكاتب الروسى الشهير دستوفسكى عندما تصور عودة السيد المسيح إلى الأرض وطوافه فيها .

وابداء الرأى فى الخطايا والمعايب المستفحلة التى اقترفها الانسان على ظهر الأرض ، فجعل المسيح عليه السلام ينزل باشبيليه زمن إرهاب محاكم التحقيق أو التفتيش فى اسبانيا فيلتف حوله الناس ويعظ وينصح ويسأله بعضهم المساعدة والرحمة ، ثم يقبض عليه رئيس المحكمة ويودعه حجرة ليحقق معه ، وفى المساء يذهب المحقق إلى حجرة المسيح الكريم ، ويخاطبه ويلومه على أنه منح الناس حرية الضمير فأصيبوا من جرائها بشقاء ، ويطلب المحقق من المسيح أن يغادر المكان وإلا تعرض للتحقيق وما ينجم عنه من إدانةوتعذيب (٢٢) .

وقد جارى كتابنا هذا ولكن بأسلوب مباشر ليكون أقرب إلى انتقاد العالم الحاضر ، فأورد أحمد أمين على لسان عيسى : « أما عيب قومى فإنهم أفرطوا فى الماديات ، وأهملوا الروحانيات » ووضع تساؤلا على لسان ابن مريم عليه السلام يقول فيه « هل نعود إلى الأرض نجاهد من جديد لنملأها عدلا كما ملئت جورا ؟ » (٢٣) ويبين د. أمير بقطر أن السيد المسيح لو عاد إلى الأرض « لندم على ما فعل إذ يجد الناس اتخذوا هذه العبادات ستارا للنفاق والرياء » و «مما يزيد المسيح ندما وحزنا أن الطبائع البشرية لم تتغير تغيرا يذكر فى خلال هذه القرون الطويلة برغم رسالته الخالدة » وثمة نظرة جديدة وجريئة بسطها الدكتور بقطر نثبتها بنص كلامه وهى أن المسيح لو عاد لنادى « بتطبيق المنطق على تفسير الكتب المقدسة بما يلائم العلوم الحديثة التى ظهرت منذ نهاية القرون الوسطى ، لا سيما اكتشافات كوبر نكوس فى الفلك والطبيعة ، وداروين فى علم الاحياء وعشرات سواهما فى الانثروبولوجيا والعلوم النفسية والاجتماعية» (٢٤) .

أما العقـاد فقد ذهب إلى أن المسيح لو عاد إلى الأرض لوجد الانسان كما تركه اسير شروره وعدوانه ونفاقه وجحوده ، وانكر ما يفعله باسم السيد المسيح (٢٥) وقد كتب أحمد أمين عن سـيدنا موسى وسيدنا محمد كما كتب العقاد مقالا بعنوان «لو عاد محمد».

وهذه المقالات نوع من الاستغاثة بالأنبياء واستمداد العون منهم لبعث المبادىء وإحياء الحكمة من أجل إنقاذ إنسان خرق الأداب ، وهزمه الاغراء ، وسخر العلم للهلاك ، وأوهنته قيود المادة ، وفتنته دنيا شهية ، فاستطاب الاستغلال والانتهاب ، وتنازع على البقاء بأسلوب الشر ويعامل الانانية .

(٢٢) هـ . ديسمبر ١٩٥٧
(٢٣) هـ يوليه ١٩٤٨
(٢٤) هـ يناير ١٩٥٥ .
(٢٥) هـ ديسمبر ١٩٥٧ .

على أن رحلة الهلال مع المسيحية والمسيح الكريم لا تقف عند هذا الحد ، فقد عرضت مادة أدبية وتاريخية ودينية ، نثرية وشعرية لكبار رجال الدين المسيحى ، نذكر منهم البابا شنودة بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية والانبا غرغريوس . فقد تناول البابا شنودة الثالث رحلة العائلة المقدسة إلى مصر زمن هيرودس ، والاماكن التى أقامت فيها أو مرت بها ورسم خريطة دقيقة أظهرت مسار الرحلة فى الذهاب والعودة. (٢٦) وفى مقال آخر تحدث عن «حطين وصلاح الدين » اثنى فيه على إنسانية صلاح الدين واخلاقه السمحة ، وخطأً تسمية الحروب التى جرت بين المسلمين والمسيحيين فى القرون الوسطى « بالحروب الصليبية » ونعتها بأنها حروب استعمارية اسبابها اقتصادية (٢٧) وأطلعنا على الايقونات القبطية أو الصور المقدسة المكرسة أو المدشنة فى مقال مستقل ، وأوضح أنه « فى الكنيسة توقد الشموع أمام الايقونات المقدسة ... ويرفع البخور حولها .. » وبيّن أسباب ذلك (٢٨) .

وللبابا شنودة شعر عمودى ينتظم إيقاعه ، وتصدح قوافيه المطردة أو المتغيرة ، تسمو به عاطفة دينية ، وتصفو فيه الروح ، ويجتلى معناه بالرغم من رمزية رقيقة ترين عليه من مثل قوله :

كل ما حولك صمت وسكون ... وهـــدوء يكشف الســـرَّ المصون
أنت روح ســـابح فى عمقه ... يجتلى الأعماق فى صمت رصين
إن فى صمتك سرا لن يرى ... قدس اقداسه إلا الصامتون (٢٩)

ومن الأعمال الأخرى فى الهلال لكبار رجال الدين المسيحى «قصة أرض الميعاد» للانبا غريغوروس التى عرض فيها قضية أرض الميعاد من خلال نصوص العهد القديم ، وأبرز انحراف بنى اسرائيل وعبادتهم للأوثان ، ووقوعهم فى الخطايا الجسام مثل الزنا والفسق مما استوجب عليهم غضب الله ، ثم اكمل قصة أرض الميعاد من خلال اسفار العهد الجديد (الاناجيل) وأوضح النظرة المسيحية لهذه الأرض والتى تتلخص فى تخلى السيد المسيح عن اليهـــود وعدم حمايتهم و« قطع الشركة معهم وتركهم فريســـة للغضب الالهى فيهلكون ويتبددون » (٣٠) .

---

(٢٦) هـ يناير ١٩٨٦ .   (٢٧) هـ أغسطس ١٩٨٧
(٢٨) هـ يناير ١٩٨٨ .   (٢٩) هـ يناير ١٩٧٨ .   (٣٠) هـ سبتمبر ١٩٨٢ .

وتعرض المجلة إلى جانب ذلك للأعياد المسيحية ومنها عيد رأس السنة التوتية عند الأقباط ، وعيد رأس السنة الميلادية وأعياد الغطاس وأحد الشعانين والنيروز والفصح ، وما داخل بعض هذه الأعياد من خرافة ووهم . كما صدر فى سلسلة كتاب الهلال « حياة المسيح » للعقاد (يناير ١٩٥٨) وهو أصل كتاب « عبقرية المسيح » مع إضافات إليه تضمنت كشوفا عصرية .

وعلى هذا النحو قدمت المجلة مجموعات من المقالات والدراسات عن المسيحية والمسيح عليه الصلاة والسلام . شارك فيها مسلمون ومسيحيون ، اتسمت بالتسامح الدينى وعززت أواصر الوداد بين معتنقى الديانتين . وليس أدل على السماحة الدينية من إقرار جرجى زيدان بأن وضع رجال الدين المسيحى فى العصر العثمانى كان أعلى من وضعهم أيام الرومان ، ومن إشادة البابا شنودة بانسانية صلاح الدين واستنكار الحروب الصليبية ، أما كتابات المسلمين عن السيد المسيح فقد انعكس فيها التقدير والتعظيم لشخصه الكريم .



ليست لدينا صورة جلية عن حركة التأليف التاريخى وبخاصة التاريخ الاسلامى فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وقد وقعنا على رسالة فى الهلال – تعتبر شهادة على تلك الفترة فى مجال التأريخ للأسلام – بعث بها أحد القراء ويطالب فيها بتأليف كتاب كبير باللغة العربية فى التاريخ الاسلامى الذى كان يدرس « فى المدارس الاسلامية باللغة الاجنبية بدعوى أن اللغة العربية ليس فيها تاريخ موجز صحيح مما استلفت أنظار الأمة ، فانتقدت الحكومة انتقاداً مراً ، وسلقت علماء الاسلام بألسنة حداد ، واستحثتهم على سد ذلك النقص ، حتى أن مجلس شورى القوانين عارض الحكومة المصرية فى ذلك » ثم اسندت الحكومة مهمة تأليف كتاب فى تاريخ الاسلام إلى الشيخ محمد عبده ، ولكن الموت سبق إليه قبل أن ينجز شيئا [٣١] .

وهذا يرينا كيف ساعدت الهلال بمقالاتها التاريخية الاسلامية على ملء هوة واسعة فى مجال كتابة التاريخ الاسلامى وحضارته . أما العمل الكبير الذى سد النقص فهو كتاب « تاريخ التمدن الاسلامى » بأجزائه الخمسة الضخام لجرجى زيدان والذى وزعته الهلال على مشتركيها. ويعد هذا الكتاب الذى ظهر فى الفترة من ١٩٠٢ إلى

(٣١) هـ مارس ١٩٠٦ .

١٩٠٦ أهم الكتب فى موضوعه على الأقل فى ذلك الوقت ، لغزارة مادته ، ومجاراته لمناهج الكتابة التاريخية الحديثة ، و د. حسين مؤنس يقول عنه « لم يؤلف أحد من العرب فى الموضوع كتابا يشبهه إلى الآن » [٣٢] وقد فتح طريقا للمؤلفين فيما بعد ، فألقى أحمد زكى باشا شيخ العروبة محاضرات فى الجامعة المصرية عام ١٩٠٩ بعنوان « الحضارة الاسلامية » [٣٣] ، ولكن كتاب « تاريخ التمدن الاسلامى» لم يسلم من الأخطاء، فانتقدته المقتطف عام ١٩٠٦ ، كما انتقده مصطفى جواد فى مجلة «العرفان » والأب لويس شيخو اليسوعى فى مجلة « المشرق » وشبلى النعمانى (عالم مسلم هندى) فى مجلة المنار ، وقد تصاعد بعض هؤلاء بالنقد إلى درجة اتهام مؤلفه بسوء النية وبخاصة شبلى النعمانى .

والبحث فى الهلال قادنا إلى جذور فكرة تأليف كتاب « تاريخ التمدن الاسلامى » فقد وجه أحد القراء ويدعى « محمد سليم » سؤالا إلى صاحب الهلال هو « هل قام التمدن الاسلامى – فى صدر الاسلام – بالسيف أو بالقلم ؟ » [٣٤] ولم يجب زيدان عن السؤال ، وأنما طرحه على القراء للإجابة عنه ، وأخذ ينشر الاجابات الواردة ، وأهمها ما جاءه من رفيق العظم وأحمد محمد الألفى . وقد ربط العظم بين الشريعة الاسلامية والتمدن الاسلامى ، وبيّن أن ما اشتملت عليه الشريعة من نظام كامل للمجتمع المدنى ، جمع الناس على التعاون ، وفصل بين النفوس المتغالبة بالحق ، ولزم عن ذلك ، التمدن الذى شاع فى الأرض بعد استتباب الأمن ، واستقرار الأحوال ، ورأى أن العرب الذين دخلوا الاسلام كانوا مستعدين للتمدن بدليل سرعة تجاوبهم مع التقدم ، وذهب إلى أن السيف لا ينصر الحياة الاجتماعية وينمى العمران .

ورد شخص رمز لنفسه بحرفى (ر . ن) وزعم أن التمدن الاسلامى تحقق بما أخذه الاسلام من الدول المفتوحة بحد السيف ، ولكن رفيق العظم لم يترك هذه التخرصات ، فرد بما يفيد أن كثيرا من الامارات والأقطار دخلت الاسلام دون حرب ، وانتبه إلى نقطة مهمة وهى أن الاسلام رفع شعار الاسلام أو الجزية ، ولم يرفع شعار الاسلام أو السيف [٣٥] .

---

(٣٢) انظر تقديم د . حسين مونس لكتاب « تاريخ التمدن الاسلامى » ط .الهلال . ويقول د . مؤنس إن هذا الكتاب صدر عام ١٩١٠ والصحيح أن الجزء الأول منه صدر عام ١٩٠٢ .

(٣٣) منشورة بمجلة الجامعة المصرية ١٩٠٩ مع محاضرات أخرى القاها أحمد كمال (الأثرى) تحت عنوان « الحضارة القديمة » .

(٣٤) هـ ١٥ – ١٢ – ١٨٩٤ .

(٣٥) راجع ستة أعداد من الهلال فى الفترة من يناير إلى أبريل ١٨٩٥ .

وهذه المناظرة التى اشتملت على ثماني حلقات جاء منها سبع لصالح الاسلام ، وواحدة فى اتجاه مغاير .

وكانت الهلال تنشط قراءها وتطرح الاسئلة عليهم ، وتستحثهم على المذاكرة والمراجعة ، فتربطهم بها من ناحية ، وتنمي معارفهم من ناحية أخرى ، لذا نراها تطرح السؤال فى أثر السؤال على نحو ما ورد فى اعداد مختلفة ، ومن هذه الاسئلة « من هو أعظم رجل ظهر فى الاسلام من أول عهده إلى الآن ، وما الدليل على عظمته ؟ ثم اقترحت سؤالا فلسفيا هو : ماذا سوف يكون عليه حال العالم لو لم يفتحه المسلمون ؟ (٣٦) والسؤال عقلى بحت فى صميم فلسفة التاريخ ، ويدفع إلى تصور حال دولتى الروم والفرس لو لم تفتحهما الدولة الإسلامية ، وقد أجاب رفيق العظم أن الدولتين انتهيا إلى خلل فى النظام قبل ظهور الاسلام ، وأن ما كانا عليه من مظاهر الحضارة كان مصيره الضعف والزوال ، وكان عمر هاتين الدولتين سيطول بغير تحضر أو تمدن ، لأن أوربا الغربية لم تكن وقت ظهور الأسلام فى وضع يسمح لها بغزو الشرق ، ثم يبرز نقطة خطيرة وهى أن ظهور الاسلام نبه الغرب إلى التعصب الدينى . واشترك فى هذا الحوار شكيب ارسلان و (ر . ن) (٣٧) وجاءت معظم الاجابات لصالح الاسلام . واعتقد أن (ر . ن) الذى يأخذ دائما موقفا معاكسا شخص وهمى ، وقد يكون چرچى زيدان نفسه ، ودوره هو دفع المسلمين إلى الرد وتواصل الحوار ، لأنه لا يغيب عن فطنة زيدان أن معظم الذين سيكتبون فى هذا المجال هم من المسلمين ، وانهم سينتصرون لدينهم ، والمفيد أن المجلة وجهت إلى التاريخ الاسلامى بهذه الطريقة ، وركزت على جوانب فى غاية الأهمية تتعلق بتأمل التاريخ الاسلامى وإرسال النظرة الشمولية فيه ، واستخلاص رؤية مفسرة لحركاته ، أو ما يعرف بفلسفة التاريخ .

وراحت المجلة تذكر مآثر العرب والمسلمين . ودورهم الرائد فى التمدن الانسانى ، والحضارة العالمية ومن هذا مقالة طويلة كتبها فؤاد خير الله بعنوان « فضل عرب الاندلس على أوربا فى تأسيس التمدن الحديث » سرد فيها تأثير الشعر العربى على آداب الافرنج ، وما أخذته أوربا عن العرب فى الفلسفة والرياضيات وعلم النجوم ، وما اقتبسته من الصناعات ، وهندسة البناء ، وغير ذلك مما نقله الأوربيون عن العرب « أيام تدفقت فيها المعرفة حتى جاوزت الجبال ، وجازت العقبات ، وبلغت أوربا فى زمن كان أهله يفتخرون فيه بجهلهم الكتابة والقراءة » (٣٨) .

(٣٦) هـ أول يناير ١٩٠٠ .
(٣٧) انظر الهلال فى الفترة من أول يناير ١٩٠٠ إلى شهر يونية ١٩٠٠ .
(٣٨) هـ . أول يناير ١٩١١ .

. أما چرچى زيدان نفسه فقد كانت له يد طولى فى هذا ، فقد أخذ يفاخر بملء فمه بالحضارة العربية الاسلامية وذلك من خلال مقال دبجه عن العرب والتمدن قال فيه : « إن الافرنج لم يبدأوا بنهضتهم الأخيرة لانشاء تمدنهم الحديث إلا بعد احتكاكهم بالمسلمين فى الشرق فى أثناء الحروب الصليبية وغيرها ، وإطلاعهم على مدنيتهم العجيبة ، فدهشوا من أدابهم وعلومهم ، فأفاقوا من غفلتهم وأخذوا فى نقل كتبهم إلى السنتهم » واستطرد فى هذا الاتجاه ، وراح يسرد اسماء الكتب واعدادها التى نقلها الأوربيون إلى لسانهم فى الفلسفة والرياضيات والنجوم والطب [٣٩] .

وكتب منشىء الهلال سلسلة مقالات عن عظماء الاسلام فى الفترة من (١٨٩٧-١٩٠١) أمثال عمر بن الخطاب والامام على ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن ابى سفيان مؤسس دولة بنى أمية ، وابى مسلم الخراسانى القائم بالدعوة العباسية ، وعمر بن عبد العزيز سابع خلفاء بنى أمية وصلاح الدين إلى أخره . وفى أعداد أخرى ترجم للنابهين من سلاطين بنى عثمان وأدوارهم فى الدولة العلية .

وقد ذكر زيدان من مناقبهم الشخصية ، ومواهبهم فى السياسة والقيادة والملك ما يستميلنا اليهم ، وبعضهم يعد نموذجا نادر المثال فى العدل والرحمة والشجاعة والدهاء ، ولو تأمل القارىء اسماء من ترجم لهم زيدان لألفى فيهم الرءوس الكبيرة التى أسست الدول الاسلامية فى حقب متعاقبة .

وقد حفلت الهلال بمادة متنوعة عن الحركة الاستشراقية منذ بداياتها ، ونشرت كلمات لبعض المستشرقين من أمثال جويدى وكوتهيل .. وغيرهما ، وبين حين وآخر كانت الهلال تلمح اليهم . أو تطيل الوقوف عندهم ، ووصل الحال إلى تخصيص قسم كبير من عدد يناير ١٩٧٦ تناول أعلاما من المستشرقين . وأهم ما نلحظه أن المجلة كانت – فى الغالب – تشيد بمن يستحق الاشادة من هؤلاء ، وتحذر من بعضهم ، بل إن المجلة كانت تمدح وتقدح فى المستشرق الواحد تبعا لمواقفه .

ومن هؤلاء المستشرقين من اتسمت كتاباته بالاعتدال ، ومنهم من اتصف بالتطرف والتعصب والعداء للاسلام مثل مرجليوث . وقد عرف مرجليوث بيننا بما كانت تنشره له الهلال ومجلة الزهور (كان يصدرها انطون الجميل) وبما قاله فى انتحال

---
(٣٩) هـ . المصدر السابق .

الشعر الجاهلى ، وما كتبه من سخافات عن النبى صلى الله عليه وسلم . ويعنينا من أمر مرجليوث محاضرة ألقاها فى أحد المجامع العلمية عن « مستقبل الاسلام » ولخصتها الهلال فى عدة صفحات . والمحاضرة كما قرأناها فى المجلة أقرب ما تكون إلى عمل التقارير منها إلى جهد البحوث ، ويتضح من هذه المحاضرة مدى قلق أوربا من انتشار الاسلام ، وبخاصة عندما تجده ينتشر من تلقاء نفسه بالموعظة الحسنة دون عنف ، والخلاصة أن مرجليوث يعطى سامعيه صورة عن المد الاسلامى من خلال سياحاته ودراساته ويخبرهم أن الاسلام انتشر « مؤخرا فى بلاد الصين حتى أوجس أهل أوربا من انتشاره مخافة أن يصير ديانة المملكة فيحمل أهلها على الممالك النصرانية فى أوربا مثل الحملات الصليبية فى العصور المظلمة » ويبعث الطمأنينة فى نفوس قومه عندما يحيطهم علما بأن « تلك المخاوف لم تتحقق » وينقل عن د . بروين أن الاسلام يذهب بذهاب الدولة العثمانية . ولعل هذه العبارة تفسر سر الحملات العسكرية الأوربية المتوالية ضد الدولة العلية فى القرن التاسع عشر أو ما عرف بالمسألة الشرقية . فالقضاء على العثمانيين يعنى فى نظرهم القضاء على الاسلام . ويبين مرجليوث أن دور التبشير « لم يحبط حبوطا تاما » ولكنه لا يعلق عليه أملا كبيرا . والنصيحة التى يقدمها للمبشرين تكمن فى أن التبشير ينجح « فى البلاد التى لم يكن للمسلمين فيها دولة فى عصر الاسلام لذهاب الانفة بتذكر الاسلاف » وأبدى ارتياحه لوقوع « خمسة أسداس المسلمين تحت سلطة غير المسلمين » ويذكر فى محاضرته نبوءة أحد المبشرين فى أسيا الصغرى (تركيا) سنه ١٨٧٠ وهى أن الاسلام لا يلبث « أن يذوب ذوبان الثلج بين أيدى العلم والتمدن والنصرانية » ولكن مرجليوث له رأى مختلف يذهب فيه إلى أن الاسلام يبقى إذا اقترن بالعلم الحديث وإذا افترق عن السياسة بعد بعض التعديل ويظهر أن الاسلام لا يذهب إلا إذا داخلته « عوالم تنازع البقاء » (٤٠) .

وغاية ما يود « مرجليوث » قوله أن كل المحاولات التى جرت لم تقض على الاسلام، ومن ثم فلابد من تغيير الوسائل . وقد غير الأوربيون بالفعل من طرائقهم فقاموا بزرع اسرائيل وتزويدها بالاسلحة الفتاكة المدمرة ، وإحداث الفتن والشقاق بين المسلمين أو ما أطلقوا عليه «عوامل تنازع البقاء » فضلا عن العمل على ابعاد المسلمين عن العلم الحديث بأى شكل ، وحرمانهم من التقدم الصناعى الفائق ، وجعلهم فى إطار علمى محدود ، فإذا تقدمت دولة اسلامية فى مجال الصناعات الضخمة ، اخترعوا

(٤٠) هـ نوفمبر ١٩٠٤ .

الاسباب لضرب هذه الدولة ، هذا إلى جانب التغاضى عن إبادة الاقليات الاسلامية فى دول كثيرة .

وقد تناولت الهلال عدداً من المستشرقين – على نحو ما ألمحنا – بالدراسة والنقد، فقد كتب على أدهم عن رينهارت دوزى ، وعبد الغنى حسن عن فنسنك ، و د . محمد عبد المنعم خفاجى عن كراتشوفسكى ، و د . محمد أبو الانوار عن جوستاف فلوجل ، ومصطفى الشهابى عن بروكلمان ، ود . سوزان اسكندر عن نالينو ، وأنور الجندى عن التراث الاسلامى كما عرضه المستشرقون ، وأظهر كيف يهتم المستشرقون بالصور الجزئية ، والجوانب الضعيفة فى الاسلام ، والمؤثرات الاجنبية فى التراث ووقف د . أحمد الشرباصى عند جهود فنسنك الهولندى الذى وضع فهارس لاربعة عشر كتابا من امهات كتب الحديث وميز بعضها عن بعض برموز مثل « بخ » لصحيح البخارى و « مس» لصحيح مسلم ، « نس » لسنن النسائى وهكذا . وأشاد الدكتور الطاهر مكى بالمستشرق الاسبانى « اسين بلاثيوس » .فى مجال الفلسفة الاسلامية ، فقد درس – أى بلاثيوس – فلسفة ابن رشد وابن باجه ، وتصوف الغزالى وابن عربى وابن عباد الرندى ، وأظهر مكى أن بلاثيوس لم « يتردد فى الدفاع عن الموقف الاسلامى فى مواجهة مستشرقين أوربيين أخرين علمانيين » (٤١) .

ومعظم هؤلاء المستشرقين لم تسلم أعمالهم من الأخطاء المقصودة ، والأغراض المشبوهة ، كما أنه تجلت فى بعض كتاباتهم عواطفهم الشخصية ، ونزعاتهم الدينية ، ومواقفهم المريبة من الاسلام ، مما جعلنا نقرأ أعمالهم بحذر ، ونتابعهم فى احتياط .

ولكن الهلال تقدم صورة مغايرة لاستشراق نظيف ، مستغرق فى الايمان ، كلف بالاسلام متطلع إلى المشاركة فى بنائه وتوسيع دوره ونطاقه الانسانى ، وتعميم رسالته . استشراق يحرر النفس من مخاوفها ، ويحجب عنها منغصات الشكوك ، وغيابات الغموض . استشراق لا يرسم الخطط لوقف المد الاسلامى ، وإنما يجند نفسه ، ويوظف فكره فى نشر الاسلام وتحسين صورته لدى الفئات المضلَّلة . وأعنى بهذا الاستشراق اليوغسلافى أو على وجه التحديد استشراق علماء البوسنه والهرسك المسلمين . فقد أنشأوا ، منذ سيطرة الاتراك على تلك البقاع ، مدرسة موستار وسراييفو لتدريس الفقة والفلسفة الاسلامية . وتحدثنا الهلال من خلال رسالة لمحمد سعيد عن انجازات كثيرة

(٤١) هـ يناير ١٩٧٦ .

حققها الاستشراق فى البوسنه والهرسك منها التعاون مع مراكز العلم والثقافة فى العالم الاسلامى وبخاصة الجامعة المصرية ، ومنها إصدار معجم عربى صربى كرواتي يضم حوالى أربعة آلاف صفحة ، وتقديم أبحاث علمية عن الفلسفة العربية الاسلامية ، والفقه الاسلامى ، والاهتمام بالمخطوطات الاسلامية الموجودة فى سراييفو، وإصدار صحف تحمل اسماء محببة إلى نفوسنا مثل « البعث الاسلامى » «الايمان » « زمزم » ورسالة هذا الاستشراق النظيف المجرد عن الهوى « تعريف الشعوب اليوغسلافية ثم الشعوب الأوربية بالعلوم العربية ، وحضارة العرب ، وآدابهم ، والعمل على نشر اللغة العربية والترجمة منها إلى اللغة الصربية الكرواتية » ومن ترجماتهم الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة . وطوق الحمامة و« التفكير فريضة اسلامية للعقاد (٤٢) .

ضمت الهلال فى أعداد كثيرة منها مادة غير قليلة عن القرآن الكريم ، والعلوم المتعلقة به وأهمها :

علم القراءات . وهو خاص بضبط ألفاظ القرآن ، وأدائها اثناء القراءة ، والقراءات سبع لكل منها طريقة كان الخلف يتناقلها عن السلف إلى أن دونت وصارت علما مستقلا ضم كتبا كثيرة . وتعلق بهذا العلم رسم الحروف بزيادة أو نقص فى بعض المواضع ، أو مد فى حرف التاء وفى الهلال مادة عن القراءات كتبها أمثال د. محمد رجب البيومى وكمال النجمى .

● التفسير . وهو شرح القرآن وتبيينه وذكر اسباب نزوله وما إلى ذلك .

ولم تأخذ الهلال على عاتقها تفسير القرآن الكريم ، أو حتى تفسير أجزاء منه ، ولكنها بين حين وآخر ، وبخاصة فى المناسبات الدينية – تتناول موضوعا مما ورد فى القرآن الشريف وتنظر فيه وتقدم عنه دراسة تظهر فيها موقف القرآن الكريم من إحدى القضايا .

ومن أمثلة ذلك ما كتبه د . أحمد الشرباصى عن « الشيطان كما يصوره القرآن » فإنه تتبع بعض الآيات القرآنية التى ورد فيها اسم الشيطان ، ووضح خصائصه كما وردت فى القرآن ، فبين بالآية أن الشيطان مخلوق من النار ، وأنه طويل ممتد لأنه يمثل الشر ، ويرى الناس وهم لا يرونه ، وأنه خبيث يوسوس فى صدور الناس ويسيطر على ضعاف الايمان وغير ذلك (٤٣) .

(٤٢) هـ يناير ١٩٨٣ .
(٤٣) هـ مايو ١٩٧٤ .

وقد يستأنس فى تفسير الآيات التى ورد فيها ذكر الشيطان بكلام أئمة المفسرين، أو يهتدى ببعض الحديث الشريف ، أو يستعين بمعاجم اللغة ، وقد يجتهد ولكنه لا يبتعد عن النص القرآنى ، وفى النهاية يقدم صورة مركزه وافية عن الشيطان ترد متفرقة فى القرآن ، وتأتى مجتمعة فى المقالة فيحيط بها القارىء فى جولة واحدة .

وقريب من ذلك ما كتبه د . سيد نوفل عن « الأحلام فى القرآن » الذى استهل مقاله بذكر الأحلام فى ضوء علم النفس الحديث . وهذا يعنى أنه ينهج نهجا علميا فى التفسير يفيد فيه من الأقوال المعاصرة . أورد الكاتب رؤيا الخليل ابراهيم عليه السلام حينما بشره الله «بغلام حليم » وما رآه فى المنام من ذبح ولده قربانا لله ، وحلم يوسف الذى رأى فيه « أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ورؤى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة غزوة بدر والنصر فيها ، وحلم الرسول الأمين بفتح مكة (٤٤) .

وفى هذا المقال يفسر د . نوفل الآيات على هدى الاحداث الدينية ، وفى الحلمين الأولين الخاصين بإبراهيم ويوسف عليهما السلام يرجع إلى الاسرائيليات ليوضح الفروق أو الاشباه بين التفسير القرآنى والآيات التوراتية ، ويرجح الأولى على الثانية ويستند فى ذلك إلى الحديث الشريف ، أما فى الرؤيا الثالثة الخاصة بسيد المرسلين فإنه يسترشد فيها بالواقع التاريخى . وتفسير نوفل لا يخلو من التجديد لأنه يمزج بين الحديث الشريف والفلسفة والتاريخ وعلم النفس والاجتهاد الشخصى فى تفسير آيات من الذكر الحكيم . وهذا اللون من التفسير الذى يتكىء على العلوم الحديثة حاوله طنطاوى جوهرى فى كتابه التفسير الموسوم بالجواهر وقد أكثر فيه من الكلام على العلوم الحديثة ، وكتابه « القرآن والعلوم العصرية » ومحد لطفى جمعه فى كتابه «نظرات عصرية فى القرآن الكريم » ولكن حذار من التمادى فى هذه الطريقة .

وعلى هذا النحو نلتقى بمادة أخرى فى الهلال تتخذ موضوعاتها من القرآن الكريم مثل « اعداء الله فى القرآن » للدكتور سيد نوفل وغيرها ، وهناك لون آخر من الكلام يتصل بالتفسير اتصالا مباشرا ويتعلق بالاسرائيليات التى رواها المفسرون عن التوراة ، وقد عالج هذا الموضوع د . رجب البيومى علاجا شافيا ونادى مع غيره بترك هذه الاساطير (٤٥) .

وعلى هذا تتنوع فى الهلال الدراسات القرآنية التى تتحرى النص القرآنى ، وتقف عند المدلول اللفظى ، وتأخذ بالأثر وغيرها التى تحاول الافادة من العلم الحديث ،

(٤٤) هـ اكتوبر ١٩٧٥ . (٤٥) هـ مايو ١٩٨٨ .

أو التى تحاول أن تستبطن النص القرآنى وتتعمقه وتستخرج منه مواقف واضحة تجاه العلم والحياة مثل كتاب «الفلسفة القرآنية » للعقاد فى سلسلة كتاب الهلال ١٩٦٢ .

وإلى جانب انشغال المسلمين بالقرآن وتقديم دراسات عنه ، وتفاسير له ، باعتباره المصدر الأول للتشريع ، اهتموا بالسنة الشريفة ، والسيرة النبوية الذكية .

ومصدر عناية المسلمين بالسنة أنها ليست فقط المصدر الثانى للتشريع ، وإنما لأنها الصورة العملية للشريعة . وبدونها يفقد المسلمون الشكل الدقيق للدولة الاسلامية كما جاء فى الشرع ، ويطبقون ما ورد فى القرآن طبقا لاجتهاد المجتهدين ، ومنهم من يتعثر ، ومنهم من يتخبط ، فتكثر الصور ، وتختلط الأمور ، ويتداعى مع الزمن النظام المحكم .

وقد سجلت المجلة بعض المقالات عن السنة النبوية ، وأظهرت مكانتها فى التشريع الاسلامى ، ومن هذا ما كتبه فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى التعريف بالسنة ، والتفسير اللغوى لها ، ومعناها فى الاصطلاح الشرعى ، والفرق بين السنن القولية والسنن الفعلية ، ووجوب اتباعها لصدورها عن الرسول (ص) وأبرز فضيلة شيخ الأزهر « أن الأحكام التى وردت فى السنة . إما أن تكون احكاما مقررة لنا فى القرآن ، أو أحكاما مبينة لها ، أو أحكاما سكت عنها القرآن وأظهر الرسول – صلى الله عليه وسلم – حكم الله فيها » [٤٦] .

وتتوسع الهلال فى إظهار مدى أهمية السنة الشريفة ، فقد ذهب د . محمد عمارة إلى أنها تجسيد عملى تطبيقى للرسالة الإلهية على الأرض ، وأنها مصدر لمعرفة اسباب نزول القرآن ، ولمعرفة التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى [٤٧] وهى نظرات سديدة تجدى على « السنة » وتوسع مفهومها ، وتبين دورا آخر لها إلى جانب دورها فى التشريع .

كانت شخصية الرسول عليه أشرف الصلاة والسلام ، وراء تغيير واسع النطاق ، بعيد المدى فى الحياة ، فقد انزوت فلسفات شائخة ، وانطوت معتقدات بائرة ، وحجب غبار الغزوات النبوية والمعارك الاسلامية ، النحل البالية ، والأفكار الجامدة ، والتصورات لفاسدة للعالم المنظور ، والعوالم الخفية ، وطلعت على الناس آيات بينات قوية التأثير ، عميقة النفوذ ، مستحكمة فى القلوب ، ومن ثم راح المسلمون يسجلون فى تؤدة وأناة ،

(٤٦) هـ نوفمبر ١٩٨٥ .   (٤٧) هـ نوفمبر ١٩٩٠ .

أخبار الرسالة والرسول ويقيدون السير النبوية الشريفة فى دواوين كبيرة ، ومن هذا ما كتبه ابن اسحق ، ونقله وأضاف إليه ابن هشام .

وظلت السيرة النبوية تتجدد وقتا بعد وقت مع إدخال تحسينات طفيفة على طرق القدماء فى الرواية والسرد . ثم اتخذ كتاب العصر الحديث طرقا مغايرة ، ومناهج جديدة تساير تطور العلوم تقترن فيها الواقعات بالتحليل ، والحادثات بالتعليل ، وتناول الرسول الكريم من خلال شخصيته الانسانية المتسعة الجوانب ، وتتعمق فيها ، وتصور عالمه الداخلى عندما ينفعل قلبه بالأحداث التى تلم به . وقد جاءت بعض مقالات الهلال فى هذا الاتجاه الجديد ، فنرى مقالة عن « الحب عند رسول الله » كتبها عبد المنعم الجداوى، يظهر فيها العواطف الكريمة للرسول نحو السيدة خديجة والسيدة عائشة رضى الله عنهما ، ومدى حبه لهما . وفى مقام آخر تختلج مشاعر النبى (ص) بالألم ويظهر هذا عندما يبكى صلى الله عليه وسلم ولده إبراهيم ، فيحدثنا د . رجب البيومى عن أثر هذا الحادث فى سيرة النبى ، ويتلمس هذه الآثار فى كتابات العقاد وطه حسين والزيات ومحمد حسين هيكل ممن دونوا السيرة النبوية ، وتنبهوا إلى واقعات كان لها أثرها الفعال فى حياة الرسول . وليس هذا فحسب ، وإنما نرى الهلال تمضى فى توسيع جوانب السيرة النبوية فتبحث فى جوانب لم تسلط عليها أضواء كافية لتجليتها وتنويرها ، ومن هذه البحوث « محمد أديب العرب الأول » الذى كتبه د . إبراهيم عوضين.

واستشهد فيه بنصوص نبوية تكشف عن فصاحة رسول الله وعلو بيانه ، وأورد الكاتب عبارات ابتكرها النبى ولم تكن العرب تعرفها من قبل (٤٨) .

وهكذا تتناول هذه الطائفة من المقالات خصائص إنسانية ، وبيانية فى حياة الرسول ، وتركز عليها ، وتضعها فى الظروف التى ابتعثتها .

ونظرا لأهمية الازهر وكثرة الأحداث المتعلقة به من ثورات وطنية ، وقرارات إصلاحية ، فإنه صار رافدا من روافد الصحف والمجلات ، فراحت تتابع أخباره ، وتسجل أحداثه .

ومجلة الهلال من تلك المجلات التى دونت كثيرا من واقعاته ، ومنها حادثة جرت عام ١٨٩٦ ملخصها أن طالبا ازهريا أصيب بالكوليرا فى رواق الشام فأراد الطبيب إخراجه من الرواق ومعالجته بالمستشفى فأبى زملاؤه لسوء ظنهم فى الطبيب ، وتصاعد

---

(٤٨) هـ نوفمبر ١٩٨٥ .

الموقف بين الطلبة والسلطة التى تمثلت فى المحافظ وحكمدار الشرطة الإنجليزى ، وجرت حوادث عنف أصيب فيها الحكمدار وبعض من معه بأحجار المجاورين ، وقتل عدد من الطلاب ، وحكم على بعضهم بالسجن (٤٩) .

وتابعت الهلال بعد ذلك أحداث الازهر ، ونشرت عشرات المقالات التى تناولت فيها تاريخه وعلومه وتلاميذه ، ومجلس إدارته ، وبعض شيوخه ، وظهر من خلال ما نشرته المجلة عن هذا الجامع الجامعة أنه ملاذ علوم اللغة ، وحصن علوم الدين ، ومركز تجمع الثائرين على الظالمين والمحتلين ، فنرى على صفحات الهلال مادة عن ثورة ١٧٩٨ ، وثورة مارس ١٨٠٠ ضد الفرنسيين ، وثورة ١٨٠٥ على خسرو باشا الحاكم التركى وكان الثوار يهتفون اثناءها بهتاف يقولون فيه « يارب يامتجلى . اهلك طائفة العثمانلى » مما يظهر ان ضيق المصريين بالاتراك قديم عدا دور الازهر فى ثورة ١٩١٩ ضد الانجليز .

ومن طرائف ما جاء فى الهلال عن الازهر أن سيدة تدعى الشيخة فاطمة العوضية كانت تدرس فى الازهر ، وتقدمت لنيل الشهادة العالمية عام ١٩١١ ، وتعسف معها أعضاء لجنة الامتحان ، ويقول الشيخ محمود أبو العيون « إن الاعضاء لم يكن من اتجاههم تخريج امرأة تحمل شهادة العالمية فهى أيضا أصابها الخور والضعف ولم تستطع اكمال الامتحان ، فلم تنل من ذلك مغنما فكان لرسوبها اسف عميق فى نفسها فقضى عليها بعد قليل من الزمان » (٥٠) .

وقد أشار الشيخ محمد عرفه إلى هذه الحكاية فى مقال له بالهلال نشر عام ١٩٥٥ وطالب بانشاء « قسم فى الأزهر لتعليم الفتيات المسلمات » .

ويسجل محمد عبدالله عنان المحاولات المتلاحقة لتجديد مناهج الأزهر والقوانين المتعاقبة لإصلاح نظم التعليم فيه وأهمها قانون ١٩٣٠ الذى حوّل « الجامع الأزهر إلى نوع من الجامعة » وقانون سنة ١٩٣٦ الذى حدد مراحل التعليم ومددها ، وقانون سنة ١٩٦١ الذى صار الأزهر بمقتضاه جامعة عصرية يضم كليات للشريعة ، وأصول الدين ، واللغة العربية ، والمعاملات والإدارة ، والهندسة ، والطب ، والزراعة (٥١) .

وقد تصدرت المادة الدينية فى الهلال فى مجالات أخرى مثل التصوف الاسلامى الذى درسته من زوايا متعددة ، وخصصت له أقساماً فى بعض أعدادها وتحدثت عن الفرق الاسلامية مثل الاسماعيلية ، والعلوية النصيرية والزيدية ، وعن الفلسفة الاسلامية والتصوير الاسلامى ، وغير ذلك من الدراسات الخصبة الناهضة على أسس علمية ، الحافلة بالنظرة العقلانية ، التى توضح الحقائق ، وتصحح بعض المفاهيم .

---

(٤٩) هـ ١٥ / ٦ / ١٨٩٦ . (٥٠) هـ نوفمبر ١٩٣٤ . (٥١) هـ يونيه ١٩٨١ .

قضية
تحرير المرأة

اقترنت قضية تحرير المرأة بالمصلح الاجتماعى قاسم أمين حينما أصدر كتابه الذائع الصيت « تحرير المرأة » عام ١٨٩٩ ، ولكن « قاسم أمين » لم يكن الأول فى هذا الاتجاه ، فقد دعا إلى تعليم المرأة « بطرس البستانى » عام ١٨٤٩ ، وأحمد فارس الشدياق الذى طالب صراحة بتحرير المرأة وسفورها ، ومما قاله فى كتابه « الساق على الساق » المطبوع عام ١٨٥٥ : « مهما بالغت فى أن تبرقع زوجتك عن رؤية الدنيا فلن تستطيع أن تخفيها عن قلبها ، فإن المرأة حينما كانت ، وكيفما كانت هى بنت الدنيا وأمها وأختها وضرتها » [١] ، وهذا بخلاف ماكتبه الشيخ رفاعة الطهطاوى فى كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » المطبوع حوالى عام ١٨٦٢ ، وما خطه عبد الله النديم فى شأن تعليم المرأة .

وبينما كان قاسم أمين مهموما بما جاء فى كتاب « مصر والمصريون » للدوق داركور ومشغولا بالرد عليه عام ١٨٩٤ دفاعا عن المرأة المصرية المتحجبة ، كانت الهلال تنحو نحوا آخر ، وتطالب فى اعدادها المتلاحقة بحقوق المرأة .

كانت البداية عندما أثار أحد قراء الهلال واسمه « زكى م » قضية كبرى جعل عنوانها « هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال ؟» وأجاب عن سؤاله بالاثبات ، ورأى أن لهن كفاية عقلية وبدنية تكفل لهن القيام بأعمال الرجال ، ودلل على رأيه بذكر نابغات فى الأدب مثل الخنساء ، ومدام ستايل ، وخبيرات فى السياسة وقيادة الدول مثل سميراميس فى آشور ، والملكة كاترينا فى روسيا ، والملكة مرجريتا فى انجلترا [٢] .

وسرعان ماعارضه د . أمين الخورى - القاطن دمياط - ولجأ إلى أدلة علمية وواقعية ليبرهن على أن الرجل أقوى بدنيا وعقليا من المرأة ، ورأى أن تتعلم النساء ترتيب المنزل وتدبيره وتربية الأولاد والاقتصاد [٣] .

---

(١) الشدياق « الساق على الساق » وكتاب محمد عبد الغنى حسن عن الشدياق - سلسلة أعلام العرب .

(٢) هلال ١٥ / يناير / ١٨٩٤ (٣) الهلال ١٨٩٤/٢/١٥

وانهالت الردود على د . أمين الخورى لتفند أقواله ، وتبطل حججه ، ومنها رد جرجس الخورى الذى تحدث عن حرمان المرأة فيما مضى من كل حق سياسى وعلمى وأدبى عدة قرون وذكر أن المرأة الأمريكية اخترعت ١٩٣٠ اختراعا فى الفترة من ١٨٠٩ - ١٨٨٦ منها آلات فلكية وحربية وبخارية ، ورأى أنه « يحق للمرأة أن تقوم بأشغال الرجال إذا تفرغت لها » (٤) .

ثم جاء رد « استير أزهرى » من بيروت لتنتصر للنساء ، ورد سيدة رمزت لنفسها باسم « المعتدلة » وربطت بين حقوق المرأة والعمران الحديث ، بمعنى أن الحضارة الجديدة تقتضى خروج المرأة للعمل ونيل الحقوق ، وشكت مما فرض على النساء من الاعتزال مما أدى إلى حرمانها من الحياة العملية والانقطاع إلى البيت ، ورأت أن « للمرأة تأثيرا فى التمدن الحديث كتأثير الرجل إذا لم يكن أكثر منه ، فيحق لها أن تطالب بحقوق مثل حقوقه » (٥) .

إلا أن دعوة الهلال فى المطالبة بحقوق المرأة صارت أكثر وضوحا من خلال رد « جبر ضومط » الذى أقر بحقوق كل من الرجل والمرأة ، ومنها « حق حرية أن يتخذ (كل منهما) المهنة أو الصناعة التى يرغب فيها ، وإدارتها على مايرى أنه أنسب بحاله ، وانمى لكسبه ، وحق حرية الأفكار والكتابات والمخاطبات » ورأى أن المرأة قادرة على العمل « ومنعها من طلب هذه الحقوق مخالف لمقتضى العدالة التى تؤذن لكل إنسان بالحركة والتصرف على مايريد بشرط أن لا يتعدى حرية الغير المساوية لحريته » (٦) .

وكما أن دعوة قاسم أمين لاقت عنتا ، وواجهت نقدا ، فإن دعوة الهلال وجدت من يناهضها من الرجال مثل د . أمين الخورى ، ومن النساء واحدة تقطن الاسكندرية ذيلت مقالا لها بتوقيع « بهية » وحثت فيها بنات جنسها على عدم التخلى عن مملكة البيت وتربية النشء وقالت : « مالنا نطلب فوق مانريد ونحن السائدات فى هذا العصر المالكات المتحكمات على القلوب بما ميزتنا به الطبيعة من سرعة التأثير ولطف المزاج ، والرجل يسعى ويكد ليقدم لنا مانحتاج اليه .. أى أحبتى أخشى على حقوقنا من الضياع إذا طالبنا فوق حقوقنا » (٧) .

---

(٤) هلال ١٥/٣/١٨٩٤.
(٥) الهلال ١٥/ ٤/١٨٩٤ .
(٦) هلال ١/٥/١٨٩٤ .
(٧) هلال ١/٦/١٨٩٤ .

وفى عام ١٨٩٥ حثت لبيبة ماضى [٨] النساء على تزجية الفراغ بالعمل . وبصرتهن بما « وصلت اليه المرأة فى الشرق من التأخير والانحطاط ، ومالنا راتعات فى بحبوحة التواني والكسل جاهلات بما كسبته المرأة الغربية من المجد والتقدم » [٩] .

واستمرت الهلال فى تفجير القضايا الحيوية المثيرة للجدل والنقاش . المنعشة للفكر ، الدافعة إلى تحريك المجتمع وإعادة النظر فى التقاليد ، فدفعت إلى قرائها وكتابها بسؤال آخر هو « هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال ؟» وقد أجاب أكثر كتّاب المجلة بأن المرأة تعلو بالعلم لأنه يكسبها الوقار والاعتدال ويجنبها الرذيلة والتبذير ، وينير قلبها ، فضلا عن فوائده الجمة فى تربية النسل ، وهناك من رأى أن العلم لا يدوم للمرأة بعد الزواج بينما يدوم المال ، ورأى د . أمين الخورى أن المرأة العالمة إذا تزوجت عالما مثلها لا يخلو أمرهما من المباحثة والجدل ويخطىء أحدهما الآخر فتقل الهيبة المطلوبة ، ورأى فرح أنطون أن المرأة تعلو بالاثنين ، وفضل العلم ، واعتبر المال من كماليات المرأة [١٠] .

ووسط كل هذا كان جرجى زيدان يوجه المعارك وينسق بينها ، ولم يتدخل ، ولكن وجدنا له مقالا مستقلا عن هذا العراك تحدث فيه عن الفتاة الشرقية قال فيه : " الفتاة الشرقية فى هذا القرن لا يرضينا منها أن تحبس نفسها بين جدران غرفتها لاتنظر إلى الطرق إلا من خلال النوافذ » وانتقد حجابها ودعا إلى خروجها وتعليمها ، وحدد ما يطلبه منها فى نقطتين : حشمة الشرق وعلوم الغرب [١١] .

وخلاصة كتابات الهلال فى تلك السنوات السابقة على دعوة قاسم أمين هى :

* المطالبة بحقوق المرأة ، والتلميح فى ثنايا الكلام إلى الحقوق السياسية .

* التركيز على خروجها للعمل وقدرتها عليه .

* التشبه بالنساء الغربيات فى التحرر والحصول على المال .

* نبذ ماضى المرأة – قعيدة البيت – والثورة عليه .

* ربط المرأة بالتمدن الحديث ، وإظهار أن تحررها يعد خطوة على طريق المدنية.

---

(٨) اشتهرت باسم لبيبة هاشم . قصاصة . شاعرة . أصدرت مجلة فتاة الشرق .

(٩) هلال ١٨٩٥/٦/١ . (١٠) راجع معظم أعداد الهلال عام ١٨٩٦ . (١١) هلال ١٨٩٧/١١/١ .

* جعل المرأة تجادل الرجل وتناقشه ، وتعرض قضيتها بنفسها وبصريح اسمها، فقد اشتركت فى هذه الحوارات عفيفة أظن ولبيبة هاشم واستير أزهرى وغيرهن ، وهذا ضرب من ضروب السفور والتحرر .

* صاحب كل ذلك دراسات اجتماعية ونفسية تتناول الفوارق بين الرجل والمرأة ولم تخرج دعوة قاسم أمين فى إطارها العام عن هذه الخلاصات ، ولعل ماثار من نقاش على صفحات الهلال هو الذى هيأ الأذهان لدعوة قاسم أمين .

وقد كانت المرأة الغربية هى دليل المرأة الشرقية ، فالصحف والمجلات تضرب بها المثل فى التحرر والتقدم ، والمرأة الشرقية تتابع تصرفات رائداتها الغربيات وماوصلن اليه ، فما كتب عن نسوة الغرب والمناصب التى حصلن عليها . شجع المرأة الشرقية على المطالبة بها ، ونشطها إلى محاولة إدراكها . وقد ساهمت الهلال بكتابات كثيرة ابرزت فيها ما بلغته المرأة الغربية من الوظائف التى كانت مقصورة على الرجال ، وراحت تذكر - أى الهلال - اسماء بلاد اجازت للمرأة حق الانتخاب مثل أمريكا التى منحت المرأة حقوقا سياسية فصارت تنتخب ، وتعمل فى الوظائف ، واستراليا التى اعطت نساءها حقوقا فى عضوية المجلسين التشريعيين ، والنرويج ، وفنلندا (١٢) ثم تطرقت الهلال إلى أعمال اسندت للمرأة فذكرت أن دانمركية قادت سفينة وقطعت بها الاطلنطى (١٣) وثانية تدير مصرفاً فى اليابان (١٤) وثالثة صارت شرطية تراقب النساء الغربيات فى لوس انجلوس وهكذا .

فإذا قلنا إن المرأة الغربية أرقى بطبيعتها من المرأة الشرقية ، وأن ماتصلح له المرأة هناك ، قد لاتصلح له المرأة هنا ، لسبق الأولى فى مضمار التحرر ، وحداثة الثانية فى ذلك ألفينا الهلال تضرب أمثلة تظهر قدرة المرأة الشرقية على التمدن واحراز التفوق، وتذكر أن السيدة انيسة صبيعة ألحقت بمدرسة طب ايدنبرج ، واجتازت الاختبار بينما فشل ١٣٥ طالبا أوربيا كانوا معها ، وأن هيلانه باروده التى تدرس الطب فى لندن ، توافى مجلة الطبيب بمقالاتها العلمية (١٥) ، كما تتناول - الهلال - الطبيبات فى الدولة العثمانية وعلو شأنهن فى ذلك (١٦) .

---

(١٢) هلال مايو ١٩١٤ . (١٣) هلال يونيه ١٩١٤ . (١٤) هلال ابريل ١٩١٤ .
(١٥) هلال ١/٩/١٨٩٥ . (١٦) هلال ١٥/٨/١٨٩٧ .

ومثل هذه الكلمات أو الاشارات تبعث الأمل فى المرأة الشرقية وتحثها على النهوض ، وتسنم أرقى المناصب ، ومن ناحية أخرى تجعل الآباء والرجال أكثر ثقة فى بناتهم ، وأحسن فألا بمستقبلهن .

وعلى أثر نشوب الحرب العالمية الأولى تجدد الحديث عن المرأة ، وراحت الهلال تبين دور المرأة فى هذه الحرب ، وتضرب المثل بشجاعتها ، وتذكر من اسماء المحاربات كوكو فتسيفا التى ارتقت إلى رتبة كولونيل (اميرلاى) ، والكسندر أفيموفنا الروسية التى اسرها الألمان

وتمكنت من الهرب مع بعض مجندات أخريات وأسرن ألمانياً وهن فى طريقهن إلى معسكرهن (١٧) . وكانت الحرب العالمية الأولى مناسبة للحديث عن النساء المقاتلات قديما وحديثا (١٨) وبذلك حطمت المرأة قول ابى العلاء :

كتب القتل والقتال علينا — وعلى الغانيات جر الذيول

ولم يقف الحديث عند ذلك فقط ، وإنما تناول تأثير النساء فى السلم بعملهن فى الصناعة والتجارة والزراعة، واستقلالهن فى العمل وهذا أدى إلى استقلالهن الفكرى (١٩) وتابعت المجلة أنشطة المرأة فى كل المجالات ، ولاحقت كل جديد فى حياتها وعملها ، مثل استعدادها للطيران ، وإظهار أنها أشد من الرجال فى هذا المجال (٢٠) وتشعب الحديث ، وامتد إلى دورها فى المجامع العلمية والأدبية (٢١) والصناعات والرياضة البدنية وغير ذلك مما صار للمرأة فيه نصيب وافر . والقصد أنها تصلح لكل الأعمال والأنشطة الذهنية والبدنية . كما أن هذه النبذ تحدد للمسئولين فى الدولة المجالات التى يمكن أن تطرقها المرأة عندما تنعقد النية على تشغيلها ، ولا يغيب عنا أثر هذه المعلومات فى النساء اللائى ضاعفن من جهدهن فى سبيل تحررهن وانطلاقهن على ماسنرى .

وقد اتبعت المرأة المصرية عدة طرق لتصل إلى مرادها ، وتشارك فى الحياة الحزبية والأحداث الوطنية ، ومن ذلك حضور جماعة من السيدات باليشامك والحبر إلى دار اللواء وجلوسهن مع الحاضرين للاستماع إلى خطبة مصطفى كامل التى

---

(١٧) هلال اكتوبر ١٩١٥ . (١٨) هلال ديسمبر ١٩١٧ . (١٩) هلال ابريل ١٩١٧ .
(٢٠) هلال نوفمبر ١٩٢١ . وفبراير ١٩٢٥ . (٢١) هلال مارس ١٩٢٢ .

استهلها بتوجيه الخطاب إلى السيدات والسادة . وتروى أمينة السعيد أنه يوم وفاة مصطفى كامل حملت فتاة تدعى تفيدة طلعت صبور علما وسارت به فى مقدمة موكب الجنازة حتى وصلت المقبرة فى الإمام الشافعى(٢٢) وتوالى اشتراكها فى الحياة العامة إلى أن خلعت اليشمك والبرقع والحجاب.

وفى مقال بعنوان « النهضة النسائية » تحدثنا هدى هانم شعراوى عن مراحل تقدم المرأة وكفاحها منذ تأسيس المدرسة السنية لتعليم البنات عام ١٨٧٣ ، ومرورا بالندوة الثقافية التى كانت تعقدها نازلى هانم فى بيتها ويحضرها علية القوم ، وانشاء «جمعية الرقى الأدبى للسيدات » قبل الحرب العالمية الأولى ، إلى وقت تكوين « الاتحاد النسائى » الذى وجه سير النهضة النسائية الناشئة . وتستطرد الزعيمة النسائية فى ذكر مآثر هذا الاتحاد ، فتورد أن من أنشطته حضور مؤتمر روما النسائى الدولى عام ١٩٢٣ ، ويشكل هذا السلوك انعطافا فى مسيرة المرأة المصرية إذ اندمجت فى الحركة النسائية العالمية ، ومما عددته هدى شعراوى على هذا الدرب تقديم خريجات مصريات فى الطب والمحاماة والأداب والطيران ، وتقرير سن السادسة عشرة سنا أدنى لزواج البنت ، واصلاح بعض نظم الأحوال الشخصية من خطبة وزواج وطلاق ، وأبرزت دور الاتحاد النسائى فى إلغاء الامتيازات الأجنبية ، وفى عقد مؤتمر نسائى عربى عام ١٩٣٨ لمساندة القضية الفلسطينية (٢٣) .

وماقالته هدى شعراوى هنا يساير النهضة النسائية العالمية التى واكبتها الهلال ونشرت أخبارها على صفحاتها منذ أواخر القرن التاسع عشر على نحو ما أشرنا .

وقد كان دعاة تحرير المرأة عارفين بما يمكن أن تتداعى اليه الأمور، ومن ثم صاحب دعوتهم التحذير من التمادى فى الانطلاق حفاظا عليها وعلى المجتمع من السفول والسقوط والانهيار . لذلك راح صاحب الهلال يبصر المرأة بالأضرار التى يمكن أن تنجم فى حالة انسياقها وراء الحياة العصرية ومظاهرها الخادعة ، فلفت النظرإلى ممارساتها المخزية ، ومما قاله . « فعاقبة المخاصرة على ماهو جار عند بعض الجماعات أضرار صحية وأدبية ، أما الصحية فإن الفتاة إذا دعيت إلى ليلة راقصة لبست لباسا حاسرا عن معظم صدرها وذراعيها، وبعد أن تقضى ساعات متوالية متنقلة

(٢٢) الهلال أغسطس ١٩٧٣ (٢٣) هلال سنة ١٩٤٢ .

ذهابا وإيابا يكللها العرق تخرج إلى الهواء البارد فيلفحها ، ولا يخفى مافى ذلك من أسباب العلل الصدرية ، فكم من فتيات أصبن بداء السل الخبيث وذهبن ضحية هذه العادة بعد أيام معدودة . أما الأضرار الأدبية فإن الاختلاط بالملامسة على هذه الصورة يقود ضعيفات العقول إلى شراك الهوى » (٢٤) وعلى هذا النحو يتحدث عن المقامرة وعواقب البذخ والتبرج ، وقد تمادت بعض النساء فى العبث والاستهتار حتى قال زيدان : « نرى بعضهن قد تجاوزن هذا الحد إلى ماحبب الينا أيام الحجاب ، وأبكانا على أزمان الجهل ، فأصبحنا نندب يوما لازمت فيه الفتاة منزلها واقتصرت على معاشرة خدمتها وقد اغلقت عينيها وفتحت أذنيها وأوثقت يديها ... يوم كانت لا تعرف الأزياء وضروبها ... ولا تشد خصرها بآلة من حديد تكاد تعصر أحشاءها فتعيق حركة الدورة وتفسد عمل الهضم مما يجلب السقام ويذوى زهرة الجمال » (٢٥) .

لقد كان تحرر المرأة فى البدايات بمنزلة تجربة ، وبعد استقرار الوضع والاقرار بتحررها ، صارت التجربة ظاهرة . والظاهرة تحتاج إلى تأمل وتحليل لذلك رأينا عدداً من المفكرين يراجعون الآراء ويقومون الأمور المستجدة ، فذهب سامى الجريدينى إلى أن عمل المرأة الأوربية أمر أملته الحاجة الاقتصادية وظروف الحرب العالمية الأولى ، أما المرأة الشرقية « فلم تجبرها الحياة الآلية الاقتصادية إلى الخروج إلى ميدان العمل بعد وليست محرومة من حقوق كانت اختها الغربية محرومة منها حتى الآن ، فسبيلها إلى التمتع بكل ما للرجال من حقوق وما عليهم من واجبات يجب أن يكون سبيلا بطيئا تمهده الضرورة ويهيأ له بالتعليم والتهذيب » (٢٦) .

وفى نوفمبر ١٩٣٤ خصصت الهلال عدداً لتقييم هذه النهضة النسائية وتقدير أثارها على المرأة نفسها وعلى الأسرة والمجتمع ، وتنوعت النظرات بطبيعة الحال ، فرأى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن المرأة تبنى ، أما فريد وجدى فقد رأى أنها تهدم بناء المجتمع باهمال تربية الابناء واشاعة الفحشاء والعمل على خلل التوازن الاقتصادى، واحتج بأقوال كثيرة لكتّاب عالميين من أمثال أوجست كونت الذى قال بأن

(٢٤) هلال ١٨٩٧/١١/١ .

(٢٥) المصدر السابق . وقد يقول قائل إذا كانت هذه هى حال المرأة عام ١٨٩٧ متبرجة راقصة مترفة فلماذا كانت دعوة قاسم امين بعد ذلك بعامين .

(٢٦) هلال يناير ١٩٣٠ .

استقلال المرأة مؤخر للرقى ، وجول سيمون الذى رأى أنه فى مقابل دريهمات تتقاضاها المرأة في العمل تقوض دعائم أسرتها . وفى نفس العدد المشار اليه ذهب محمد حسين هيكل إلى أن المرأة منذ تحررها لم تبدع جديدا وأنها تفكر على النسق الغربى .

ومن يتأمل هذه الأقوال لا ينكرها ، فهى ردور فعل طبيعية لخروج المرأة من خدرها ، ولابد أن تتغير أوضاع ، وتتبدل نظم ، وتخرج عن مدارها المعتاد . ونقد المرأة ورميها بالسخف والتقليد العقيم لن يجدى شيئا ، لأنها ترى أن تشديد النكير عليها من طباع الرجال ويساير أغراضهم فى العودة بها إلى القفص القديم ، ومهما قلنا فإنها لن تعود إلى البيت ،. وعلينا أن نتكيف مع الأوضاع القائمة ونحد من الفساد قدر الامكان . على أن ما يعنينا فى هذا المجال أن الهلال قامت بدورها فى الدعوة إلى التحرر والنهوض وحذرت من التمادى والسقوط ، وانتقدت عندما تجاوز الأمر الغرض منه ، وفتحت الباب لكل الآراء للأخذ بالأمثل منها .

ولكن هذه الحركة النسائية أفادت الأدب وأجدت عليه ، ووسعت من موضوعاته ، فقد أخذ الأدباء وبخاصة القصاص والمسرحيون يصورون هذه المستجدات فى رواياتهم بما فيها ألوان الحب والهجر والانفصال والانتقام والخيانة ، وعلى صفحات الهلال نلتقى بأصناف من القصص تتناول المرأة العاشقة والخائنة واللاهية والمظلومة والساذجة والمتعلمة وكيف تتعامل كل منهن مع الحياة الحديثة بكل خصائصها .

ولا أدرى كيف يمكن أن يكون حال الأدب عندنا لو لم تظهر المرأة فى الحياة العامة ، هل كنا نكتب قصصا ؟ هل كنا نمثل على المسرح وفى السينما ؟ والذين يبحثون عن تأخر ظهور المسرح والقصة عندنا عليهم أن يعرفوا العلة فى ذلك وهو تأخر تحرير المرأة وعدم دخولها إلى الحياة العملية ، إذ كنا قبلها نكتب قصصا تاريخية تعيد سير عنترة وسيف بن ذى يزن وأبى زيد الهلالى بأسلوب جديد .

إن ظهورها ساعد على نهضة أدبية تمثيلية كبرى .

ولم تقتصر الهلال على إثبات مادة أدبية فنية محورها النساء ، وإنما أظهرت تأثير المرأة المباشر على الأدباء والمفكرين منها ماكتبه طاهر الطناحى فى أعداد متفرقة عن نادى « مى زيادة » الأدبى والتفاف المثقفين حولها وغرامهم بها مثل لطفى

السيد وانطون الجميل والعقاد واسماعيل صبرى ، ومادبجه الشيخ مصطفى عبد الرازق عن أثر الأميرة نازلى فاضل على الشيخ محمد عبده الذى يتردد على صالونها فى قصرها . وقد أظهر هذه الآثارفى كتابات محمد عبده الآخيرة وميله إلى الدعابة والخفة و «إلمامه فى كتاباته بموضوعات لم يكن من قبل ليعرض لها مثل كلامه عن الرسوم والتماثيل محبذا » (٢٧) .

ومن هذا ماجاء فى الهلال عن غراميات العقاد بمى وسارة والممثلة السمراء ، وقصة زواجه العرفى من ممرضة وابنته المنتحرة (٢٨) والأشعار الرقيقة التى استوحاها محمد الفيتورى من شاعرة « وكان له فى جليلة رضا أشعار من نار » (٢٩) وغير هذا مما سجلته المجلة عن أثر المرأة فى حياة الأدباء الأوربيين مثل موليير وغيره ، وهى تشكل مادة كبيرة يطول الكلام فيها ، والحوار معها ، واستصفاء الحقائق الخالصة منها . وقد يقول قائل إن هذا الجانب وإن عد حسنا ، فإنه لا يماثل المفاسد التى نتجت عن هذا التحرر ، والرد أن المرأة كانت ستسفر مع الوقت مسايرة للتطور والتمدن حتى ولو بغير دعوات المصلحين .

وقد يسرت الهلال للأدبيات الكتابة فيها من أمثال د . سهير القلماوى و د . نعمات أحمد فؤاد ، وجاذبية صدقى ، وصوفى عبد الله ، ود . حكمت أبو زيد وغيرهن ، ومن الرائدات اللائى سبق لهن نشاط واضح فى الهلال :

* مى زيادة : وكانت أديبة حظيت بشهرة عندما أرسل إليها إميل زيدان خطابا عام ١٩١٧ لتكتب للهلال مقابل ثلاثة جنيهات لكل مقال ، وقد نشرت سلمى الحفار الكزبرى هذه الرسالة ضمن كتابها الذى جمعت فيه رسائل « مى » " وقد استهلت الكتابة بتحية الهلال فى اكتوبر عام ١٩١٧ ، وتوالت كتاباتها فنشرت قصصا مثل « حكاية السيدة التى لها حكاية » و« الشمعة تحترق » و« عائدة تتذكر » و« الحب فى المدرسة بين تلميذتين » وفى القصتين الأخيرتين تعرض لحب شاذ فى دور العلم ، ففى الأولى تغار تلميذة على معلمتها من زميلة لها (٣٠) وفى الثانية تغار تلميذة على صديقتها من خطيبها (٣١) وكتبت أدبا ذاتيا يحكى أطرافا من حياتها مثل « من يوميات عائدة » و«أهم

(٢٧) الهلال يوليه ١٩٥٨ . (٢٨) هلال مارس ١٩٨٧ . (٢٩) هلال أغسطس ١٩٨٦ .
(٣٠) هـ . يناير ١٩٢٢ (٣١) هـ . نوفمبر ١٩٣٤ .

حادث أثر فى مجرى حياتى » وهذا الحادث هو وقوفها خطيبة فى حفل تكريم خليل مطران عام ١٩١٣ وإعجاب الناس بها واستطارة شهرتها بعد ذلك (٣٢) ولها عدا ذلك مقالات فنية وأدبية مثل ماكتبته عن ميخائيل انجلو وقصيدة المواكب لجبران ، وباحثة البادية غير خطرات نفسية كانت ترسلها بين حين وأخر تتسم بغزارة الشعور . وقد إحتفت بها الهلال فكانت تطبع بعض كتبها وتوزع على المشتركين على سبيل الهدية مثل كتاب « ظلمات وأشعة » وأتاحت الفرصة للكتابة عنها ، وخصصت لها قسما عام ١٩٨٦ بمناسبة مرور مائة سنة على ولادتها .

* د . بنت الشاطىء : وقد بدأت تكتب فى الهلال منذ الاربعينيات ، وأكثر مانشرته عن نساء لاقين عنتا فى حياتهن أو ظلما من المجتمع أو عن امرأة هجرت حبيبها ولفظت حياتها وترهبت ، وقد حررت فى الخمسينيات باب « إذا سألتنى » تجيب فيه عن اسئلة يبعث بها القراء للهلال ومعظمها أسئلة نفسية تعالج القدرات الشخصية مثل الفشل فى الحياة أو عدم التركيز اثناء القراءة أو أضرار الزواج المبكر ، أو الحرمان من الإنجاب وغير ذلك . ولها مقالات أدبية وتراجم مثل ماكتبته عن « اسماء فهمى » و « نازك الملائكة » عدا مقالات اجتماعية مثل « أكاذيب » وتنتقد فيه الأوضاع المتردية بعد خروج المرأة إلى العمل وتسليم أولادها إلى خادمة جاهلة وضيعة ليس لها من بر الامومة وعنايتها ورحمتها نصيب ، وترى أن ذلك سوس ينخر فى هيكل المجتمع وتبين أن مايقال عن نجاح الفتاة الجديدة فى ميادين العمل اكذوبة (٣٣) . وهى شهادة مهمة لأنها صادرة عن امرأة عاملة .

* أمينة السعيد : وقد أخذت طريقها للكتابة فى الهلال منذ الأربعينيات ، وتميل إلى تدوين المذكرات وسرد الذكريات عن نفسها مثل « يوميات طالبة » أو عن غيرها مثل ماكتبته عن سيدة تركية اسمها « هانم أبله » أو عن شخصية زوجة وفيّة احبتها ، وحتى فى حديثها عن غيرها تتحدث عن نفسها ، وهذه الذكريات تجمع بين الاسلوب القصصى وطريقة سرد الذكريات والتمهيد لذكرى بذكرى ، أو ربط واقعة بأخرى من داخل شخصيتها أو من داخل الشخصية التى تحكى حكايتها ، ويبدو أنها اعتادت على كتابة

(٣٢) هـ فبراير ١٩٣٠ .   (٣٣) هـ . ابريل ١٩٤٩ .

المذكرات أو اليوميات منذ الصغر وتدربت على ذلك حتى أجادت تنسيقها ، ومن بين ماكتبته وله صلة باتجاهها ، رثاء رأس مالها الذى فقدته ، ورأس المال هذا الذى تنعاه قوامه الصراحة والسماحة والوفاء وتمضى معها وهى تسامر قراءها وتسجل واقعاتها ، مع الشعور ببساطتها وصراحتها التى تصل أحيانا إلى حد الاعتراف ، ولها مقالات اجتماعية أخرى تدور حول المرأة وتدافع عنها وتستخلص ردودها من الحياة العملية لتقنع قارئها بواقعيتها .

الحركة العمالية
وتطورات الفكر السياسى

قبل ظهور الهلال بعشرات السنين ، كانت الحركة العمالية العالمية قد اشتد ساعدها ، وتزايدت مطالب العمال بحقوقهم ، وأخذت بعض الحكومات تناصرهم وتتدخل لدى أصحاب الأعمال لتحسين أجورهم ، وتحديد ساعات العمل لهم ، ومما قوى شوكتهم، ورفع من صوتهم ظهور مفكرين اشتراكيين منذ مطلع القرن التاسع عشر من أمثال سان سيمون الفرنسى وروبرت أوين الانجليزى ، وماركس الألمانى ، فقد طالبوا بحقوق العامل كاملة ، وتطرفت هذه الدعوات إلى حد قول كارل ماركس إن أرباح العمل تعود إلى العامل ، ويأخذ منها صاحب المال ما يكفيه ، ورأى أن هذا هو الوضع الأمثل ، وراح يشرح الوسائل إلى ذلك .

وقد لجأ العمال إلى أساليب مختلفة للوصول إلى حقوقهم منها تكوين الأحزاب والنقابات والاضرابات عن العمل ، ومن أشهرها اعتصام عمال الفحم فى انجلترا .

ولم تكن مصر بمعزل عن كل هذا فقد نقلت الجرائد والمجلات بعض هذه الأخبار مثل المقتطف التى أثارت على صفحاتها « حل مشاكل العمال وأصحاب الأعمال » عام ١٨٨٧ و«الهلال» عندما كتبت عن اضراب العمال فى كرومو بجنوب فرنسا أكثر من شهر لأن أصحاب المعادن عزلوا عاملا من زملائهم وكيف تطور الأمر واستفحل حتى كاد يسقط الوزارة القائمة (١) .

وبالرغم من أن الصناعات فى مصر كانت محدودة والصناع قلة فى القرن التاسع عشر فإن ذلك لم يحل دون اعتصام الجماعات العمالية التى كانت تشعر بالظلم ، فقد أضرب عمال الفحم فى بورسعيد عام ١٨٩٤ وقالت الهلال : «اختلف الفحامون وأصحاب الفحم فى بور سعيد فتعصبوا وتوقفوا عن العمل مدة ، وقد أخذت الحكومة فى تسوية الخلاف والمنتظر حل هذا المشكل قريبا » (٢) .

---

(١) الهلال نوفمبر ١٨٩٢ .

(٢) هـ ١ - ٦ - ١٨٩٤ .

ولحق بهم عمال السجاير الذين أضربوا عن العمل فى معامل الدخان بسبب تخفيض أجورهم حتى أصبحت لا تكفيهم بينما أثرى أصحاب المعامل ، « وهم مصممون على التوقف عن العمل حتى ينالوا مطالبهم ، وقد التمسوا من الحكومة مساعدتهم فى ذلك » (٣) .

وتوالت الاعتصامات ، فاعتصم عمال الكراكات فى بورسعيد ، وتركوا العمل وتعذر التوفيق بينهم وبين الشركة (٤) ولكن الاعتصام استمر فبعد شهر تخبرنا الهلال أن عمال الكراكات مازالوا معتصمين وقد « بعثوا منهم وفدا إلى القاهرة ليعرضوا ظلامتهم إلى دولتلو رئيس النظار وجناب اللورد كرومر » (٥) .

ويبدو أن هذه الإضرابات لم تسفر عن شئ مهم مما دفع بعض العمال إلى تحسين الأوضاع وتقنين العمل بتأليف « الجمعية الاقتصادية الشرقية لعمال اللفائف (السجاير) بمصر» من سوريين ومصريين «وغايتها المساعدة المادية والأدبية ، وصيانة مصالحها مع أصحاب المعامل وانضم اليها عدد كبير من عملة السكاير وألفوا لجنة لسن قانون يسيرون عليه . وأعضاء هذه اللجنة هم الأفندية خليل ملوك وشكرى عبد الله وسالم منصور وحسن جلهوم ونخلة معتوق» ولعل هذا العمل هو أول نقابة أو شبه نقابة عمالية تعمل على سن قانون ينظم العمل ويحفظ مصالح العمال . وقد نال هذا ثناء صاحب الهلال فقال معلقا : «فنثنى على الساعين فى هذا المشروع لأنه دليل على تنّور الأذهان وائتلاف القلوب » (٦) .

وقد عملت الهلال على تنمية الوعى العمالى فنشرت إحصائية تبين فيها أيام العمل فى الدول الغربية ومصر بقصد إظهار مدى معاناة العامل المصرى ، فأظهرت أن أيام العمل السنوية فى روسيا ٢٦٧ ، وفى بريطانيا ٢٧٨ ، وفى إسبانيا ٢٩٠ ، وفى النمسا ٢٩٨ .. وهكذا أما فى مصر «فإذا اعتبرنا عامة الباعة فأيام العمل عندهم تزيد على عدد أيام السنة كلها » (٧) .

كما نشرت إحصائية أخرى تظهر فيها أجور العمال فى اليابان بالأرقام ، فالخياط مثلا يتقاضى فى اليوم خمسة عشر قرشا بينما يستطيع أن يعيش عيشة متوسطة بمبلغ سبعين قرشا فى الشهر بما فيه أجرة المنزل والطعام والشراب (٨) .

(٣) هـ . ١٥ - ٧ - ١٨٩٤ . (٤) هـ . أكتوبر ١٨٩٤ . (٥) هـ . ١٥ - ١٠ - ١٨٩٤ .
(٦) هـ . ١٥ - ٧ - ١٨٩٦ . (٧) المصدر السابق . (٨) هـ . أول نوفمبر ١٩١١ .

كذلك نشرت إحصائية عن أجور العمال فى انجلترا [٩] . وربما كان الهدف من وراء نشر الاحصاءات بالأرقام - عدا تنمية الوعى العمالى - هو تبصير أصحاب المصانع بما يتقاضاه العمال فى الدول الأخرى ، وحثهم على تحسين أوضاع العامل المصرى .

على أن اضرابات العمال لم تتوقف واستمرت فئات أخرى مثل الخياطين وعمال الترام والسكة الحديد فى الاضرابات مما دفع بعض كتاب المجلة إلى تناول تاريخ الاعتصام منذ القدم [١٠] مع بيان أسبابه ومسوغاته [١١] .

وإذا كان حديث الهلال عن الاعتصام والأجور وتكوين جمعية اقتصادية تعنى بمصالح العمال يتضمن فكرا اشتراكيا ، فإنها لم تذكر الاشتراكية بصريح اللفظ إلا عام ١٨٩٧ . وكان زيدان يسمى الشيوعية «الاشتراكية المحضة» (كومونزم) وهى «اشتراك الناس فى المال والمتاع جملة» ، أما الاشتراكية فكان يسميها « الاشتراكية المعاضدة» وهى «التى تختص بالعمل مع توزيع نفعه على الجمهور » [١٢] ، وقد قاده ذلك إلى التحدث عن «السوسياليست» أو الفكر الاشتراكى منذ أقدم العصور عند فالياس الخليقدونى ، وأفلاطون فى جمهوريته ، وتنقل به عبر العصور إلى أواخر القرن التاسع عشر وترجم لأصحابه ، وأشار إلى كتبهم المتضمنة أفكارهم الاشتراكية .

ويؤخذ من أقوال جرجى زيدان أنه لم يكن اشتراكيا أو داعيا إلى الفكر الاشتراكى لأنه «طلب مخالف لمجارى النواميس الطبيعية لأن المرء إنما يكتسب المال أو الجاه أو غيرهما من أسباب السعادة بجده وسهره ، فكيف يقاسم بها غيره ممن لم يعملوا عمله أو لم يؤتوا ما أوتيه من المواهب» وأخذ يفند دعاوى الشيوعيين والاشتراكيين ويدافع عن الثراء بالإرث ، وقال إن الإرث ليس فى المال فقط ، وإنما قد يرث الإنسان مرضا من والديه وتساءل «هل يستطيع الوارث رفض هذا الميراث» ورأى أنه ليس من العدل أن يرث المرض ولايرث المال ، وراح يقول إنه لوجارينا الاشتراكيين وجمعنا المال ووزعناه بالتساوى بين الناس ، فإننا سنضطر بعد عدة سنين إلى جمعه مرة أخرى وإعادة توزيعه ، لأن من الناس من سيخسر ماله فى ملذاته ، ومنهم من سيربح أضعاف مامعه [١٣] وإذا كان زيدان لم يلجأ إلى العمق والتفلسف فى تفنيد المبادىء الاشتراكية ، فإن ما قاله يساير الفطرة السليمة ، ويحكمه المنطق الصحيح .

(٩) هـ . أول نوفمبر ١٩١١ . (١٠) هـ . فبراير ١٩٢٠ . (١١) هـ . ديسمبر ١٩٣٤ .
(١٢) هـ . ١٥ - ١٢ - ١٨٩٧ . (١٣) المصدر السابق

وموقف زيدان الشخصى من الاشتراكية لم يحل دون حديثه عن الفكر الاشتراكى ومتابعة أخبار الاشتراكيين وبسط أقوالهم فى مجلته ، كما أتاح الفرصة لكتاب مصريين فى نشر آرائهم الاشتراكية .

فكتب سلامة موسى مقالا يشرح فيه تاريخ الاشتراكية فى انجلترا وأحوال عمالها ، ومما قاله : « قام الاشتراكى يطلب رد الأرض للفلاح (من اللوردات) وعمل على إنشاء قانون يقضى بالاقرار بمنح الفلاح قطعة صغيرة من الأرض ونزع ملكيتها من صاحبها إذا لم تكن مفلوحة » أو قوله بأن الاشتراكى يرى «أن تمتلك الأمة جميع مصادر الثروة وتقسم أرباحها بالعدل على العمال » (١٤)

وأهم من ذلك أن سلامة موسى أشاد فى مقاله بالأحزاب الاشتراكية فى انجلترا ومن بينها حزب العمال ، والمعروف أن الأشتراكية تساعد الشعوب على التخلص من الاستعمار والاستغلال ، وقد تولى حزب العمال الحكم فى انجلترا أكثر من مرة ، ولم يتنازل العمال من تلقاء أنفسهم عن مستعمرات بريطانيا العظمى التى لا تغيب عنها الشمس ، وقبيل كتابة سلامة موسى مقاله عقد الحزب الوطنى بزعامة محمد فريد مؤتمرا فى جنيف عام ١٩٠٩ حضره الزعيم العمالى «كير هاردى» وقال فيه ما كان يقوله كرومر فى مصر ، فما الفرق بين العمال والمحافظين ؟ هل الحديث فى الاشتراكية مجرد شقشقة كلامية فقط ؟

وقد جرت مساجلات - لم تصل إلى حد العراك - على صفحات الهلال حول الاشتراكية، فهناك من رأى فيها حلا لمشكلة العمال ، وإنهاء سيادة بعض الناس على كل الناس، وأن أمل البشرية فى إيجاد نظام اقتصادى موحد ، وهناك من انتقدها ، وعدد عيوبها ، فقد رأينا كاتبا اسمه بولس مصوبع يدبج مقالا عن حاضر الاشتراكية ومستقبلها ، استهله بتعريف الاشتراكية ، وراح يسرد نقائصها وقال : « إن مذهب التوحيد القائم بالاشتراع والتوافق الاجتماعى هو عنوان الاستبداد والتضييق ، هو حجر عثرة فى سبيل التنوع الفردى لأنه يمنع انطلاق الفرد واستقلاله » ونبه الاشتراكيين إلى حق الفرد فى تغيير بيئته أو الالتئام معها ورأى أن الفرد « مصدر الابتكار وعامل الارتقاء ، ومكون التاريخ » وانتقد الاشتراكية عندما تحاول « أن تقف

(١٤) هـ . أول مارس ١٩١٠ .

عند تصور الوحدة أو عند قانون جامد أو أمنية ثابتة » لأنها تتصف حينئذ بالجمود وتكون قيدا على الفرد وما يود قوله هو أن تكون الاشتراكية مرحلة فى سير الانسان إلى الأمام، أو بعبارة أخرى أن تكون مرنة متطورة مسايرة للظروف والأحوال ، وتكون اتجاها وليست غاية (١٥) ، وأهم ما فى هذا الكلام وصف الاشتراكية بالجمود والثبات على أفكـــار مـــحددة وعدم إقـامة وزن للفرد والابتكـــار ، وهى من النقاط التى أدت إلى انهيار الاشتراكية .

وفى عام ١٩١٧ استولى الشيوعيون على الحكم فى روسيا ، وكان هذا الحادث دافعا إلى كتابة مقالات كثيرة فى الهلال عن الاشتراكية والنظم الاقتصادية ، فنشرت المجلة مقالا تحت عنوان «حل المشكلات الاجتماعية الكبرى بمشاركة العمال لأصحاب المال » عرضت فيه فكرة شاعت فى أوربا مؤداها أن يحدد للعمال قدر من الأرباح ومن رأس المال فيصبحوا بذلك شركاء فى المصانع (١٦) .

ولكن هـذا الحل لم يرق لـكاتب اشتراكى هـــو نقـولا حـداد فـكتب ردا تحت عنـــوان « الاشتراكية ما تطلبه وما لا تطلبه » رأى فيه أن حل المشكلة القائمة بين العمال وأصحاب رأس المال يكمن فى إيجاد نظام يعمل على « نقل الشركات وجميع المرافق التى يقوم بها مجموعة عمال وجميع العقارات من أيدى ذويها – مساهمين ومالكين – إلى يد الحكومة بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة للثروة ملكا للأمة برمتها من غير تخصيص فئة بها دون فئة أخرى » وتناول اعتراضات أعداء الاشتراكية من مثل قولهم إنها تقتل النبوغ وتقفل باب التنافس بين الأفراد ، وتميت موهبة الاختراع والابتكار ، وأنه فى النظام الاشتراكى الجديد ستفسد المرافق والأعمال والأشغال ، ودافع حداد عنها دفاعا نظريا ، ويكفى أن نقول إن هذه الانتقادات التى وجهت إلى الاشتراكية هى من بين ما أضعف الاتحاد السوفييتى وبدد دولته .

وتوالى ظهور المقالات فى الهلال بعد نجاح الثورة فى روسيا ، وامتد حديث الهلال إلى إعادة النظر فى النظام الاقتصادى منذ أقدم العصور ، وكيف أدت الانظمة السالفة إلى تفاوت فى الثروة ، وكيف تطورت الملكية ، ومدى أحقية الفرد فى التملك ، ناقشت المعايير التى على أساسها توزع الثروة وعرضت وجهات نظر مختلفة فى هذا ، مثل توزيعها على أساس الحاجة ، أو على اعتبار الاستحقاق ، أو حسب العمل .

(١٥) هـ . مارس ١٩١٦ .   (١٦) هـ . يونية ١٩١٨ .

وانتقدت الهلال الثورة الروسية ووصفت نظامها الاشتراكى بالتطرف ، واستعارت كلمة من أحد الاشتراكيين يذهب فيها إلى أن روسيا لم تتحرر بعد من الجهل و « أن المعلم الذى يعلم تلميذه حساب المثلثات قبل أن يعلمه ماهو الخط المستقيم أو ذاك الذى يعلم الفلسفة العقلية قبل حروف الابجدية ليس بأكثر جنونا من أولئك الموسوسين الخياليين الذين لم يعرفوا العالم إلا من خلال الكتب ... لقد ارتكب البلشفيوق خطأين : خطأ بالنسبة إلى الزمان ، فإن البشرية لم تبلغ بعد الدرجة التى تؤهلها لذلك النظام ، وخطأ بالنسبة إلى المكان فإن البلاد الروسية هى أقل البلاد الأوربية استعدادا له.» (١٧).

وعلى هذا النحو جاءت مقالات الهلال عن الاشتراكية ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع :

- التعريف بها وبتياراتها وأعلامها .
- تأييدها وشرح مزاياها والدعاية لها .
- انتقادها وإبراز معايبها .
- مناقشة كل هذا بإسلوب علمى استقرائى وبطريقة تحليلية .

ولعل كل هذا يأتى فى إطار تثقيف القراء بما يقال فيها وعرض مختلف الأراء ، لدرجة أن المجلة ترجمت مقالين أحدهما عن سير الفرد موند ، والثانى عن رامزى مكدونالد تحت عنوان واحد هو : «الاشتراكية لها وعليها» (١٨) . ومعنى هذا أن الهلال فى تلك الفترة لم يكن لها موقف ثابت ، وقضية تدافع عنها ، ولايمكن أن تغفل موضوعا كبيرا شغل العالم مثل الاشتراكية . فالمجلة التى لا تساير عصرها يأفل نجمها . وليس هذا فحسب فقد تناولت عيوب الرأسمالية من خلال أحاديث أدلى بها أمريكيون بارزون (١٩) وكل هذا يدخل فى إطار العملية التثقيفية .

ولكن هذا الموقف الذى يمكن تسميته بالموقف الحيادى لم يطل فسرعان مانشرت الهلال بيانا عام ١٩٤٨ تعلن فيه التصدى للفكر الاشتراكى .

---

(١٧) انظر أربع مقالات جاءت تحت عنوان «أعظم المشاكل الاجتماعية توزيع الثروة بين البشر وفقا لمبادىء الاشتراكية و «البلشفيكية» بدون توقيع . نشرت اعتباراً من أبريل ١٩١٩

(١٨) هـ . يناير ١٩٢٤ .

(١٩) هـ . يوليه ١٩٤٧

ولعل الباعث إلى ذلك هو النشاط الزائد للشيوعيين المصريين ، فقد كثرت التنظيمات اليسارية السرية مثل تنظيم «لجنة العمال للتحرر القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة» و «الحركة الديمقراطية للتحررالوطنى» و «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» ، واتخذت هذه التنظيمات أسماء حركية ورمزية مثل اسكرا ، حدتو ، ح . م ، وقد انضم إلى هذه التنظيمات عمال وطلاب ومحامون واساتذة جامعيون مثل يوسف درويش المحامى ، ود. عبد الكريم السكرى استاذ الفلسفة ، كما أن الصحافة اليسارية تعددت وتنوعت واشتد عودها وصدر منها مجلة«الضمير» عام ١٩٤٥ و «الفجر الجديد» عام ١٩٤٥ ومجلة « الجماهير» عام ١٩٤٧ (٢٠) وغير هذا من نشرات حاضة على التمرد والاعتصام والثورة واعتناق المبادىء الشيوعيية والاشتراكية .

ووصل الأمر إلى تأييد الشيوعيين فى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ومصر قيام الدولة اليهودية ، وقبول قرار تقسيم فلسطين ، وانسحاب الجيوش العربية من فلسطين . وقد أعلن الحزب الشيوعى المصرى فى نشرة «الوعى» بتاريخ ٢٠ من ديسمبر ١٩٤٧ أن الوعى ترى أن «أمة جديدة قد ولدت وأن هذه الأمة يجب أن يعترف لها بحق تقرير المصير وبالتالى حق الانفصال» (٢١) .

فربما كان هذا دافعا للهلال أن تصدر فى مناسبة عيد العمال لسنة ١٩٤٨ وهو عام إعلان قيام إسرائيل ، عدداً عن «روسيا الحمراء» استهلته بالمقدمة التالية ·

«القضية الشيوعية - أو مذهب روسيا الحمراء - من القضايا التى تتردد على الألسنة كل يوم ، ويمر ذكرها فى الصحف عندنا مجردة عن معناها وأهدافها فلم يفهمها الأكثرون وظنها البعض على غير وجهها الصحيح : تحقق العدالة الاجتماعية ، تؤدى إلى المساواة الكاملة ، والسعادة الشاملة - تلك السعادة التى لم يصل إليها البشر فى عصر من العصور .

«ولذلك عنينا فى هلال مايو - وهو موسم هذه القضية - أن نكشف اللثام عنها فى طائفة من المقالات والفصول تناولت زعيمها وقيصرها الحالى ستالين . كما تناولت معناها ونظامها الحكومى ، وحالة الدين والطبقات فيها ، وحياة الشعب الروسى فى

(٢٠) الصحافة اليسارية مصر . للدكتور رفعت السعيد

(٢١) ناجى علوشى الماركسية والمسألة اليهودية .

العهد القيصرى ، وفى ظل الشيوعية ، والحياة العائلية ، والمرأة فى روسيا قبل الحرب الأخيرة وبعدها .

«وقد اكتفينا بهذا القدر مما يعطى قراء الهلال فكرة واضحة عن روسيا الحمراء ومذهبها الأحمر ، حتى يقفوا على حقيقتها ، ولايذهب بهم ترويج المروجين لها مذاهب شتى ، فقد انتشرت فى هذه الآونة دعايات هدامة ، تجب مقابلتها بدعايات صالحة تكشف عن الحقائق، فليس أضر بحياة الجمهور - وبخاصة الشباب - من الغموض والتمويه والإبهام»(٢٢)

وكتب فى هذا العدد العقاد ود . أحمد زكى وميخائيل نعيمه ود . جورج حنا وغيرهم ، ومما قاله د . أحمد زكى : «الشيوعية سوف تنتهى صاعدة إلى ما انتهت إليه الاشتراكية هابطة» .

وعلى أثر تطبيق النظام الاشتراكى وتأميم الصحف فى مصر وتقدم الصناعة ، وزيادة عدد العمال وارتفاع شعار «الكفاية والعدل» تغير موقف الهلال ، وصارت ناشرة للفكر العمالى الاشتراكى ، وداعية إليه ، مع التركيز على مزاياه وفوائده ، وأصبح «الميثاق» معجما لغويا جديدا تستمد الكلمات دلالاتها منه ، فيتحدث محمود أمين العالم عن معنى الحرية فى مجتمعنا الجديد ، ويرفض المعنيين الليبرالى والوجودى للحرية ويقول : «لعل الميثاق أن يكون أنضج ماكتب حتى الآن عن المفهوم العلمى الصحيح للحرية» و «طريق الحرية فى بلادنا ليس طريق البرلمانية الليبرالية .. ليس طريق تعدد الاحزاب ، وإنما هو طريق التحالف الثورى لقوى الشعب العامل والتنظيم الثورى القائد .. طريق البرلمان الشعبى .. طريق أغلبية العمال» (٢٣) .وفى مقال آخر لمحمود أمين العالم بعنوان «أكثر من طريق إلى الاشتراكية» يتحدث فيه عن «سيطرة الشعب علي جهاز الدولة» (كذا) ويسخر من الدعوات التى تعمل على «تغطية سوءات الرأسمالية والسعى إلى إطالة عمرها بالاصلاحات المؤقتة » وأبرز «أن الانتقال إلى الاشتراكية لم يتحقق بتنظيم سياسى ثورى ولا بتغيير جذرى فى جهاز الدولة وإنماتحقق الانتقال بالتشريع السياسى والاقتصادى والاجتماعى» (٢٤) .

---

(٢٢) هـ مايو ١٩٤٨ . (٢٣) هـ . يوليه ١٩٦٤ .

(٢٤) هـ . أغسطس ١٩٦٤ .

وتعد سنوات الستينيات هى العصر الذهبى للاشتراكية وشيوع فكرها وما ان هلت السبعينيات حتى تغير مسار الكلام فى الهلال وفى الاشتراكية ، وظلت المجلة تتقلب على الوجهين إلى أن شهدت سقوط النظريات الماركسية فى أكبر الدول التى اعتنقتها وروجت لها .

وقيمة مادونته الهلال فى هذا الشأن منذ بداياتها تتمثل فى أنها سجلت كل مراحلها النظرية والعلمية ، بل إن ماقالته فى عيوب الاشتراكية هو تقريبا ماقيل فى نقدها عند أفولها وائدحارها فى الاتحاد السوفييتى (سابقا) وفى بلدان أخرى مجاورة له .

الفن التشكيلى
وتراثنا الحضارى

نشطت حركة الاستكشافات الأثرية المصرية فى القرن التاسع عشر ، واعتنى الحكام المصريون ، بآثار المصريين القدماء وتدخلوا لمنع الأجانب من تهريبها إلى خارج البلاد.

وقد كانت هذه الاستكشافات مادة للكتابة لها صلة وثيقة بميول الهلال منذ البدايات .

ومن هنا اهتمت الهلال بالآثار التاريخية ، وقادها ذلك إلى الفنون التشكيلية ، أى أنها أخذت فى اعتبارها الناحيتين ، لذلك نراها تتابع الحفر والتنقيب ، وتسجل المكتشفات وتقف على غرائبها مثل : «اكتشاف مصرى فى هرم دهشور»(١) «تحتمس الثالث» (٢) «عمود السوارى» (٣) « الاكتشافات الأثرية المصرية» (٤) «تنقيب الغربيين عن الآثار الشرقية» (٥) وفى الوقت نفسه تتحدث عن الفنون الجميلة ، ومنها ماله صلة بالكشوف الأثرية مثل : «الرسم على خشب بالنار» (٦) «الحفر على الزنك» (٧) «صناعة المصريين القدماء: البرونز» (٨) «الحفر والتصوير عند قدماء المصريين» (٩) .

وقد ساعد على تعميق هذا الاتجاه ثلاثة عوامل ·

● إنشاء المتحف الإسلامى فى عام ١٨٨١ : فقد ضم أثارا إسلامية من مختلف العصور أودعت فى مقر مؤقت بمسجد الحاكم ، ثم انتقل المتحف إلى الدور الأرضى بدار الكتب المصرية عام ١٩٠٣ . وقد اجتهد على بهجت - وكيل المتحف - فى تزويده بالأثار النادرة ، وجعله يضاهى المتاحف الحديثة ويشد الانتباه إلى الآثار العربية الإسلامية . ومن هنا تنوع الكلام فى الفنون التشكيلية ، ووجدنا طائفة من الكتاب تعنى

(١) هلال ١٥ / ٣ / ١٨٩٤ . (٢) هلال ١ / ٣ / ١٨٩٤. (٣) هلال ١٥ / ٥ / ١٨٩٥.
(٤) هلال ١٥ / ٣ / ١٨٩٦ . (٥) هلال أكتوبر ١٩٠٤. (٦) هلال ١ / ٢ / ١٨٩٦.
(٧) هلال ١٥ / ١١ / ١٨٩٧ . (٨) هلال ١ / ١١ / ١٨٩٧. (٩) هلال فبراير ١٩١١.

بالكتابة فى الفن الإسلامى مثل عبدالفتاح عبادة ، وحسن محمد الهوارى وتوفيق اسكاروس وعبدالله عنان . ونرى الهلال تتحدث عن جماليات الفنون العربية الإسلامية ممثلة فى الخزف المصرى الإسلامى ، والمنسوجات الأموية والعباسية ، والتصوير والعمارة والفسيفساء .

● إنشاء المتحف المصرى : وإذا كان هذا المتحف أفتتح رسميا عام ١٩٠٢ فى مكانه الحالى (ميدان التحرير) فإن تاريخ إنشائه يرجع إلى سنة ١٨٦٣ عندما «كلف» «إسماعيل باشا» العالم الأثرى «مرييت» ببناء متحف للآثار المصرية فى ميدان الأزبكية ، ولكنه أقيم فى بولاق على وجه السرعة ليتمكن السلطان عبدالعزيز من مشاهدته ، ثم نقل إلى الجيزة ثم إلى مكانه الحالى . وهذا المتحف يمثل نهضة كبيرة فى مجال الفن التشكيلى ، وهو وراء كتابات كثيرة فى الهلال ، وحدثنا زيدان عن متابعاته لمكتشفات بيترى العالم الأثرى، وكتب عن «مرييت» وعن المتاحف العالمية فى فرنسا «اللوفر» وبريطانيا وروسيا ، وتناول آثار قدماء المصريين فى متاحف أوربا ، وتتجدد الفوائد بتنوع الموضوعات .

● إقامة معارض الصور بمصر : أنشأ أعيان مصر معرضا للتصوير قبل صدور الهلال بعامين لعرض الصور الزيتية «لأشهر المقيمين فى القاهرة أو غيرها» واستمر هذا المعرض فى عرض الصور كل عام فى فصل الربيع (١٠) وكان يفتتحه فى الغالب سمو الخديو . وأعتقد أن هذه المعارض الفنية أفادت من ناحيتين : الأولى : فتح المجال للحديث فى الفن بأشكاله المختلفة ، والثانية : ظهور النقد الفنى للتصوير ، وتكوين ملكة النقد فى هذا الشأن ، لأن نقد الفن التصويرى جديد على آدابنا مثل النقد القصصى الذى ارتبط بالروايات والقصص ، والنقد التمثيلى المتصل بنشأة المسرح والسينما ، وكلها ظهرت فى فترات متقاربة .

وتحفظ لنا الهلال مادة جيدة عن معرض التصوير بمصر الذى أشرنا إليه ، فقد عرض عام ١٨٩٦ ، ٢٣٩ صورة لأشخاص ومناظر طبيعية وصور حيوانات ونباتات وزهور وثمار ، واشترك فيه نحو ستين مصورا كلهم من الافرنج المقيمين فى مصر باستثناء فنان شرقى من لبنان .

---

(١٠) هلال ١٥ / ٣ / ١٨٩٦ .

وقد زار جرجي زيدان هذا المعرض ، واعلن عن سروره بما عاينه ، وبارك زهو هذا الفن بمصر على حداثة عهده . والجديد هو ظهور النقد الفنى منذ وقت مبكر جدا ، فقد انتقد بطل الهلال عديدا من الصور المعروضة وبين أن فيليب بوتو : «أقدر على تصوير الملامح منه على تمثيل الألوان الطبيعية» وأخذ على «رلى» تشابه مواضيعه ، وانتقص من فن «كوسلر» الذى عرض صورة فتاة «بإزار أبيض محاط بجو أبيض وتصوير لون هذا الازار فى وسط هذا الجو يقتضى مهارة تامة ودقة فائقة .. فلا نرى أنه نال كل مرامه منه» ثم انتقد «روسى» و «كلى» و «بيرج» ووقف عند سليم حداد وهو الشرقى اللبنانى الوحيد الذى شارك بصور زيتية لأشخاص أعلام فى تلك الفترة مثل إبراهيم نجيب وكيل الداخلية ، وسلاتين باشا أحد كبار حكام السودان المشهورين ، وصروف صاحب المقتطف ، وبين زيدان أن هذه الصور على نوعين «خشن وناعم ، فالخشن يستحسن النظر إليه عن بعد والناعم عن قرب وقد أجاد الصنعة وبلغ الاتقان» وأبرز زيدان مهارة حداد فى تركيب الألوان ، ووصف انطباعه عن صورة يعقوب صروف بأن حداداً «توفق فى تمثيل ملامحها حتى ظهرت معانى الوجه الدقيقة ، فقد خيل لنا عند النظر إليها أننا نرى الدكتور صروف وقد نهض عن مائدة الكتابة بعد عمل عقلى لايزال يفكر فيه ، وفى تمثيل ذلك من الصعوبة مالايقاس به تمثيل الهيئة لمرد المشابهة» ثم أخبرنا صاحب الهلال أن جائزة المعرض نالها سليم حداد ، فقد اعجب الخديو عباس الثانى بمهارته ، ودعته هذه المناسبة إلى كتابة كلمة يعرفنا فيها بمواطنه اللبنانى وكيف عشق الفن وسافر إلى أوربا وأمريكا لإتقانه . (١١) .

وقد لاحظ زيدان التشكيل الجمالى للشخوص والأشياء من خلال تمثيل الملامح أو عدم تمثيلها ، فهو يمتدح فى بوتو قدرته على تصوير الملامح ، وينتقده لأنه لم يوفق فى تمثيل الطبيعية ، وهو هنا يعتمد على نظرية «المحاكاة» وإن ذكرها بلفظ «تمثيل» . ولكنه لم يحدثنا عن الرؤية الخاصة للمتفنن فيما صوره ، وهى درجة أعلى من المحاكاة والنقل ، لأنها تظهر اتجاه الفكر ، وبها يتميز متفنن عن أخر ، فالمطابقة بين الواقع والصورة عملية حسية أكثر منها ذهنية يستلهم فيها المتفنن الطبيعة ، أما الرؤية الخاصة فهى استلهام من عالم النفس ، وتبدع فيها ملكة التخيل ، وربما كان بوتو مجرد مقلد ومن ثم لم ير زيدان إلا المحاكاة فى رسمه .

(١١) الهلال ١٥ / ٣ / ١٨٩٦ .

ولكنه فطن فى صور حداد وبخاصة صروف إلى إبراز المتفنن للمشاعر والانفعالات الداخلية ، وديناميكية الحركة النفسية ، والإرهاق والشرود الذهنيين ، وهذا يعنى أن المتفنن له رؤية خاصة قدم من خلالها صورة صروف ، وهذا ما لاحظه ناقده .

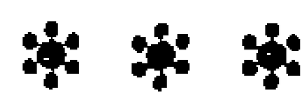
وفى نقده لـ «كوسلر» اعتمد على ملاحظة دقيقة قوامها وجوب تباين الألوان لإظهار ملامح الشىء المصور ، ولما لم يفعل كوسلر ذلك أدانه زيدان .

وهذا النقد فى عمومه تاثرى ويستند إلى الذوق ، وهو لم يخرج عن مواضيع الصور التى ينتقدها ، والتى جاء بعضها - من خلال وصفه لها - مسايرا لنهج الفن التاثرى ، وإن كان بعضها يتبع التعبيرية ، وكلا الفنين شاع فى أوربا وبخاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ومهما يكن من أمر فإن ما قاله زيدان مفيد جدا فى مجال النقد الفنى التصويرى ، وحسبه أنه أول أو من أوائل نقاد الفن التشكيلى قبل أن يهل القرن العشرون بأربع سنوات .

وفيما بعد تكررت المعارض الفنية ، وصاحبها النقد فكتب المازنى مقالات ضمها كتابه «حصاد الهشيم» وكتب العقاد صفحات ضمها كتابه «الفصول» وكتبت مى ... وغيرها ، وهذا دليلنا على أن نقد التصوير وليد المعارض الفنية .

نعود إلى جرجى زيدان لنوضح أنه بعد مشاهدته لمعرض ١٨٩٦ انطلق للكتابة عن الفنون والمتفننين وترجم لهم فى باب «أشهر الحوادث وأعظم الرجال» ويبدو أنه راعى فى هذه التراجم تمثيل عصور الفن لتكون درساً للقارىء أو لعشاق الرسم ، فكتب عام ١٨٩٧ عن رافاييل (القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر) وسطر عام ١٨٩٨ سيرة «يشوع رينولد» انجليزى يمثل القرن الثامن عشر ، وترجم ١٩٠٢ لسدنى كوبر - إنجليزى يمثل القرن التاسع عشر .

ومما لاشك فيه أن الشبيبة المتطلعة إلى الفن التصويرى كانت ترى فى التراجم الفنية دافعا لهم ، وبخاصة عندما يخبرهم أن صورة «مادونا» لروفاييل بيعت بمائة ألف جنيه ، وهذا المبلغ ضخم عام نشر الخبر ١٩٠٢ ، كما أن هذه الكتابات بما تضمنته من أوصاف للصور ، وكلمات تعبر عن مواطن الجمال فى الأعمال التصويرية عملت على تربية الذوق الفنى وتكوينه .



وواصلت الهلال مسيرتها ، وانفتحت على كل أنواع التشكيل الفنى من نحت وحفر ونقش وتصوير ، وعالجت قضاياه من زوايا مختلفة ، وحددت مكانته بين العلم والدين ، وأدلى كل من أمير بقطر (١٢) ود. زكى مبارك (١٣) بما عن لهما فى الصلات الروحية والعلمية بين الفن والجمال وربط على أدهم بين الفلسفة والفن ، وأظهر أن الفن من بعض الوجوه تعبير جميل عن فلسفة العصر ، وأن الفن داخل فى دائرة اختصاص الفيلسوف ، ويستدل على ذلك بأن الفن جزء من فلسفة هيجل وشوبنهور وبندكتو وكروتشه وغيرهم (١٤) ، ووصل الأمر بالهلال أن أصدرت فى نوفمبر ١٩٣٥ عدداً خاصا عن الفن شارك فيه العقاد بحديثه عن الوحى الفنى ، ومحمد فريد وجدى بما دبجه عن الفن والجمال ، ومحمد حسين هيكل الذى كشف عن التأثر المتبادل بين الفن والحياة الاجتماعية .

وهذه الدراسات اتسمت فى عمومها بسمات الفكر والتفلسف ، وانطلقت فيها القرائح تبحث وتتعمق ، وتستقصى المعانى ، وتتكلم عن القيم الفنية ، أى أنها ذات طابع نظرى بحت لايستطيع الإفادة منها إلا من خبر الفن وطالت عشرته معه ، وحتى إذا تحدث أحدهم عن صورة ، فإن هذه الصورة لايعرف منها القارىء إلا مايكتبه عنها الكاتب ، ولعل هذا ماحدا بالمجلة أن تعرض لونا أخر من الثقافة الفنية يعتمد على النظر والتحديق ، اكثر مما يستند إلى الفكر والتنظير فراحت تعرض لوحات كثيرة جميلة لمشاهير المتفننين الأوربيين تصاحبها كلمات شارحة ، وعبارات دالة على مواطن الجمال فى الصورة ، أو المواضع التى جاء منها التعبير الفنى قويا ، ومدى تأثير اللون فى إبراز عنصر من عناصر اللوحة أو التمثال إلى جانب التعريف بالراسم أو المثال ، وسرد قصة الصورة وكيف استلهمها المتفنن من حادثة شخصية أو واقعة تاريخية أو غير ذلك . وهى طريقة تعليمية تثقيفية تعود النظر على الملاحظة ، وتدرب الأفهام على الربط بين العناصر الفنية ، والبحث عن العلائق بينها ، وتزود المرء بالمعارف التى يفتقر إليها .

فقد خصصت لذلك بابا دعته «من روائع الفن العالمى» ثم تغير اسمه إلى «عباقرة الفن» الذى حرره د.أحمد موسى (كبير مفتشى الرسم بمصلحة المساحة المصرية) سنوات كثيرة وقدم أعمالا فنية لأمثال بوتشللى وروفاييل ، ورمبرارنت وجوجان ، وجيورجيون ، جرى فيها على النحو الذى اسلفنا الاشارة إليه .

(١٢) هلال يناير ١٩٣٣ . (١٣) هلال نوفمبر ١٩٣٥ . (١٤) المصدر السابق .

على أن الهلال لم تقف فى هذا المجال عند فن دون فن ، وإذا كانت قد عرضت نماذج كثيرة من التصوير الأوربى ، فإنها لم تهمل الفن المصرى .

وقد أشرنا إلى المعرض الذى أنشأه أعيان من المصريين ويعرض فيه الأجانب ، ولكن الهلال رأت أنه لابد من تشييد دار عرض تليق بالفن وبملكات المصريين التى أخذت تتفتح وتجود بروائع الرسوم ، فطالبت بإنشاء مجمع للصور يطلق عليه «مجمع صور النيل» يكون قرينا لدار الكتب ، وأشارت إلى «المجمع الوطنى للتصوير» فى لندن ، وقالت فى ذلك : «يعوزنا فورا دار فخيمة تليق بأن تكون معرضا جميلا للصور المصرية الزيتية والمائية ، وعلى محبى التصوير حينئذ أن يساعدوا أرباب الحل والعقد فى جمع كل ما يمكن جمعه من هذه الصور القديمة والحديثة ، مما يستحق الصيانة إما لنفاستها الفنية أو لقيمتها التاريخية فهذا واجب وطنى لاتقدر نتيجته بثمن ، أقلها إحياء الفن الجميل فى ديارنا المتعطشة له ورفع منزلتنا فى عيون الأمم الأخرى ، فكرامة الشعوب مقرونة الآن بدرجات علومها وآدابها لا بصنائعها وتجاراتها وحدها» [(١٥)] ثم توجهت بالخطاب إلى السلطان فؤاد الأول «ليزف الينا بشرى تأسيس هذا المجمع الحيوى» الذى عدته المجلة من ألزم اللوازم لنهضتنا الأدبية .

كان التصوير مع الفنون الجميلة الأخرى ضمن مدرسة الهندسة والصناعات حتى سنة ١٩٠٨ ، ثم قيض الله لهذا الفن الأمير يوسف كمال فعهد إلى المسيو «لابلانى» أن ينشىء معهدا للفنون وهو المعهد الذى تخرج فيه محمود مختار [(١٦)] . وقد رأت الهلال أنه لايكفى أن تكون فى مصر مدرسة واحدة للفنون الجميلة ، وطالبت بانشاء كليات لهذه الفنون وحدث بعد ذلك أن ألحقت مدرسة الفنون الجميلة التى أنشأها الأمير يوسف كمال بوزارة المعارف عام ١٩٢٧ ، وانشىء متحف الفن الحديث عام ١٩٢٩ .

وإلى جانب هذه الدعوات الحارة ، والمطالبات برعاية الفن من قبل الدولة ، أخذت تتحدث فى أعداد مختلفة عن نهضة الرسم ، والتصوير فى مصر [(١٧)] وأجرت الهلال حديثا مع المسيو سانتس حول الفنون المصرية لتتعرف على وجهات نظره من أجل ترقيتها وتعرض على المسئولين فى الدولة ما يراه .

---

(١٥) الهلال مارس ١٩١٨ .

(١٦) هلال مارس ١٩١٨ .

(١٧) هلال سنة ١٩٤٢ .

وتسير على هذا الدرب ، وتفتح صفحاتها لكتابات النقاد عن الفن المصرى ، وتراعى اقتران الدراسة بالصور على النمط الذى أشرنا إليه فى «روائع الفن العالمى» ، ولكنه فى هذه المرة عن روائع الفن المصرى ، أما عن مستوى الدراسة فهو أعمق وأشمل وأدق فهما وأوضح تعبيرا لأن كلا من الكاتب والمتفنن مصرى ، وكلاهما يتفهم الروح المصرية ويعبر عنها . ومما يزيد من قيمة كلام الناقد أنه يعرف موضوع الصورة معرفة واقعية ، ويحيط بجوها العام بحكم معايشته للبيئة .

ومن هذه الدراسات ما كتبه عبدالرحمن صدقى عن المثال «مختار» وتناول فيها تماثيل الفلاحات المصريات وهن فى قوة عارمة أو عليهن مسحة من عذاب ، وبين أن تماثيله تظهر اقتدار مصر على استيعاب الدخلاء على اختلافهم والمحافظة على شخصيتها ، وتطرق إلى السكينة الغالبة على أثار مختار ، وربط بين هذه السكينة التى لاتنفد والمقاومة السلبية فى صميم الطبيعة المصرية ، وكلمة صدقى هذه إذا صدقت على فن مختار فإنها لاتصدق دائما على الطبيعة المصرية والمبدأ الذى ينطلق منه صدقى فى تقويم الفنون أرفع من نظرية المحاكاة ، والصورة الفنية عنده هى التى تنطلق من الشعور وعلى قدر تأثيرها يكون موضعها من الفن الحر (١٨) . وهذا مبدأ فى تقويم الفن قال به تولستوى وطبقه .

وقدمت أكثر من دراسة عن «محمود سعيد» من بينها واحدة للدكتور أحمد موسى يصل فيها بين حياة محمود سعيد وفنه ، فنزوعه الأخير إلى الحقيقة بوصفه قاضيا دفع به إلى استقصاء مشاعر النفس واستظهار خفاياها ، والتفت موسى إلى أثر البيئة فى نتاجه وهى البيئة السكندرية بسواحلها البحرية وانعكاس ذلك على فنه وإبراز ميله إلى البشرة البرونزية التى تكتسب لونها من الأشعة البنفسجية (١٩) المنتشرة على السواحل . والناقد أفاد فى النقد من معرفته بالبيئة المصرية ، مما يظهر أن النقد ليس فكرا مجرداً ، وإنما يمليه الواقع أيضا .

ومن مصورى الوجوه «البورتريه» سيف وانلى صاحب الإنتاج الغزير الذى تعد لوحاته بالآلاف ، وتقتنى متاحف الفن وقاعاته فى أوربا وأمريكا اللاتينية مئات من رسومه ، وإذا أردنا التعرف على شخصيته فإن ذلك يكون عن طريق الفهم المعكوس

(١٨) هلال يناير ١٩٥٣ .
(١٩) هلال مايو ١٩٦٤ .

لعالمه فهو كما يقول «أرسم العالم الذى يتناقض معى ... إن اللوحة هى النقيض الذى يوازينى» [٢٠] ومن دراسات الهلال عنه ما قدمه أحمد فؤاد سليم الذى جاء قلمه مثل ريشة يرسم به ملامح فن وانلى ، وحتى يأتى كلامه دقيقا لجأ إلى أسلوب الموازنة ، فوازن بين وجوه فلاسكويز ورمبرانت وسيف وانلى، وتدهشنا دقة ملاحظاته فى توصيف أعمال كل هؤلاء ، ووقوفه على الفوارق الصغيرة فى تعبيراتهم عن الوجوه الانسانية .

وهناك دراسات كثيرة عن يوسف كامل وأحمد عثمان وصلاح عبدالكريم وغيرهم كتبها نقاد متخصصون فى الفن مثل بدرالدين أبو غازى ومحمود بقشيش وجمال قطب وصدقى الجباخنجى ود. صبرى منصور .

وقد أخذ الحديث عن الفن المصرى مساحة واسعة فى هلال كامل زهيرى وذلك راجع إلى ميل المحرر إلى الفنون التشكيلية .

كما عملت المجلة على وضع ابتسامة على وجه القارىء عن طريق فن الكاريكاتور الساخر المعبر عن جملة مما هو سائد فى ميادين مختلفة ، واختارت لذلك نخبة ممن يجيدون هذا اللون الفنى مثل بهجت وعزت وصلاح جاهين وعلى رأسهم رخا وصاروخان، وخصصت الهلال لهذه الرسومات بابا مستقلا فى بعض الأحيان مثل «ضحكات العالم فى شهر» وفى عام ١٩٨١ غيرت اسم هذا الباب واطلقت عليه «جيل جديد جدا» .

وهكذا أعانت الهلال قارئها على تمثل الحركة الفنية فى مصر ، فقدمت له الصور، ويسرتها بالشرح ، وذكرت الأساليب التى اتبعها المصورون ، والتيارات الفنية التى ينتمون إليها ، والنظرات النقدية التى يستند إليها النقاد فى نقد الفنون وتقديرها ، وعرفت بالمتفننين من خلال سير تظهر أثر النشأة فى توجيههم ، والأزمات التى اعترضتهم ، والمبادىء الفنية التى اعتنقوها وساروا على هداها .

---

(٢٠) هلال مارس ١٩٧١ .

الاهتمام بالموسيقى
لإشباع الهواية والتثقيف

نهضت الموسيقى نهضة ملحوظة بمصر في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فقد أدى الشيخ عبد الرحيم المسلوب [1] الدور ، وتلقفه منه تلاميذ مجتهدون من أمثال : عبده الحامولى (١٨٤٠ - ١٩٠١) ومحمد عثمان (١٨٥٥ - ١٩٠٠) والى جانبهما أحمد حسنين (١٨٥٥ - ١٩١٥) ومحمد سالم (١٨٤٠ - ١٩٢٩) ومن النسوة الست نزهة (١٨٥٨ - ١٩١٨) وساكنة وألمظ وغيرهم .

ارتقى هؤلاء باللحن وعلم الإيقاع أو الأصول كما يسميه الموسيقيون ، وملأوا الأسماع ، وشغلوا الناس فى المقاهى والأفراح ، ومنهم من له اليد الطولى فى التجديد الموسيقى مثل محمد عثمان الذى ابتكر جملة أشياء أساسية فى الموسيقى والغناء ، والحامولى الذى مزج الموسيقى التركية بالعربية .. وتألق هؤلاء وغيرهم قبيل صدور الهلال وبعد صدوره ، مما جعل الجرائد والمجلات وعلى رأسها الهلال تعير هذه النهضة اهتماما . وتتحدث عن الموسيقى والغناء لا فى القرن التاسع عشر فقط بل منذ نشأة الموسيقى فى الحقب الخالية . ولكن هذه النهضة الغنائية الموسيقية شابها خلط مما حدا بالهلال الى انتقادها .

ويمكن حصر جهود مجلة الهلال فى هذا النطاق على النحو التالى :

- الموسيقى العربية القديمة .
- الموسيقى العربية الحديثة .
- الموسيقى الأوربية .
- الآلات الموسيقية .
- التثقيف الموسيقى بوجه عام .

---

(١) يقول عبد الحميد توفيق زكى فى كتابه أعلام الموسيقى المصرية انه ولد عام ١٧٩٧ ومات ١٩٢٨ .

وقد جاء هذا العطاء موصولا فى شكل مقالات رسمت اتجاهات الموسيقى ، وحددت ملامح الغناء ، وانتقدت ما يستحق النقد ، واستندت الى معطيات سليمة فى الغالب . وهذه المادة ليست من باب الأحاديث الطلية لتجميل المجلة ، وانما من لوازم العلم ، وتوجيه الانتباه ، وتنمية الادراك الفنى للموسيقى .

وأهم ما يسترعى الباحث أن الهلال كانت تنظر الى الموسيقى نظرة علمية ، وانسانية شاملة ، وتنزلها منزلة سامية ، وترى أنهـا أرقى من نظرة كثيرين اليهـا ، ومن ثم أعدتهـا من «آداب اللغة العربية» . كذلك كانت تعلى من قدر الموسيقيين ، فعندما توفى عبده الحامولى كتبت عنه فى الهلال ، وضم زيدان ما كُتب عنه الى كتابه «تراجم مشاهير الشرق» وجاء اسمه فى هذا الكتاب الى جانب أسماء كلوت بك ورفاعة الطهطاوى وعلى مبارك والبارودى والمويلحى وغيرهم ممن نهضوا بالعلوم والفنون والآداب ، وتحدث عنه فى كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» فهو فى نظره جزء من التاريخ العام لآداب اللغة .

ونظرة زيدان تختلف عن نظرة كثيرين من القدماء والمحدثين الى الموسيقى والموسيقيين، فاسحق الموصلى كان يعرف علوما عديدة ، والغناء «أصغر علومه وأدنى ما يوسم به» على حد قول الأصفهانى ، وبالرغم من ذلك فإن معرفته بالموسيقى أساءت اليه لأن الناس على إعجابهم بها ، وإغداقهم على أربابهـا ، كانوا يستصغرون المغنين ، وقد قال الخليفة المأمون عن الموصلى : «لولا ما سبق على ألسنة الناس ، واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى فانه أولى به ، وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة» فالمأمون يعرف قدر الموصلى ولكنه يخشى نظرة الناس اذا ولّى موسيقيا القضاء .

والمحدثون لم يكونوا أرفع نظرة من غيرهم الى المغنى والموسيقى . من أجل ذلك فإن تقدير الهلال لهذا الفن فى تلك الفترة له أهميته ، اذ يعرب عن مدى التحضر الذى حملته المجلة، ومقدار تشجيعها للموسيقيين .

ونظرا لتأصيل قيمة الغناء فى الهلال ، واعتباره من جملة الآداب التى تعمل على الرقى والتمدن ، فقد فتح صفحاته لمن يكتب فى هذا المجال ، لذا نقع على مقالين طويلين كتبهما جورج سمان عن أصل الموسيقى والغناء ، وأسماء النغمات ومعانيها ،

وانتقادات الافرنج للغناء العربى ، وأصل كلمة موسيقى ، ولم يفته التحدث عن الطقطوقة [٢] . وهذان المقالان دراسة علمية للموسيقى يتحدث فيهما الكاتب بتحديد وتقسيم ويذكر المصطلحات الأجنبية .

ويقول الدكتور أحمد المغازى : «نشر الهلال أول مقال موجز عن الموسيقى العربية وحاضرها اليوم»[٣] . وهو يشير الى مقال الهلال «تاريخ الموسيقى العربية» ضمن عدد ١٥ يونيه ١٩٠١ . ولكن الهلال تحدثت عن تاريخ الموسيقى بشكل عام مع اشارة طويلة للموسيقى العربية فى عدد أبريل ١٨٩٤ ، وتوالت مقالاتها فى هذا الاتجاه عن آلات النفخ والمزمار والعود والبيانو ، والموسيقى الأوربية وغير ذلك قبل كتابة المقال الذى أشار اليه د. أحمد المغازى . وهذا يظهر الى أى مدى كانت الهلال سباقة فى ذكر الفنون .

وفى أول مقال للهلال عن الموسيقى أوضحت أن الموسيقى أقدم الفنون ، وأشارت الى ذكرها فى سفر التكوين وغيره من أسفار الكتاب المقدس ، ورسم آلاتها على جدران هياكل الفراعين ، وتطرق المقال الى علم الألحان عند العرب ، ووقف على جهود الفارابى وقانونه ومدى براعته فى العزف الموسيقى [٤] .

وربط زيدان بين الشعر والموسيقى منذ عصور الجاهلية ، واعتبر الكلام المنظوم هو أول خطوة خطاها العرب نحو الموسيقى «لأن الموسيقى بنت الشعر أو أخته» ومضى فى تقسيم الغناء عند الجاهليين ، وتدرج فى الموضوع حتى وصل به الى العصر الحديث .

وقبل أن ننتقل الى نقطة أخرى نقف عند حديث زيدان عن الموسيقى فى صدر الاسلام يقول : «ان للروم والفرس يومئذ مهارة فى فن الموسيقى ... فأخذ العرب عن هاتين الأمتين شيئا كثيرا منها ، ونقلوا ألحانهم من الرومية أو الفارسية الى العربية ووفقوها على الذوق العربى» [٥] .

---

(٢) الهلال يناير ويوليه ١٩١٤ .
(٣) الصحافة الفنية فى مصر جـ ٢ ص ١٩٦ .
(٤) هلال ١٨٩٤/٤/١٥ .
(٥) الهلال ١٩٠١/٦/١٥ .

وهذا الحكم يخالف حكما آخر صدر عن دارسين متخصصين ، فقد قال هنرى فارمر : « .. وجل ما نعرف هو أن عرب الحجاز كان لديهم نظام موسيقى يختلف عن النظامين الرومى والفارسى» ويستنتج فارمر من كتاب الأغانى أن «ابن مسجح اخترع عدة نظريات فنية غريبة عن الأصول المحلى المتبع» (٦) .

وفى مجال الموسيقى العربية القديمة يستوقفنا فى مادة الهلال ذلك الربط بين الفلسفة والموسيقى بما ذهب اليه الذين وثقوا العلاقة بين الحكمة والفن ، وكأنهم رأوا أن الفلسفة ليست هى التجريدات والغيبيات فقط ، وانما فى مستطاعها ولوج الحياة العملية ، ومعالجة المشكلات الفنية ، وانها توطىء لسعادة الانسان بما تهدى اليه من حكمة ترتقى بتفكيره ، ونغمة تسمو بشعوره ، ولهم فى هذا الاتجاه رصيد ضخم من فن الفلاسفة ، فليس بعيدا أن نرى محمود أحمد الحفنى (كاتب الهلال منذ الثلاثينات فى الموسيقى) يحدثنا عن الكندى والفارابى وابن سينا وتراثهم الفنى ، رابطا بين «لغة الفكر فى الفلسفة ، ولغة المشاعر فى الموسيقى » أو قوله «كادت الفلسفة تصبح جزءا من الموسيقى ، وأوشكت الموسيقى أن تصبح جزءا من كيان الفلسفة» (٧) . أما أستاذ الفلسفة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة فانه يتحدث عن «ميتافيزيقا الألحان والألوان» وكأن الموسيقى من عالم ماوراء الطبيعة ، أو كأنها روح خالص مجرد من المادة ، فقد أظهر اعتقادا قديما مفاده «أن موسيقى أهل الأرض ظل ومحاكاة لموسيقى فى عالم أعلى تصوروه» وأورد فى مقاله ما ذهب اليه بعض الفلاسفة مثل هيردر وأبى سليمان السجستانى من «أن فى النفس بطبيعتها أنغاما ومنها تتشكل أنواع من الأنغام تصدر عن النفس» أو قول الكندى : «إن الموسيقار الفيلسوف الباهر هو الذى يعرف ما يعترض كل من يلتمس اطرابه من صنوف الإيقاع والنغم والشعر» (٨).

نعود الى الحفنى الذى أبرز ناحية فى الموسيقى العربية وهى ابتكار ابن سينا للتعبير الموسيقى وتعدد الأصوات (الهارمونى) وأظهر أن ابن سينا بز «هوكبالد الايطالى» (الملقب بأبى الهارمونى) و «جيدواريزو» فى الهارمونى و «امتاز عليهما بما استخلصه فى تصنيفه من كثرة أنواع تعدد الأصوات» .

(٦) فارمر : «تاريخ الموسيقى العربية» ص ١٢٩ ط منشورات مكتبة الحياة - بيروت .
(٧) هلال مارس ١٩٥٧ .
(٨) هلال يوليه ١٩٨٨ .

وأخذ الحديث فى الغناء مسارا روحيا صوفيا من خلال ما كتبه كمال النجمى عن كتاب «آداب السماع والوجد» أحد أقسام كتاب « إحياء علوم الدين» للإمام الغزالى وقد بين الكاتب تأييد كل من الحسن البصرى والغزالى لإباحة الغناء وهما من أئمة المتصوفة ، ورأى الأخير أن الغناء لازم فى حالات الوجد الصوفى لأنه يثمر الوجد فى القلب [٩] ، وقد استكمل النجمى بحثه فى موقف الغزالى من الغناء فى مقال آخر بعنوان «الغناء الدينى والدنيوى » .

ويتطرق توفيق عبد الحميد زكى الى الموضوع نفسه ، ولكن من زاوية مجالس الانشاد الصوفى ، لا من زاوية الغـزالى فقط ، فيشرح طرق الانشـــاد الصـــوفى وما يتخللهـــا من استغاثات ، ويستشهد بكلام فحواه أن الانشاد الدينى ليس اجتهادا وانما له حدود وقواعد وآداب يراعيها المنشدون ساعة الانشاد [١٠].

وعلى هذا النحو تتنوع المقالات فى الغناء القديم ، ويأخذ باحثو الهلال الذين اجتذبتهم الموسيقى فى استقصاء الموضوع والتنقيب عن أصوله وروافده ، وألوانه الحسية والروحية ، لتنوير الرأى ، وامتاع النفوس ، وهى بوجه عام - ما أشرنا اليه وما أحجمنا عنه - تطلعنا على رحلة الموسيقى القديمة ومدى تسلطها على العوام أو على الفلاسفة وبعض رجال الدين .

وتنقد الهلال الموسيقى الحديثة وتبدأ بانتقاد الحالة العامة للغناء فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتبين أن الموسيقى فى حاجة الى الضبط والتنظيم لتناسب الذوق وتشبع رغبة الجمهور ، وتظهر أن الموسيقى خالطتها ألحـان افرنجية بخـــلاف ما أدخله أهل الفن من أنغام لم يكن لها مثل من قبل ، ودعت المجلة الى «العناية فى ضبط قواعدها وتنظيمها»[١١].

ومما يعزز وجهة نظر المجلة أن الموسيقى العربية الحديثة كانت تعتمد فى تلك الفترة على السماع والاجتهاد ، والموسيقى ـ أو المغنى - قد يخرج عن الأصول أثناء التوقيع ، وذلك راجع الى أن التوقيع لا يعتمد على العلامات الموسيقية التى تشكل

---

(٩) هلال سبتمبر ١٩٦٩ .
(١٠) هلال مايو ١٩٩٢ .
(١١) هلال ١٩٠١/٦/١٥ .

الأساس العلمى فى التأليف الموسيقى ، ومصداقا لكلام زيدان نورد ما قاله عبد الحميد توفيق زكى فى كتابه «أعلام الموسيقى المصرية» من أن «أغانى الصهبجية لم تكن سليمة الوزن تماما» .

ومهما يكن فى كلام هلال زيدان من نباهة ووجاهة ، أو مبالغة ومغالاة فإنها تنبه الى السير بالموسيقى فى طريقها الصحيح ، وطبعها بطابع عام يميزها عن غيرها من الموسيقات ، والعمل على تصفيتها مما شابها ، وربما كان لكلام الهلال هذا ، صدى ، فقد اتجهت الأذهان الى تدوين الألحان بالعلامات (نوط) فأنشئ فى أوائل القرن العشرين معهد للموسيقى العربية من أجل تعليمها على أسس صحيحة . وتمضى الهلال قدما فى سيرها ، وتضمن أعدادها بين حين وآخر مادة تقوّم من خلالها حركة الغناء فى مصر فتوجه نقدا من خلال مقال كتبه نقولا الحداد تنـاول فيه عيوب السمع ومنهـا لغط السامعين أثنـاء الغنـاء ، واقتراحهم دورا على المغنى (أو المغنية) غير الذى ينوى أن يقوله ، وأهم من كل هذا قلة السامعين ، ثم يذكر عيوب الغناء واللحن ويراها فى عدم تنوع الأنغام فى الدور الواحد ، وعدم اتفاق روح النغم مع معنى الكلام الشعرى ، وكثرة التكرار الممل فى العبارات الموسيقية . وعلى هذا النحو يربط بين رقى التلحين والغناء ورقى السمع . ويطالب بتشكيل لجنة فنية للحكم على اللحن قبل أدائه أمام الجمهور ، وبالكتابة فى نقد الموسيقى والغناء من قبل فنيين متخصصين (١٢) ومعظم هذه الانتقادات لم تسلم منها الأغانى والألحان فيما بعد ، وعلى وجه الخصوص عدم تمثيل النغم للمعنى ، وهذا المبدأ سبق أن ذكرته الهلال عندما امتدحت ألحان الحامولى باتفاق الكلمات مع النغمات .

وإذا كانت الهلال فى هذه الفترة التى انتقد الحداد فيها الغناء المصرى أغفلت جهود موسيقى أصيل مثل سيد درويش ، فانها عادت فيما بعد وردت له اعتباره ، وأظهرت عطف سيد درويش فى ألحانه على أرباب الطوائف الحرفية من المظلومين أو الذين صار بعضهم فى قاع المجتمع ، وأبرزت هجومه القاسى على الشركات الأجنبية واحتكارها ، واستعانتها بالعمال الأجانب وتنحية الوطنيين المصريين(١٣) . ولكن يجب أن

(١٢) هلال نوفمبر ١٩١٨ .
(١٣) هلال سبتمبر ١٩٦٩ .

ننبه الى أن بعض هجمات سيد درويش ربما جاءت فى غير موضعها ، فهو يعارض شركة المياه دفاعا عن السقايين ويقول : «دى شركة غلسة ، ميتهـا نجسة» وينصح النســاء بأن تكسر الحنفية وتستبدل بهـا زيرا ، ويناهض شركة الترام من أجل الحوذية أو العربجية أو قل إن هذا نكاية فى الأجانب . فهل كان يرفض الأخذ بالحضارة الحديثة !! ولكن معه الحق فى التحذير من شم الكوكايين ، وفى الدفاع عن العامل المصرى العاطل الذى حل محله فى العمل آخر أجنبى .

وكذلك اذا كان بعض غناء سيد درويش ارتبط بالأحداث التاريخية المصرية أو التركية مثل : «مصطفاكى بزدياداكى » عن مصطفى كمال أتاتورك ، ونشيد سعد «مصرنا وطنا سعدها أملنا» ونشيد مصطفى كامل «بلادى . بلادى لك حبى وفؤادى » الى آخره ، فإن غناء عبد الوهاب ارتبط بالأطوار الفنية للموسيقى الحديثة على مدى ثمانية عقود ، أكثر مما ارتبط بالأحداث بالرغم من أنه سايرها ، ومن ثم حفلت به الهلال أكثر من غيره . ونشرت عنه عدة مقالات أطرته فيها علاوة على قسم خاص به فى عام ١٩٩١ أثار فيه د. جلال أمين قضايا فنية دقيقة نخص بالذكر منها التساؤل عن مدى توفيق عبد الوهاب فى مزج الموسيقى العربية بالموسيقى الغربية وبعد نقاش طويل رأى أن عبد الوهاب «تجاوز حدود المسموح به» وفى هذا الاتجاه – تقريبا – كتب عبد الحميد توفيق زكى مقالا لاذعا وضّح فيه أن عبد الوهاب حاكى واقتبس ونقل وسرق كثيرا من الموسيقى الغربية وغيرها . ودلل على ما يقول بذكر جمل وردت فى ألحان عبد الوهاب ، لها ما يماثلها فى الألحان الغربية ، ووصفه باللص الشريف [١٤]. وهو نقد شديد جاء فى أسلوب لطيف ، وطالما قرأنا وسمعنا نظائر لهذا الانتقاد . مثل ما قاله محمد زكى على باشـا رئيس جمعيـة هــواة الموسيقى المصريين ، ورد عبد الوهاب عليه [١٥] ومهما يكن من أمر فإن المجلة فتحت أبوابها للمناقشة الحرة ، والحوار العلمى ، ولا بأس من تضارب الآراء أو التفاعل بينها فى قضية معينة ، واحتواء التيارات المختلفة سمة من سمات المجلة الناهضة تؤهل من خلالها قراءها لاستيعاب الآراء الجديدة ، وتحرر أفهامهم من تسلط أفكار محددة عليها .

* * *

(١٤) هلال يونيه ١٩٩١ .

(١٥) هلال يونيه ١٩٤٦ .

والهلال زاخرة بالبحوث عن الموسيقى الشرقية والغربية ، تقرأ على صفحاتها كلمات وافية عن بيتهوفن وفردى واسحق الموصلى وأم كلثوم ، والجوارى المغنيات ، والألحان الشعبية والأوبرات ، والقرار والجواب والفرق بين نغمة ونغمة ، كما تطالع فيها عن موسيقى الألوان وموسيقى الروائح ، والجاز بند ، والكمنجة التى تعزف بلا عازف ، والأرغن الكهربائى وتاريخ العلامات الموسيقية ، وتتعرف على كتّاب متخصصين مثل اسكندر شلفون ، وصفر على ، ووديع صبرا ويوسف السيسى ... وغيرهم مما يشكل مكتبة ثقافية عن الموسيقى نرجع اليها لإشباع الهواية والتثقيف ، ونستأنس بها فى هذا المجال عند النقد والتأريخ .

المسرح
من النقاش إلى الحكيم !

سبق المسرح العربى ظهور الهلال بنحو أربعة وأربعين عاما فى لبنان عندما مثل مارون النقاش فى منزله مسرحية البخيل عام ١٨٤٨ ، وبنحو عشرين سنة فى مصر عندما أنشأ يعقوب صنوع مسرحه عام ١٨٦٩ وبعد ذلك أخذت الفرق المسرحية تهل على مصر من لبنان فجاءت فرقة سليم نقاش ولحق بها أديب اسحق عام ١٨٧٦ ، ولما تركاها إلى الصحافة تولاها يوسف خياط عام ١٨٧٧ .

وفى سنة صدور الهلال كانت هناك عدة فرق تعمل فى مصر منها فرقة القرداحى ، وأبى خليل القبانى ، وإسكندر فرح ، وقد عمل الشيخ سلامة حجازى فى فرقتى القرداحى وفرح . وإلى جانب ذلك أقيمت المسارح فى الاسكندرية والقاهرة مثل دار الأوبرا ومسرح زيزنيا والبوليتياما وغيرها ، وظهر مؤلفون مسرحيون يترجمون ويقتبسون وينشئون .

وهذا يعنى أن الهلال عند صدورها واكبت حركة مسرحية ، وكانت كغيرها من الصحف تتابع الفرق التمثيلية وتعلق عليها .

وعندما رأى المصريون الشوام يستأثرون بهذا الفن عملوا على إنشاء الفرق التمثيلية ، وكان ذلك فى المدارس وأحيانا فى المسارح العامة ، فألف عبد الله النديم مسرحيتى «الوطن» و «العرب» مثلتهما فرقة من المدرسة الخيرية الاسلامية من بين أعضائها النديم نفسه ، على تياترو زيزنيا إبان حكم توفيق باشا ، وتوالى تمثيل المصريين فى المدارس والمسارح مثل مدرسة الفوز التوفيقى التى مثلت رواية «هارون الرشيد» ، وتلاميذ مدرسة جمعية الأدب المصرية الذين مثلوا رواية «عجائب القدر» على مسرح الأوبرا عام ١٨٨٨ .

ثم انشئت جمعيات أدبية - وبخاصة فى الاسكندرية - تعنى بفن التمثيل ، ولم يكن هدفها الربح ، ولا غايتها منافسة الفرق اللبنانية المكتسحة ، وإنما كانت فى حاجة إلى المساندة والتشجيع .

وما أن تألفت جمعية الابتهاج الأدبى عام ١٨٩٤ ، ومارست نشاطها التمثيلى حتى وجدت صدى لذلك وتشجيعا فى الهلال ، ومن ذلك : «جاءنا من الاسكندرية أن شركة الابتهاج الأدبى مثلت فى أواخر الشهر الغابر فى مرسح عباس رواية صلاح الدين وكان الحضور عديدين حتى ضاقت بهم فسحات المرسح على سعتها وخرجوا كلهم ألسنة تتلو أيات الثناء على الشركة لما لاقوه من حسن التمثيل ، وآنسوه من فوائد الجمعيات الأدبية ، فنشاركهم فى ذلك ونثنى على هذه الجمعية ولا سيما رئيسها ونرجو لها الثبات والنجاح» (١) .

وراحت الهلال تسجل نشاط هذه الجمعية التى مثلت بعد ذلك رواية «الظلوم» سنة ١٩٨٥ ، ورواية «مغائر الجن» و«عطيل . القائد المغربى» و«الخليفة الصياد» ، ثم تناولت جمعية الإخلاص الخيرية التى مثلت فى نوفمبر ١٨٩٥ رواية «خاتم العقيق» تأليف عبد القادر سرى ، وتبرع عبده الحامولى بإطراب الجمهور بعد اعتذار محمد عثمان ، وشركة التمثيل الأدبى بإدارة سليم عطالله من موظفى البوسطة المصرية ومثلت رواية روميو وجولييت ، وتقول الهلال : «يسرنا أن أدباء الاسكندرية يتسابقون فى تأليف الشركات الأدبية»(٢) وجمعية الترقى الأدبى بالاسكندرية ورئيسها محمد منجى خير الله التى مثلت من تأليف رئيسها رواية «مجنون ليلى»(٣) وغير ذلك .

والمفيد فى هذا أن الهلال أخذت تآزر الجمعيات الأدبية التمثيلية المصرية ، وفى كل مرة تطرب المشتركين فى هذه الجمعيات بكلمات الثناء والمديح فتقول خرج المتفرجون وهم «يثنون لما شاهدوه من دقة التمثيل وحسن ذوق الممثلين» أو «وأجاد الممثلون إجادة أوجبت تصفيق الجمهور مرارا» مع ذكر أن المسرح كان غاصا وممتلئا بالمشاهدين ، وأن المتفرجين هم من علية القوم ووجهاء المجتمع .

وقد سجلت مادة تثبت أن المصريين – فى تلك الفترة – أنشأوا فرقا مسرحية بالجهود الذاتية ولم يخل المجال تماما للفرق الشامية ، وما كتبته الهلال فى الفترة (١٨٩٤ – ١٩٠٠) عن جمعيات التمثيل المصرية أضعاف ماكتبته عن فرق التمثيل الشامية .

(١) هلال ١٥ / ٧ / ١٨٩٥ .
(٢) هلال ١ /٦/ ١٨٩٦ .
(٣) هلال ١ / ٧ / ١٨٩٤ .

وحفظت لنا أسماء الجمعيات الأدبية والروايات المسرحية ، والمؤلفين المسرحيين فى تلك الفترة .

وأعطت صورة عن المسرح فى ذلك الزمن ، وكيف كان التمثيل يتضمن فواصل غنائية من كبار المطربين أو فواصل رقص وقد استمر ذلك فيما بعد فكان مسرح على الكسار يشتمل على فواصل غنائية من صالح عبد الحى .

وقد دعت الهلال منذ عام ١٨٩٤ الحكومة إلى تقديم مساعدات مالية للأجواق المسرحية بالتدريج شريطة النجـــاح والاتقان وكسب رضا الجمهور ورأت أن التمثيل لا ينهض إلا بمعاضدة الحكومة (٤) وكررت ذلك فيما بعد ، وطالبت بتشييد مسرح تنفق عليه الدولة ، ومما يحمد للهلال فى تلك الفترة أنها كتبت تاريخ المسرح العربى ، وترجمت لبعض أعلام المسرح الأوربى مثل كورنيل وموليير ، وتابعت نشاط الفرق المسرحية الشهيرة مثل فرقة القرداحى واسكندر فرح وسلامة حجازى وجورج أبيض ، واضعة بذلك صورة للتمثيل العربى فى تلك الفترة ولا مفر من الرجوع إليها عند التأريخ للحركة المسرحية ، وقد رجع إليها بالفعل د. محمد يوسف نجم ، ود. أحمد علبى وغيرهما.

ولا يعنى هذا أن النهضة المسرحية بلغت أوجها ، وحققت كمالها ، فقد كانت تنهض وتتعثر ولكنها على وجه العموم كانت آخذة فى الارتقاء ، وأغلب ما كان يلتف حوله الجمهور المسرح الكوميدى والغنائى ثم انحط بظهور مسرح الفودفيل الخليع الذى كان همه الربح أكثر من أى شىء آخر .

ورأت المجلة أن تجرى استفتاء حول التمثيل العربى لتقويم ماضيه ، والنظر فى مستقبله بتعيين العلل والعيوب والعمل على علاجها وتلافيها ، فلجأت إلى مجموعة من العارفين بقضايا المسرح تلتمس منهم المشورة فيهم محمود مراد الذى انتدبته الحكومة المصرية لرحلة فنية فى أوربا لدراسة أحوال التمثيل وكيفية تدريس الموسيقى ، ومما ورد على لسانه أن نجاح الرواية كان يتوقف على ما ينشره الشيخ سلامة حجازى ، فكان الجمهور ينصرف إلى ما يطربه عما يفيده من الموضوع ، وانتقد الأسلوب لكثرة مافيه من أسجاع ، ورأى أن عدد كتّاب المسرح وملحنيه وممثليه القديرين لا يكفى

---

(٤) هلال أول يناير ١٨٩٧ .

لإحداث نهضة ، واقترح إنشاء مدارس فنية خاصة فى مصر وإرسال بعثات فنية إلى الخــارج ليكون خــريج مدارس الموســيقى أو التمثــيل على دراية بالنــواحى الفنيــة المختلفة (٥) .

ومن الذين استفتتهم المجلة الكاتب المسرحى الشهير إبراهيم رمزى الذى وازن بين المسرح فى الماضى والمسرح فى الحاضر ورأى أن روايات الماضى فى جملتها غنائية رومانسية أقرب إلى الأوبرا العادية منها إلى الدراما الملحنة ، وتستند إلى التاريخ ، أما الرواية الحاضرة فهى متعددة الموضوعات وأكثر عمقا ، ورأى أن تكون العامية لغة الروايات العصرية ، واستثنى من ذلك الروايات التاريخية أو التى تتناول أقواما غرباء فإنها تمثل بالفصحى ، وأخذ على الفصحى أنها تقيد فى تصوير المعنى وإيضاحه .(٦)

ويبدو أن قضية الفصحى والعامية من المشكلات المستعصية على الحل، فمازال يدور حولها النقاش، ولا أظن أن الفصحى تقيد تصوير المعنى، وإنما ذلك يتوقف على ثقافة الجمهور، وإمكانات الممثل الذى يستطيع توضيح المعنى باشاراته وإيماءاته وتفسيره بأدائه وحركاته ، واسلوب الكاتب ومدى تمكنه من اللغة واختياره للالفاظ التى تصور المعنى المؤثر فى النفس .

والهلال لا تبحث فى كلام من استفتتهم عن الخطأ والصواب ، ولكنها تثير القضايا وتعرض وجهات النظر للإفادة منها ومناقشتها وصولا إلى ما يعمل إلى النهوض ، ولعل ما أثارته الهلال كان له صدى ، فقد تحدث زكى طليمات عن نشأة المسرح ، ومما قاله عن التمثيل فى العقد الثالث من هذا القرن : إن الدولة أرسلت «على نفقتها بعوثا إلى مسارح أوربا لتعلم فنون المسرح فى معاهده العالية ، ورصدت إعانات مالية لتشجيع الفرق العاملة ، وتنشيط الكتّاب على التأليف المسرحى ، وأخذت تعد العدة لإنشاء المؤسسات الفنية التى تكفل قيام مسرح يقوم على أسس صحيحة من المعارف والنظم» .(٧)

---

(٥) هلال فبراير ١٩٢٤ .
(٦) هلال مارس ١٩٢٤ .
(٧) هلال يناير ١٩٥٥ .

وعلى ذكر إبراهيم رمزى نعرض لنص مسرحى فكاهى من عمله نشرته الهلال كاملا مرتين(٨) هو «دخول الحمام مش زى خروجه» الذى أخرجه ومثل فيه عزيز عيد عام ١٩١٦ ، وهذه المسرحية نالت إعجابا كبيرا ووصفها بعض نقاد المسرح بأنها «علامة بارزة فى تاريخ الكوميديا المصرية» .(٩)

والمسرحية من فصل واحد وتحكى قصة الحمامى (صاحب الحمام) وزوجته (زينب) اللذين احتالا على عمدة (ابو عويس) وسلبا منه نقوده التى حصلها من بيع القطن ووصل الأمر إلى أن جعلاه يتخلى عن كل شىء حتى عن عمامته وقفطانه ، وحينئذ أدرك أن دخول الحمام مش زى خروجه .

والمسرحية تتضمن حيلة من الحيل المسرحية التى يتم بها السبك ويتنامى فيها الصراع، وتعمل على جذب المتفرج وتفكيهه ، وهى أن العمدة وقع فى غرام زينب عندما رآها وحين رغب فى الزواج منها أخبرته أن زوجها هجرها منذ سبعة أعوام وستة أشهر وستة أيام ، وأنها تعتزم الطلاق منه على يد قاض يأتى للاستحمام فى الحمام ، وتطلب منه أن يقوم بدور زوجها الغائب أمام القاضى . وعندما يأتى القاضى الذى هو زوجها الحقيقى (ابو الحسن الحمامى) تطلب من العمدة (الذى يقوم بدور الزوج) حقها فى النفقة فيدفع الزوج (العمدة) وتتلاحق طلباتها والقاضى يصدق على ما تقول حتى أفلس العمدة تماما . وخلال كل هذا تتوالى المشاهد وتنشأ المواقف المثيرة للضحك .

وقد صار هذا النموذج الريفى الساذج مادة للمسرح الفكاهى ، وتحول إلى شخصية كشكش بك التى اشتهر بها نجيب الريحانى . ويقول د. على الراعى إن «عمدة نجيب الريحانى الذى ظهر على المسرح فى ١٩١٦ لم يكن خلقا جديدا .. بل إن الأرجح أن إبراهيم رمزى كان قد سبق إلى خلق شخصية العمدة الفكاهى المفتوح الشهية للنساء والملذات»(١٠) .

ويحاول أحمد أمين – غيرة منه على تراثه – أن ينفى الأقوال التى تذهب إلى أن المصريين والعرب عالة على الافرنج فى المسرح والتمثيل ، ويقلل من الرأى القائل «بأننا

(٨) هلال يوليه ١٩٧١ وروايات الهلال فبراير ١٩٨٢ .
(٩) د. إبراهيم حمادة . عروبة شكسبير . المركز القومى للآداب ص ٣٣ .
(١٠) هلال يوليه ١٩٧١ .

لم نعرف المسرحيات إلا بعد أن اقتبسناها منهم» ومن ثم وقف على «خيال الظل أو القرجوز» الذى عرض روايات شعبية مثل روايات ابن دانيال «خيال الظل» و «عجيب وغريب» و «المتيم» وبعد أن يعرض مضمون هذه المسرحيات يستنتج «أن عندنا قديما من المسرحيات ما لو تعهدناه بالإنماء لكان مسرحا يمثل شخصيتنا ، ولا نكون فيه عالة على الغرب» ، ويعاتب مؤرخى الأدب لأنهم لم يدرسوا هذه المسرحيات العربية القديمة (١١) .

أما زكى طليمات فيرى «أن أدبنا العربى على تعدد ألوانه لم يعالج المسرحية فى أية مرحلة من مراحله المتتابعة .. وفنونا لم تعرف ماهية فن التمثيل ، ولم تنشىء دارا واحدة له ، ومجتمعنا العربى عامة لم يألف المسرح مستراداً للترفيه والتسلية ومجالا لمطالعة انعاكاسات ما تختلج به واعيته «(١٢) ويذهب إلى أن الظاهرة المسرحية قامت بفعل الوافدات التى جاءت من أوربا إلى لبنان ومصر .

وقد أثرت دعوة أحمد أمين فجاء من بعده كتّاب يبحثون عن الملاهى الشعبية ، والمظاهر المسرحية عند العرب ، ووقفوا عند شذرات ، ومشاهد جزئية ، وأقوال تبين أن هناك شيئا من علائم المسرح ، وأكثر ما وقف عليه هؤلاء الباحثون هو خيال الظل وابن دانيال نفس موضوع أحمد أمين . ونذكر من هؤلاء د. على الراعى ود. عبد الحميد يونس(١٣) .

وسيظل رأى زكى طليمات ومن ذهب مذهبه أقوى من أراء هؤلاء الذين أشرنا إليهم ، مالم نقع على ما يفيد أن هناك مسرحاً عربياً استوفى الأوصاف الفنية دون تأويل ، فالمسرح الفنى الذى وجد عند اليونان (مثلا) لم يحط به عرب الجاهلية أو الاسلام ولا نستطيع أن نفاخر بكتاب مسرحيين عندنا فى العصور الخوالى كما تباهى اليونان بسوفكليس واسخيلوس وغيرهما ، أو نقارن بين ابن دانيال وشكسبير أو موليير أو ابسن .

وعلى ذلك فالقول بأن المسرح حديث وافد يظل قائما ولا يسقط إلا باستكشاف نصوص مسرحية كاملة ناضجة عملت فى يوم من الأيام على تنمية الوعى وتربية الذوق.

---

(١١) هلال يوليه ١٩٥٢ .

(١٢) هلال يناير ١٩٥٥ .

(١٣) المسرح العربى بين النقل والتأصيل – كتاب العربى يناير ١٩٨٥ .

ويقودنا الحديث عن زكى طليمات إلى ذكر بعض جهوده فى الهلال فقد كتب عن المسرح عام ١٩٣١ ، وانقطع فترة غير قصيرة وعاد ليعرض للقراء روائع المسرحيات العالمية مثل كاليجولا (كامى) ومريض الوهم (موليير) والاشباح (ابسن) ... فقد لخصها تلخيصا يبرز موضوعها واتجاه مؤلفها ، وبالرغم من أنه يعرض مسرحية أجنبية إلا أن شخصية طليمات واضحة فى مناقشاته لهذه المسرحيات .

ولم يقتصر دور الهلال على تقديم ملخصات للمسرحيات العالمية البارزة ، وانما نشرت نصوصا مسرحية أغلبها من فصل واحد مثل «على الصدر الشفيق» لمى زياده(١٤) و «الست هدى»(١٥) ملهاة لأحمد شوقى ، و «الرجال لهم رءوس» لمحمود دياب(١٦) وغير ذلك .

والمجلة ثرية بالنقد المسرحى ، تتابع المسرح المقروء ، والمسرح المنظور ، وتدلى فيه بالرأى ، وتصنفه تبعا لتياراته ، وتصله براوفده ومصادره ، وتبين تأثيره على المجتمع . وتوازن بينه وبين غيره من المسرح السابق عليه ، ومن هذا مسرحيات «المغماطيس» «ع . الرصيف» «رجل فى القلعة» و «أبو دخان» والأخيرة للمسرح الجزائرى كاتب يس ، وقد تناولتها صوفى عبد الله بالعرض والتقديم ، وتجدر الإشارة أن هذه الكاتبة لها كتابات كثيرة فى الهلال فقد لخصت كتبا كثيرة ومسرحيات عديدة وقدمت قصصا قصيرة .

ومما عنيت به الهلال الحديث عن أداء الممثل أثناء التمثيل ومقياس جودته ، وقدرته على شغل الجمهور به ، فقد كتب أحمد حمروش يقول : «كانت أدق اللحظات عند الممثل هى تلك التى لا يتكلم فيها .. لحظات الصمت التى تظهر مختلف التعبيرات على وجهه ، وفى حركة جسمه ، وإشارات يديه .. هذه اللحظات الصامتة هى الاختبار الحقيقى لفن الممثل»(١٧) ونجد كلاما مشابها لهذا سبق به العقاد عندما قال : «شىء واحد تمتحن به قدرة الممثل أصدق أمتحان وهو قدرته على أن يشغل الفراغ بين جملة وجملة ، أو قدرته على أن يجاوب الممثل الأخر بالملامح والإشارات وهى فى موقف

(١٤) هلال أكتوبر . نوفمبر ١٩٢٣ .
(١٥) هلال ديسمبر ١٩٣٦ .
(١٦) هلال مارس ١٩٧٣ .
(١٧) هلال مايو ١٩٦٤ .

الإصغاء .. فالكلام الذى يلقيه الممثل يلقنه طريقة أدائه حماسـية كانت أو محزنة أو مضحكة أو داعيــة إلى التـأمل ، فـإذا أداها على حسب معناهـا فذلك فضل مشــكور ، ولكنه فضـل يعتمـد فيـه على الكلام الذى يبقيــه . أمـا الفراغ بين الجمل فلا يشغله الممثـل إلا بقـدرة من عنـده ، وباستحضار نفسى لجميـع الأدوار المشتركة فى الـرواية ، فهـو يؤدى دوره ويتمم دور غيره بحسن الإصـغاء والتحضير»(١٨) وحسب الهـــلال من هذا لفت أنظــار الممثل إلى ما ينبغى عليه عمــله أثناء النطق وفى لحظات الصمت .

وإذا كانت الهلال قد وقفت عند المؤلفين المسرحيين وتناولتهم بالعرض والدرس والتقويم من أمثال إبراهيم رمزى ونعمان عاشور وعبد الله ونوس وكاتب يس ، فإنها أطالت الوقوف عند توفيق الحكيم ، وأولته عناية واضحة ، وفتحت صفحاتها لكتابات كثيرة عنه دبجها طه حسين وفؤاد دوارة وزكى نجيب محمود ، وخصصت لدرسه عدداً كاملا عام ١٩٦٨ ، وقسما خاصا عام ١٩٨٧ .

وقد ذهب النقاد إلى أن مسرح توفيق الحكيم مسرح ذهنى يعنى بالحوار الفكرى الذى يتعمق الحياة ويفلسفها ، وليس مسرحاً ترفيهيا جماهيريا يثير العواطف ، ويجذب المتفرجين ، بل إن الحكيم نفسه يشارك النقاد هذا الرأى ويقرهم عليه ، ويرى أن مسرحه الحقيقى داخل الذهن ، وشخوصه أفكار ، وأن مهمة المسرح هى إثارة القضايا وليست عرض الأحداث والحيوات .

وبعد أن استقر هذا الرأى عن مسرح الحكيم أخذ النقاد يتلمسون فى مسرحه المادة التى يمكن تجسيدها وامتاع الناس من خلال عرضها عرضا مسرحيا ، وقد توفر د. على الراعى على هذا الجانب وجلاّه ، وأورد نصوصا وكلمات تظهر الجانب الآخر المستند إلى الأشخاص والواقع والتشويق المسرحى ، وأثبت أن الحكيم يعرض أحداثا ولا يكتفى برواياتها فقط و«لم يغفل عن الجانب الذى يمكن أن يسلّى الجماهير العادية ، ولم يهمل الحدوتة قط ، بل لعله أسرف فى الاستعانة بها» وعزز كلامه بمواقف استقاها من مسرحيات للحكيم مثل : أهل الكهف وبيجماليون وياطالع الشجرة ... وغيرها . أى

(١٨) الاثنين والدنيا ١٩٤٢/١٢/٧ .

أن الحكيم أخضع الواقع للفكر ولكنه لم يهمل الواقع ، ولكن تظل السمة الغالبة على مسرحه هى السمة الفكرية الذهنية الفلسفية ، ومن ثم وسم الدكتور الراعى مسرح الحكيم بأنه مسرح فرجة وفكرة (١٩) .

وإذا كان مسرح الحكيم مسرحاً يغلب عليه الفكر ، والفكر يتسم بالحدة والجفاف ، ويلزمه ذهن وقاد قادر على الاستبطان وإدراك الخفايا الدقيقة ، فإن من مسرح الحكيم ما تسرى فيه نغمة الفن العذبة ، وكلمته الرقيقة المشبعة للوجدان ، وهذا ما تناوله عبد الرحمن صدقى من خلال مسرحية شهر زاد التى وصفها بأنها «قطعة فنية غير محتاجة إلى النظم لتكون من المسرح الشعرى» بل رأى أنها أدق فى ذوقها الفنى من مسرحية أهل الكهف وأرهف منها حساً (٢٠) .

على أن الهلال لم تقف فقط عند النقاد المنظرين والمفسرين لمسرح الحكيم ، وانما تجاوزت ذلك إلى واحد من كبار المخرجين الذين أخرجوا مسرحيات للحكيم لتلم برأيه ، ذلك هو سعد أردش الذى أدان مخرجى المسرح وممثليه «لقصورهم عن المستوى المناسب من الادراك الفكرى والفنى اللازمين لتجسيد الأعمال التى اتهموها بالقصور بحجة أنها ذهنية ، وهى فى الواقع تجمع كل معانى الشعر ومقومات الصنعة الفنية» وقادته هذه الكلمات إلى نفى اللامعقولية واللاواقعية عن مسرح الحكيم (٢١). وهذا يعنى أن المتفننين المسرحيين مع النقاد إلى جانب الحكيم نفسه ، مقصرون فى تفسير مسرح الحكيم سواء على خشبة المسرح أو على صفحات الكتب والدوريات . وأرى أن ما قاله أردش صحيح ، فإذا كانت ياطالع الشجرة من اللامعقول فكيف سوّى الحكيم فكرتها ونسّق فنها ، والحكم عليها – من قبل النقاد – بأنها من اللامعقول يعنى أنهم فهموها وهذا ينفى عنها اللامعقولية .

وهذه الدراسات التى قدمتها المجلة من شأنها أن تعمل على خلخلة النظرية الثابتة لمسرح الحكيم ، وتخفف إلى حد ما من الاعتقاد الراسخ بأن مسرحه مسرح فكرى ذهنى ليس للمادة أو الواقع من نصيب فيه .

(١٩ و ٢٠) هلال فبراير ١٩٦٨ .

(٢١) المصدر السابق .

خطوة بخطوة مع فنى
السينما والتليفزيون

كان التفكير فى السينما (أو الصور المتحركة كما كانت تسمى) قد بدأ قبل ظهور الهلال بنحو خمسة عشر عاما على يد انجليزى اسمه وينسبوت ، ولكن البداية العملية ظهرت فى المانيا نحو عام ١٨٨١ ، وما إن ذاع الخبر حتى بادرت الهلال إلى نشره بين قرائها .

نظرت الهلال إلى السينما توجراف فى بداية الأمر على أنها خبر علمى ، أو حدث علمى يستحق التنبيه اليه ، والتنويه به ، لذلك أوردت نبأ اختراع الصور المتحركة فى ثلاثة أسطر ضمن باب «الأخبار العلمية» وقالت فى هذا : «يشتغل مصوروا أوربا الآن فى اختراع طريقة تظهر بها الصور الفوتوغرافية كأنها تتحرك» (١) ويبدو أنه حتى أبريل ١٨٩٥ لم تكن مصر قد عرفت السينما بدليل أن الهلال تذكرها كاختراع صناعى ، ولم يطل الوقت فقد عرض أحد الأجانب شريطا سينمائيا فى الاسكندرية عام ١٨٩٥ وشاهده الناس ، وفى عام ١٨٩٦ عرفت القاهرة «الصور المتحركة» عن طريق عرضها فى أحد الفنادق ، ثم راحت تنتشر شيئا فشيئا ، وأصيب الناس بشىء من الدهشة والانبهار بالرغم من أنهم شاهدوا من قبل الفانوس السحرى ، ولكن الصور المتحركة أثارت حب الاستطلاع فيهم فأخذوا يتساءلون عن سرها ، ويبعثون بأسئلتهم إلى الصحف والمجلات ومن بينها مجلة «الهلال» .

ويذكر زيدان أن القراء بعثوا إليه باستفهاماتهم عن الصور المتحركة ، (٢) ، ويبدو أن أسئلة قرائه جعلته يعير الأمر اهتماما أكبر ، ومن ثم نستنتج أنه لم يعد ينظر إلى السينما على أنها حدث علمى فقط ، وإنما على أنها حدث فنى أيضا له تأثيره على الجمهور ، لذلك نراه ينص على أنه تحرك بنفسه ليعاين «المكان المسمى كيناتوغراف

---

(١) هلال أول مايو ١٨٩٥ .

(٢) هلال ١٨٩٧/٢/١٥ .

(اسم للصور المتحركة أو السينما توغراف) بجانب التلغراف المصرى فدخلنا قاعة منارة بالكهربائية فى صدرها ملاءة بيضاء تغطى أعلى الحائط ، فلما استقر بنا الجلوس أطفىء النور ، وظهر على تلك الملاءة اظلال كالتى ترى بواسطة الفانوس السحرى ، إلا أنها تتحرك ، وفى جملة مارأيناه تلك الليلة قطار وصل المحطة ، وأخذ الناس ينزلون منه أو يدخلون ، وفيهم من يحمل صندوقه وعصاه وآخر يهرول وقبعته فى يده ..» (٣) ويروى أنه بعد انتهاء العرض أستأذن صاحب الصور المتحركة فى أن يرى الآلات ليستوضح ماقرأه وسمعه مرارا . وقد أذن له صاحب الصــور فشاهد ، وأخذ يصف الآلة وصفا علميا ، ويحيط قراءه بكيفية إدارتها .

ثم أشار بعد ذلك إلى أن العلماء يعملون على اصطناع صور متحركة ناطقة ، ويطل على المستقبل ويقول : «وستأتى أيام نرى بها العالم وحوادثه رأى العين ونحن جلوس فى غرفنا» . وعلى هذا النحو تحول الخبر العلمى عند الهلال إلى حدث فنى له تأثير شعبى ، ولعل الهلال أول مجـلة تفرد أربع صفحات كاملة فى هلال منتصف مايو ١٨٩٧ للحديث عن السينماتوجراف .

وبعد أن أدرك زيدان تأثير هذا الاختراع الجديد على الجمهور راح يقرن حديثه فيه بالفن التمثيلى ، فتحدث عن كيفية نقل حركات التمثيل والغناء والرقص (٤) وظل يوافى قراء الهلال بتطورات هذا العلم وطريقة تسجيل الصوت إلى جانب الحركة حتى أخبرهم فى عدد أكتوبر ١٩١٠ بأنه تم اختراع الصور المتحركة الناطقة فى ألمانيا ، وفى مارس ١٩١١ أخذ يشرح الـ «فونو سينماتوجراف» الناطقة فى فرنسا ، وتوالت جهود الهلال فى تبصير القارىء بفوائد السينما فى الرماية والصيد ، وفى القطارات لتسلية المسافرين ، ثم تشرح السينما المجسمة التى تؤخذ فيها الصور بآلتين فى وقت واحد ، وتتطرق إلى أثرها فى السلوك والاجتماع فتقول إن السينما «من أنجح الوسائل لترقية المدارس وتهذيب الأخلاق» (٥) .

وترجع أهمــية المــادة التى قدمتها الهــلال عن الســينما منذ ١٨٩٥ - ١٩١٤ فيما يلى :

---

(٣) المصدر السابق .

(٤) هلال أول ديسمبر ١٩٠٨ .

(٥) هلال يونيه ١٩١٤ .

● متابعة الحركة العلمية أولا بأول وتزويد القراء بثقافة علمية .

● مراعاة الاهتمامات الشعبية بالسينما ، وتقديم مادة تلبى احتياجاتهم .

● تطويع العقل لتفهم أسرار العلم وعدم الاكتفاء بالمشاهدة والانطباع .

● سدت فراغا إلى حد ما فى نشر الأخبار العلمية المتعلقة بالصور المتحركة ، مع بيان فوائد السينما إلى أن ظهرت الصحافة الفنية المتخصصة فى مجال السينما عام ١٩٢٣ عندما أصدر محمود توفيق مجلة «الصور المتحركة» .



وتحجم الهلال عن متابعة أخبار السينما سواء فى مجال تطويرها أو فى توظيفها من منتصف عام ١٩١٤ إلى أول عام ١٩١٧ ، وربما يرجع ذلك إلى ظروف الحرب العالمية الأولى، وانقطاع الوارد من أوربا ، وانشغال الناس بمتابعة أخبار الحرب.

وفى عام ١٩١٧ تنبه الهلال إلى مدى النفع العائد من إدخال السينما إلى جميع المدارس ورأت ذلك ضروريا ، وقالت : «اطلعنا على مقالات فى حض الحكومات على جعله (أى الفن أو العلم السينمائى) من ضروريات المدارس إذ أن مشاهدة الشىء تجعله راسخا فى الذهن» (٦) .

وتمضى الهلال فى إظهار فوائد السينما فى التعليم والتثقيف ، وتوجه الأذهان إلى ذلك وتوضح أهميتها فى الكليات العلمية مثل «الطب» وتبين أن التشريح وخواص الغدد تعلم بها كما أن المكتشفين ينقلون صور الحيوانات فى الادغال بواسطتها ويعرفون من هذه الصور معلومات عن الطيور (٧) وقد ادخلت السينما على استحياء إلى المدارس فيما بعد .

وتعكس الهلال الاهتمام الشعبى بالسينما ، والتفات طبقات الشعب إليها ، واستغلالها لصالحهم ، وفى سبيل ثرائهم ، فتسجل تجول التجار المصريين ومعهم حقائب فى داخلها آلات سينمائية يديرونها ويطلعون الناس من خلال اشرطتها على

(٦) هلال يناير ١٩١٧ .

(٧) هلال مارس ١٩٢٣ .

بضائعهم ، والاستغناء عن أساليب الدعاية القديمة (٨) . وهى لمحة مهمة تظهر مدى تجاوب المصرى مع العلم والتطور.

وأخذت تبرز دور السينما فى خدمة التاريخ ، وتخليد أسماء الكتّاب ، وتناولت فيلما يعالج «رواية امرأة فرعون» ، ونشرت خبرا مطولا عن حضور ممثلين أجانب بجانب الأهرام لتمثيل الادعاء باضطهاد المصريين لليهود ، والتقطوا صوراً كثيرة لواقعات عديدة من التوراة (٩) وهذا يبين إفادة الاسرائيليين منذ وقت مبكر من السينما واستغلالها فى الدعاية لصالحهم ، وغير هذا مما صورته السينما من فظائع الحرب العالمية الأولى (١٠) وسجلته الهلال .

وقد ذكرت فى أحد أعدادها أن لها مراسلا خاصا فى هوليود يوافيها بالأخبار السينمائية ومايستجد من أفلام . وهذا يدل على مدى اهتمامها بذلك الفن ، ولايفوتنا أن نذكر أن الهلال استعانت منذ ١٩٢٩ بكاتب متخصص فى السينما العالمية ، عارف بكثير من أسرارها ، وذلك هو السيد حسن جمعه الذى ظل يمدها بالمقالات الجيدة المصورة فترة غير قصيرة ، وله دور واضح فيما قدمته من مادة ثقافية عن ماضى السينما الناطقة وحاضرها ومستقبلها ، وكيف تتناول الموضوعات الدينية والتاريخية ، وتحدث عن الجرائد السينمائية وكيفية صدورها ، وتجميع أخبارها ، وعرف القراء بمدينة هوليود أعجوبة المدائن وعاصمة السينما ، ويصف مساكنها وطبيعتها الملائمة لصناعة الفيلم ، واستديوهاتها ، ومكاتب التوظيف السينمائية التى تمد الشركات العاملة فى هذا المجال بمن تطلبهم من الممثلين والممثلات ومع هذه المقالات صور كثيرة تحتها تعليقات شارحة وموضحة .

ونلاحظ على المجلة فى فترة الثلاثينيات وحتى الاربعينيات أن اهتمامها الأكبر كان منصبا على السينما العالمية وبخاصة السينما الامريكية ، وكادت تهمل الفيلم المصرى ، وربما يرجع ذلك إلى أن السينما المصرية كانت فى الأطوار الأولى ولم يتحقق لها مجد ، أو لعل المتفرجين كانت عنايتهم بالسينما العالمية أكثر من عنايتهم بالسينما المصرية والمجلة بطبيعة الحال تأخذ بعين الاعتبار ميول الأغلبية .

---

(٨) هلال فبراير ١٩٢٣ .
(٩) هلال نوفمبر ١٩٢٣ .
(١٠) هلال مارس ١٩٣٠ .

وقد تخطت الهلال دور التعريف بالسينما وذكر فوائدها إلى النقد والتقدير ، فنرى كاتبا كبيرا مثل أحمد أمين ، وهو من الكتّاب الإصلاحيين ، يعنى بما قالته المدارس النفسية المختلفة فى آثار السينما على السلوك العام للمتفرجين ، ويدافع عن هذا الفن الجديد ويخالف أراء المشّهرين بها ممن قالوا بأنها تعلم الإجرام والمغازلة ، وإثارة الغرائز ، ورأى أنها مدرسة ثقافية، وأن بعض المشاهدين ربما كانوا أسوأ خلقا وهذا مايدفعهم إلى التردد عليها ، وذهب إلى أن السينما ترسم المثل الأعلى للشبان ، ولكنه لم ينكر مالها من أثر فعال فى النفوس ، ومن ثم أوجب «على الحكومة مراقبتها ، فقد تصلح أفلام لسن دون سن ، وقد تصلح فى ظروف دون أخرى ، وقد تدعو إلى التهتك ، وقد تدعو إلى هدم ماهو عزيز على الأمة من دين وقومية» (١١) ، وعنده أن تتعادل موضوعات الأفلام فلا تكون كلها غراما وإجراما ولابد «أن تغذى بمقدار معلوم من الثقافة» . ولعل دعوة أحمد أمين هذه وراء تلك العبارة التى نراها فى اعلانات الافلام «للكبار فقط» إذا كان الفيلم يشتمل على جنس فاضح أو عنف صارخ .

ولدعوة أحمد أمين فى مراقبة الأفلام قيمتها نظراً لحداثتها ولما يرد فيها من سلوك شاذ يسىء إلى الفن ، ويهدم الانسان المصرى ، ونظرا للمستوى الثقافى العام للمتفرجين الذين ينفعلون بما يرون أكثر مما يزنون الأمور ويقدرون . وعلى أى حال فإن الدعوة إلى الرقابة على السينما نوع من النقد . أما عن كيفية الرقابة ، وماذا يبقى وماذا يحذف ، فقد تجادل فيها – على صفحات الهلال – علمان من أعلام الرقابة على المصنفات هما : مصطفى درويش والسيدة اعتدال ممتاز (١٢) .

ولم تقف الهلال عند تقديم النصح والدعوة إلى الرقابة ، وإنما اقتحمت موضوعات السينما ، فقد أوضح مراسل الهلال الخاص فى هوليود أن الربح فقط هو هدف مديرى شركات السينما ، وهو مقياس النجاح عندهم لما يخرجونه من أفلام وروايات ، ومن ثم كانت ميول الجماهير لها المقام الأول ، حتى ولو تعارضت هذه الميول مع الأصول الفنية والواقعات التاريخية ، وأنهم ينفقون الأموال الطائلة فى المناظر الحافلة بالبذخ ، والزاخرة بالترف لكى تنجح الأفلام نجاحاً ماديا فقط (١٣) .

---

(١١) هلال ديسمبر ١٩٤٩ .

(١٢) هلال ابريل ١٩٨٦ .

(١٣) الهلال مارس ١٩٤٨ .

وقد كانت السينما المصرية فى عدة عقود تعتمد على الاجتهاد الشخصى ، فعمظم الذين عملوا فيها لم يتلقوا تعليما فى معاهد سينمائية ، وعندما أنشىء معهد السينما عام ١٩٥٩ تخرج فيه طائفة جديدة من المخرجين الشبان الذين حملوا الطابع العلمى ، وهو طابع عقد الستينيات ، وكانوا ثائرين على الاسلوب السينمائى القديم ، ومن ثم راحوا ينتقدون السينما المصرية التقليدية ورأى أحدهم - محمد راضى - أنها «تحمل فكرا متخلفا عن روح العصر ، وعن واقع مجتمعنا الآن حيث تبدو الأفكار منعزلة تماما عن هذا الواقع» [١٤] ولم يمتدح سوى بعض محاولات قام بها كمال الشيخ ، وصلاح أبو سيف ، ويوسف شاهين ، وهم من أصحاب الواقعية الاشتراكية ، وكان خلاصة رأيه أن يعبر الفيلم «عن المجتمع ، ويعيش جميع صراعاته اليومية» .

وقد كتب سامى السلامونى للهلال فى هذا الاتجاه ، ووصف السينما المصرية القديمة بأنها سينما متعة وإثارة ، ونعت السينما الحديثة بأنها سينما متعة وتفكير ، وهذا الكلام غير دقيق ، وإنما أملاه فكر تلك الفترة التى كتب فيها ، ولا أقول إن السينما القديمة فى مستوى السينما الحديثة ، ولكنها لم تكن سيئة بالقدر الذى يصوره هذا الكلام ، والهلال التى نشرت هذه الآراء عادت لتصححها فى فترة أخرى من خلال مقال لرفيق الصبان ، وكان قد عرض مجموعة من الأفلام المصرية القديمة فى باريس ، وشاهد تأثر الفرنسيين بها ، ونقل احساسهم الذى لاقته فى بلدها الأصلى [١٥] ويقول كلودميشيل إن السينما المصرية بعد انتهاء الفترة الصامتة «حاولت أن تتلاءم مع الذوق العربى» [١٦] .

ولكن المفيد فى كلام السلامونى حديثه عن الأفلام التسجيلية مثل فيلم «ثورة المكن» الذى أخرجه مدكور ثابت ، وفيلم «حياة جديدة» عن قرية مصرية الذى أخرجه أشرف فهمى وغيرهما ، وهى - أى الأفلام التسجيلية - لون من ألوان السينما التى سجلت الهلال شيئا عنها ، كما سجلت معلومات عن المخرجين الشبان «مدكور ثابت» و «أشرف فهمى» و «غالب شعث» .

وقبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى فى مجال النقد السينمائى نشير إلى أن مجلة الهلال فى الخمسينيات والستينيات حفلت بمادة كبيرة عن الممثلات الأجنبيات مثل

(١٤) الهلال سبتمبر ١٩٦٩ .
(١٥و١٦) الهلال نوفمبر ١٩٨٧ .

انجريد برجمان وجريتا جاربو وصوفيا لورين ومارلين مونرو ، وفى سنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ١٩٦٤ كان من أبواب الهلال «فيلم الشهر» الذي قدم فيه «سعد الدين» أفلاما غربية وأمريكية مثل «وداعاً للتسول» «الامريكى القبيح» «العسكرى الأزرق» وغيرها ، وفى فترات لاحقة لم تهتم الهلال بالسينما كثيرا .

ثم نشطت الهلال فى هذا الميدان نشاطا ملحوظا بعد ذلك فنراها تتناول تاريخ السينما العربية على وجه العموم والسينما المصرية على وجه الخصوص وتقدم ملفات متتالية فى بعض اعدادها ، مثل ملف عن «العرب والسينما» ١٩٨٦ ، وأخر «فى الذكرى الستين للسينما المصرية» ١٩٨٧ ، وجزء خاص عن السينما ١٩٩١ .

وقد تناولت بعض مادة هذه الملفات تاريخا للسينما المصرية مصحوبا بالنقد الفنى . وحرصا من المجلة على شمول النظرة ، وتوسيع آفاق الموضوع عرضت للسينما المصرية من وجهة نظر الأجانب فأظهر رفيق الصبان إعجاب بعض الفرنسيين بالفيلم المصرى ، واطلعنا مصطفى درويش على آراء النقاد الغربيين فى السينما المصرية مثل ديليز باول ، وجى هينيبيل، وجون راسل تايلور وغيرهم .

وبعيدا عن الملفات والأقسام نقع على مقالات متناثرة بين حين وأخر تركز على أفلام مصرية معينة ، تقلب النظر فيها ، وتنتقد اتجاهاتها ، مثل فيلم «الحكم أخر الجلسة» الذى أخرجه محمد عبد العزيز ، و«الطوفان» لمخرجه بشير الديك ، وهما من الأفلام التى تمثل سينما اليأس والشر والقتل والتآمر حتى على الأمهات [١٧] ، ومن الأفلام التى انتقدتها الهلال فيلم «الطوق والاسورة» المأخوذ عن قصة ليحيى الطاهر عبدالله ، وقد دس المخرج خيرى بشارة قصة «طاحونة الشيخ موسى» فى «الطوق والاسورة» ولكل منهما رؤية مختلفة ويرى ناقد الفيلم مصطفى درويش أن حشر حكاية «طاحونة الشيخ موسى» «فى سياق السيناريو سار بالفيلم القهقرى ورجع إلى الوراء» لأن هذا «كان على حساب الروح التى يشعها الطوق والاسورة ، ولأنه أدى إلى بعض الغموض والاضطراب فى السرد [١٨] وهذا نوع من النقد المباشر للأفلام .

---

(١٧) هلال مايو ٨٦ .

(١٨) هلال يونيه ١٩٨٦ .

ولكن الهلال لكى تتوازن مع نفسها لاتنتقد فقط ، وإنما تزن وتقدر وتشيد بالأفلام التى تستحق الإشادة مثل أفلام : «سرقات صيفية» «الدرجة الثالثة» «الكيت كات» وغيرها وتعتبرها انطلاقة جديدة فى السينما المصرية .

ولم تلتزم المجلة بهذا الخط فقط ، وإنما تجاوزته إلى مهرجانات السينما العالمية ، والسينما العربية الناطقة بلغات أجنبية ، وتتبع ملامح الشخصية العربية فى السينما العالمية . وهى موضوعات مهمة غنية بالمعلومات ، مثيرة للانتباه ، وافية بالتحليل ، كاشفة عن الذوق الفنى لكتّاب الهلال فى هذا المجال من أمثال مصطفى درويش ومحمود قاسم وأحمد رأفت بهجت وغيرهم كما تظهر من ناحية أخرى أن محرر الهلال منذ منتصف الثمانينيات : أولا مغرم بهذا الفن ثانيا : مدرك لأهميته وتأثيره ، ومن ثم تعقبه ، وحاول فى نجاح استيفاء عناصره ، والميل بالدراسة فيه ناحية مصر والعرب ، ومايتعلق بهما فى الأفلام الأجنبية أو عند النقاد الافرنج ، مع الاهتمام فى الوقت نفسه بالسينما العالمية . وهذه العناصر الثلاثة : السينما المصرية - العربية - الأجنبية لم تتلاق من قبل ، على صفحات الهلال مثل تلاقيها فى هذه الفترة بالمقادير التى تخدم الثقافة الوطنية والعربية .

والخلاصة أن مجلة الهلال كانت رائدة فى نقل العلم والفن السينمائيين إلى الجمهور وظلت توافى قراءها بكل جديد ، وخصصت لأجل ذلك صفحات مصورة بالروتغرافور ، وأقساما خاصة تلاحق وتتعمق ، تعرض وتنتقد ، تبعث ماضى السينما ، وتتناول الحاضر ، وتطل على المستقبل .

وثمة ملاحظة أخرى ، وهى أن الهلال لم تواجه الفيلم المصرى بقدر ما واجهت الفيلم الأجنبى ، ومرد هذا على ما أعتقد أن المشرفين على دار الهلال تركوا لمجلاتهم الأخرى مثل . المصور والاثنين وكل شىء والكواكب معالجة قضايا الفيلم المصرى .



وإذا كانت الهلال قد تناولت كل الفنون واستوعبتها وأمدت قارئها بمعارف واسعة فى كل ألوان الفكر والعلم ، فإنه لم يفتها الحديث عن التليفزيون حتى قبل أن يدخل البيوت المصرية بسنوات كثيرة ، فنراها من خلال عرض كتاب «الحياة تبدأ غدا» من تأليف أندريه لابارت ، تتحدث عن التليفزيون ومكانته ومزاياه ، وتتنبأ بشيوعه وبأنه سيكون بمنزلة نافذة مفتوحة على العالم بأسره ، وتقول ، وقد يمتد تأثير التليفزيون إلى

كثير من ميادين النشاط كالصحافة وغيرها ، فالرسامون مثلا سيضطرون إلى ابتكار نوع جديد من الرسوم المتحركة لنشرها فى الصحف وإذاعتها بواسطة التليفزيون ، وهكذا تبتكر السينما الكاريكاتورية (١٩) .

وتثرى الهلال حديثها في هذا الموضوع بما كتبته عن «مونتجمرى لو» الذى عرض عام ١٩١٤ على معهد مهندسى السيارات نموذجا صغيرا لجهاز التليفزيون وسجل حين ذاك وجاء فى الهلال أنه جهاز بدائى ، ولكن فكرته لاتختلف كثيرا عن فكرة الجهاز الحالى ، وقابله العلماء بفتور ، وساعد قيام الحرب العالمية الأولى على إهماله (٢٠) .

ويمثل هذا الكلام مهدت الأذهان لإنشاء التليفزيون ، وثقفت القارىء بمادة عنه ، فلما دخل التليفزيون المصرى إلى بيوتنا خصصت الهلال بابا فى كل عدد - فترة من الوقت - بعنوان «نقدالتليفزيون» كان نظمى لوقا يسلط فيه الأضواء على برامجه المختلفة ، وينوه بها أو ينتقدها ، على قدر مافيها من مضار ومنافع ، مثل برنامج «مطبات فى الهوا» فقد طعن فيه لأنه يدرب الناس على «الفهلوة» أو الاحتيال أو القدرة على الغش والتمويه .

وتمضى الهلال قدما في هذا المضمار فتخصص قسما من عدد يوليه ١٩٨٥ للتليفزيون بمناسبة اليوبيل الفضى لمناقشة ايجابياته وسلبياته والأزمات التى يواجهها ، ويتواصل بعد ذلك الحديث عن التليفزيون فى الهلال فنجد مادة ثقافية غير قليلة . منها مقال ينتقد الاعلان التليفزيونى لأنه يسبب الحسرة للشبان ولغيرهم ممن لايستطيعون الحصول على السلع التى يروج لها هذا الجهاز (٢١) .

ومما يتصل بالسينما والتليفزيون حديث الهلال عن الفيديو وتأثيره على السينما وأضراره عندما ينتهى دور الرقابة .

وهكذا تأخذ الهلال بيد قارئها إلى الأمام على هدى النور والمعرفة ، ولاتجمد به فى حقبة أو بلد وإنما تجعله يجول معها فى الزمان والمكان ، وكأنها آلة هـ . ج . ويلز الخيالية التى تستعيد الماضى وتنظر إلى المستقبل .

---

(١٩) هلال يونيو ١٩٤٧ .

(٢٠) هلال يوليو ١٩٥١ .

(٢١) هلال يناير ١٩٨٦

إصدارات دار الهلال

أدى نجاح مجلة الهلال الشهرية إلى توالى ظهور مجلات أخرى متخصصة فى مخاطبة قطاع عريض من القراء .

وقد أدت تلك المجلات إلى الارتقاء بالفن الصحفى وازدهار عالم الصحافة ، وأصبحت تلك الشقيقات تصدر الآن من مؤسسة دار الهلال حاملة شعار الثقافة للجميع وفى كل مكان .

المصور (أسبوعية)

فى عام ظهور « مصور » دار الهلال صدرت فى مصر أكثر من ستين جريدة ومجلة متنوعة ، اختفت جميعا ولم يبق منها إلا « المصور » الحالى يواصل العطاء .

صدر العدد الأول من مجلة « المصور » فى الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٢٤ يحمل غلافه رسما للملك فؤاد ، وعلى يمين العدد رقم (١) والسعر عشرة مليمات. إلا أن الغلاف والبيانات الخاصة بالمجلة لم تثبت على حالة فأحيانا كانت تتضمن صورة واحدة ، وأحيانا أكثر ، كما أن البيانات صارت تأتى على يمين الغلاف ويساره وفى الوسط اسم المجلة .

وقد حفلت المصور منذ أعدادها الأولى بالصور الكثيرة المطبوعة بالروتغرافور . والجدير بالذكر أن هذا النوع من الطباعة استخدمته المانيا ثم انتقل منها بعد ذلك إلى دول أوربية أخرى ثم أدخلته دار الهلال فى مجلاتها ، وقد وردت فى « المصور » كلمة توضح الطباعة بالروتغرافور جاء فيها :

« هى باجماع أراء الخبيرين أرقى أنواع الطباعة فى الوقت الحاضر ، والبرهان على ذلك أن معظم الجرائد المصورة فى أوربا وأمريكا قد اقلعت عن طريقة الطبع الاعتيادية لكى تستفيد من الرونق والبهاء اللذين هما من صفات هذه الطريقة الجديدة .

والمصور قد كان أول من أدخل هذا النوع من الطباعة إلى الأقطار الشرقية وتكبد فى سبيل ذلك مشقات كثيرة شأن كل راغب فى التجديد .

« وامتياز طريقة الروتغرافور أن الصور تظهر بها كأنها فوتغرافية فإذا قارن القارىء بين صورتين إحداهما بالروتغرافور والأخرى بالكليشيهات المعروفة وجد فى الأولى حياة ونصاعة لا يجدهما فى الثانية » (١) .

وكان هناك مصدران لصور « المصور » الأول ما تنقله عن المجلات الأجنبية مثل صور الزلازل والبراكين وصور الحروب والمعارك المجلوبة من ميادين القتال وغير ذلك . والثانى ما تأخذه عن الواقع المحلى وتنفرد بنشره ، ومن ذلك صور المتهمين بتنظيم شيوعى فى مصر من أمثال : قسطنطين فايس ، ريدل هارشليك ، شاكر عبد الحليم ، حسن عبده بولاك ، بيومى الباسوس ، أفجدور إلى أخره .

وقد واكبت « المصور » أحداثا سياسية كبيرة ، واكتشافات أثرية مهمة وقامت بنشر صور نادرة تسجل تلك الواقعات مثل واقعة مقتل السير لى ستاك ، فقد أوردت صور المتهمين مثل عبد الحميد عنايت وعبد الفتاح عنايت وشفيق منصور وغيرهم (٢) . أما الاكتشافات الأثرية فكان أهمها الكشف عن قبر توت عنخ آمون ، وقد أخذت تزود القارىء بالصور الجديدة للتحف الفنية التى وجدت فى القبر ، وأبدت « المصور » ضيقها بنقل صور الآثار المصرية من المجلات الأجنبية لأن « الحكومة المصرية التى اتفقت مع المستر هوارد كارتر مكتشف القبر على أن تتولى هى توزيع أخباره على الجرائد لم تحفل بأمر الصور مع أن لهذه الصور شأنا كبيرا » (٣) .

ولا استطيع أن أخبر القارىء عن آلاف الصورالتى نشرتها المصور ، كل صورة تمثل واقعة ، ولكن يمكن القول إن المصور منذ صدورها إلى الأن عبارة عن سجل مصور لتاريخ مصر فى تلك الفترة .

وقد سارت المصور فى بداية عهدها على مبادىء حتى تتجنب المخاطر وتتمكن من إفادة القارىء ، منها :

★ ألا تتدخل فى السياسة .

★ أن يراعى التنوع فى موضوعاتها وفى صورها .

★ أن تكون الأسبق فى نشر أهم الصور .

★ أن تجعل صفحاتها مرآة تنعكس عليها حوادث العالم وأحواله فضلا عن الشئون الداخلية .

---

(١) المصور فى ١٩٢٥/٦/٥ . (٢) المصور ١٩٢٥/٦/١٩ .

(٣) المصور أعداد ٢ ، ٩ ، ٢٤ ، من يوليه ١٩٢٥ .

★ أن ترضى الجنس اللطيف والجنس والخشن على السواء .

★ أن تدقق فى اختيار ما ينشر فهى فى قسمها الأدبى ، وقسمها المصور لا تختار إلا أجود الجيد وأهم المهم (٤).

وقد طبقت المصور هذه المبادئ على الأقل فى الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٤ فعملت على تنويع الموضوعات وإنشاء أبواب مختلفة مثل « لطائف وفكاهات » يقدمها القراء ، وموضوعات أدبية مثل « حكمة الغرب » وهى حكم ونصائح ، وقصائد شعرية ، وقصص مترجمة مثل « الدروس الغالية » لتشيكوف ، ونتف تاريخية ، ونبذ علمية ، وموضوعات عامة ، وقد نشرت المصور عدة حلقات تحت عنوان « مذكرات طبيب فى الأرياف » لأحد الأطباء (٥) ، وربما كان هذا هو المثال الذى كان فى ذاكرة توفيق الحكيم عندما الف كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » مع الانتقال من الطب إلى القانون .

أما من ناحية تنويع الصور والسبق فى النشر فقد تحقق لها ذلك عندما نشرت صورة خطاب عبد الكريم الخطابى ، الزعيم المراكشى ، إلى الشعب الفرنسى الذى تناقلته وكالات الأنباء والصحف الفرنسية ، وصورة لأعضاء المجمع اللغوى فى مناسبة انتهاء العام الرابع ، وهذا المجمع تأسس عام ١٩٢١ وكان من أعضائه أحمد زكى باشا ويعقوب صروف والكاظمى ، وفارس نمر ، و د . على العنانى ، ومنصور فهمى ، ومصطفى عبد الرازق ... وصورة لأول مؤتمر مصرى للتعليم دعت إليه نقابة المعلمين عام ١٩٢٥ وكان يرمى إلى تعميم التعليم .

وأرضت الجنس اللطيف بتخصيص باب « فى عالم السيدات » ونشرت فيه صور الممثلات والأزياء وغير ذلك من الشئون النسائية .

أما قول أميل زيدان بأن « المصور » لا تتدخل فى السياسة ، فإن هذا المبدأ ظل فترة، وعندما اسندت رئاسة تحرير المصور لفكرى أباظة ، صارت «المصور» من المجلات السياسية التى تهتم بالقضايا السياسية الداخلية والخارجية . ونضرب مثلا بالحديث الذى أجرته المجلة مع أمين عثمان باشا واقتصر الكلام فيه على اللورد مايلز لامبسون ، وقد وصف أمين عثمان باشا المندوب السامى بأنه رجل « عظيم » وأن «سياسة الود والإخاء والتعاون بين الحليفين (يعنى مصر وإنجلترا) قد نجحت .. (٦) بل إن « المصور » خصصت بابا باسم « أحاديث المجتمع السياسى وباب « بين أسبوع واسبوع » و « فى ميادين السياسة والحرب » وغير ذلك .

---

(٤) المصور فى ١٩٢٥/٦/٥ .   (٥) المصور ١٩٢٥/٤/٢٤ .   (٦) المصور فى ١٥ يناير ١٩٤٣.

واستمرت المصور تعلق على أهم الاحداث السياسية وتحللها أولاً بأول بالصورة والكلمة ابتداء من معاهدة ١٩٣٦ وحتى الآن مرورا بالحرب العالمية الثانية وحادث ٤ من فبراير ١٩٤٢ ، ومحادثات صدقى بيفن ، وحرب فلسطين ، وقيام ثورة يوليه ١٩٥٢ ، وتأميم القناة ، وحرب ١٩٥٦ ، ومؤتمرات القمة العربية ، وحرب يونيه ١٩٦٧ ، ومعارك رأس العش ، وحرب الاستنزاف إلى أخر ما يعرفه القارئ من الواقعات الكبرى فى تاريخ مصر والعرب والعالم .

بل نرى « المصور » تنشر مذكرات رجال الوطنية المصرية وهى مذكرات سياسية مثل مذكرات إسماعيل صدقى وذكريات سعد باشا التى نشرها بركات باشا وغيرها ، ومنذ عام ١٩٥٢ والمصور تأخذ الجانب الوطنى وتعبر عنه ، وهذه المواد السياسية تكشف مداخلات وملابسات واقعات عديدة ، وتعين العوامل المسيطرة على سير الأحداث، وتستظهر أمام ذهن القارئ حقائق غائبة ، وتزيل عن بصره غشاوة حاجبة .

ولكن ذلك لا يعنى أن المصور انصرفت عن المجتمع ومشاكله ، أو عن الثقافة وقضاياها ، فمنذ ظهورها وهى تعرض الموضوعات الاجتماعية ، وتهتم بعلاجها ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه فكرى أباظة تحت عنوان « البلشفية فى مصر » (عدد ٣٩) وناشد فيه الحكومة اصلاح الأوضاع الاقتصادية فى البلاد حتى لا تتفشى الشيوعية ، وكان ذلك بعد كشف التنظيم الشيوعى الذى أسلفنا الاشارة إليه . ونشر فكرى أباظة مقالات أخرى يوازن فيها بيننا وبين الأجانب فى مجال الإدارة والسلوك الاجتماعى ، وانتقد ما يجرى فى البيوتات الكبيرة من بذخ واسراف وتبذير ، وطرح كميات وفيرة من الطعام على الموائد الأمر الذى يعرض الصحة للمرض. وامتدح الأجانب لاقتصادهم فى كل شئ .

كما قاومت المجلة انتشار المسكر وأظهرت ضرره ، وناقشت قضايا المخدرات وابرزت تأثيرها الوبيل .

ولم تغفل المصور عن قضايا المرأة وتحريرها ، وكانت تشجع النساء على المطالبة بجميع الحقوق المدنية والسياسية ، ومن هذا نشر صورة كبيرة على غلاف أحد أعدادها لمنيرة ثابت لتعزيز طلبها بحق المرأة فى الانتخابات ، وعلقت بقولها : « يسر المصور أن تشجع فى الأمة على الدوام العناصر الحية التى ترمى إلى التجديد والاصلاح والعمل »(٧) .

وعلى ذكر المرأة فقد نشرت « المصور » مقالا لتوفيق الحكيم دعا فيه إلى تعدد الزوجات وبخاصة بعد مقتل ملايين الرجال أثناء الحرب العالمية الثانية ومما قاله :

(٧) المصور ١٩٢٥/٥/٢٢ .

« أنصح لنسائنا المطالبات بمنع تعدد الزوجات أن يتريثن قليلا فربما افتخرن غدا أمام نساء العالم المتمدن بذلك » . « إن الطبيعة نفسها هى أول نصير لتعدد الزوجات » ، « إن الاكتفاء بالزوجة الواحدة بدعة اخترعتها أنانية الرجل فى الأرجح »(٨) .

وعلى الفور اندلعت المعركة ، وتطاير الشرر ، وأطلقت النساء أعيرتها النارية على توفيق الحكيم أو عدو المرأة ، وردت عليه أمينة السعيد وحرم علوبة باشا (وكيلة الاتحاد النسائى) ووصفت هدى هانم شعراوى زعيمة النهضة النسائية كلام الحكيم بأنه « بدعة لا نقره عليها ، بل نقاومها بكل مالدينا من قوة، ونعتقد أن ما من امرأة فى العالم تقبلها، وتؤيدها فى ذلك الأديان التى تحرم تعدد الزوجات صونا لكيان الأسرة »(٩) .

وهذا يبين أن المصور فتحت صفحاتها لمناقشة القضايا الاجتماعية من زوايا مختلفة ، وتحدونى رغبة فى الاستطراد فى ذكر مواقف المصور الاجتماعية ، ولكن ضيق المقام يحول دون ذلك . فما أكثر ما قالته المجلة فى التعليم والجريمة والطفولة والفقر والثراء وغير ذلك من قضايا الاجتماع .

وقد تغير شكل المصور ومضمونها فى مسيرتها الطويلة التى كادت تبلغ السبعين عاما ، فقد زادت صفحاتها وقلت ، وطالت وقصرت ، واختفت منها أبواب ، وظهرت غيرها ، وتنوع كتابها ، وكان كل محرر يتولى أمرها يعمل على تجديدها وتحسينها . أما الذين تولوا شئونها فهم :

★ إميل وشكرى زيدان من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٤ .

★ فكرى أباظة من ١٩٣٤ – ١٩٦٢ .

(وخلال هذه الفترة تولى أمر المصور كل من أحمد قاسم جودة ، ونسيم عمار عدة شهور لتغيب فكرى أباظة) .

★ على أمين من ١٩٦٢ – ١٩٦٤ .

★ أحمد بهاء الدين وفكرى أباظة من ١٩٦٤ – ١٩٧١ .

★ يوسف السباعى من ١٩٧١ إلى ١٩٧٣ .

★ فكرى أباظة وصالح جودت من ١٩٧٣ – ١٩٧٧ .

★ مرسى الشافعى وصبرى أبو المجد من ١٩٧٦ – ١٩٧٧ .

---

(٨) المصور ١٩٤٣/٢/١٢ .	(٩) المصور ١٩٤٣/٥/١٩ .

(وعندما نقل مرسى الشافعى إلى روز اليوسف صار صبرى أبو المجد هو رئيس تحريرها) .

★ أمينة السعيد وصبرى أبو المجد من ١٩٧٧ - ١٩٨١ .

★ مكرم محمد أحمد من ١٩٨١ -

وقد وصف مكرم محمد أحمد جهود بعض رؤساء تحرير المصور على هذا النحو :

« أعطاه فكرى أباظة هذا المذاق المصرى الخاص الذى جعل منه منافسا عظيما لكل الصحف اليومية ، والذى أضاف إليه نكهة ناقدة ضاحكة باكية تبدت فى سخرية لاذعة من كثير من أمراض السلوك المصرى .. النفاق والخداع والكذب وتجاهل الشعور العام .

« وأعطاه مصطفى أمين تلك الحيوية الدافقة .. بحث عن الخبر والصورة وذاك الايقاع السريع مع مجريات الحدث اليومى .

« وجاء أحمد بهاء الدين ليعطيه عمق الرؤية وشمول النظرة » (١٠) .

وقد كان شعار المصور فى عهد مكرم محمد أحمد الانفتاح على كل المدارس الفكرية ويؤمن « دائما بحق كل صاحب رأى فى أن يعبر عن رأيه ، وأن يقول كل ما عنده بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف مع وجهات النظر » (١١) .

ومن هذا المنطلق حررت « المصور » الكلمة من أغلالها ، وأتاحت التعبير لجميع الاتجاهات - الدينية والعلمانية واليسارية والعلمية والاقتصادية - وأجرت حوارات كثيرة مع أصحاب هذه التيارات . اتسمت بالطول والحرارة والاتساع ، وهذا من شأنه أن يرسم تصورات واضحة للقضايا ، ونضرب أمثلة بحوارات المصور مع عمر التلمسانى وحافظ سلامة ونجيب محفوظ وفاروق الباز وياسر عرفات وغيرهم ، فقد تبحروا وأوغلوا فى الموضوعات التى تحاوروا فيها .

وفى النواحى الثقافية والأدبية أتاحت المصور الفرص لكوكبة من أعلام الفكر والفن لتسطير آرائهم سواء جاء ذلك فى شكل قصة قصيرة ، أو رواية منجمة ، أو مقال أدبى نقدى ، أو فى حديث صحفى .

وهكذا جمعت « المصور » بين أعمال المجلة الثقافية ، والجريدة اليومية السياسية وأشبعت فى الناحيتين .

(١٠) المصور ١٩٨٤/١٢/٧ .

(١١) المصور ١٩٨٣/١٠/٢٨

الكواكب (أسبوعية)

كانت مجلة « المصور » تخصص عدة صفحات للسينما والمسرح ، ولكنها بمرور الوقت ضاقت عن استيعاب التقدم فى هذا الميدان ، فرأت إدارة الهلال تخصيص مجلة تتابع التطور الفنى ، فأصدرت « الكواكب » فى يوم الاثنين ٢٨ من مارس ١٩٣٢ كملحق فنى « للمصور » .

جاء العدد الأول من « الكواكب » فى حجم ملزمة ١٦ صفحة ، وعلى غلافه صورة للممثلة والمطربة « نادرة » ، وكان مقر الإدارة فى شارع الأمير قدادار أمام نمرة ٤ من شارع قصر النيل .

وتضمن هذا العدد معلومات طريفة عن فيلم « أولاد الذوات » وحديثا عن الكلاب التى تمثل على الشاشة وتقوم بأدوار « العشق والغرام واللصوصية والفروسية والمجازفات والفكاهة »(١٢) .

وأخذت تتضح معـالم المجلة مع تتـابع الأعـداد الأسبوعية فخصصت بابا دعتـه « أكاذيب » وآخر انتقاديا اسمه « أشواك » وثالثا أطلقت عليه « فى المرآة » تحدثت فيه عن المغنيات والممثلات مثل فاطمة رشدى وأمينة رزق ودولت أبيض وأم كلثوم وفتحية أحمد وغيرهن ، عدا باب « بينى وبينك » تجيب فيه عن أسئلة القراء ، كذلك كانت تقدم المسابقات ، وتولت تعريف الجمهور بالأسماء الحقيقية لبعض الممثلات والراقصات مثل زكية حسن الشهيرة بمنيرة المهدية ، وألماظة بطرس المعروفة باسم آسيا ، وبيبا (راقصة) واسمها الحقيقى أمينة محمد ، ومفيدة هانم الشريعى التى عرفها المشاهد باسم عزيزة أمير (١٣) .

وابتداء من عدد ١٩٣٢/٤/٤ ارتفع عدد صفحاتها الى ٢٢ صفحة ، وأفصحت عن سياستها فقالت : « أنشأنا هذه الصحيفة الفنية الجديدة فى نوعها تمشيا مع نهضتنا الحديثة فى فن التمثيل والسينما ، ورائدنا الوحيد خدمة العاملين فى هذا الميدان الفسيح والدفاع عن مصالحهم دون تحيز لمصلحة أو تحزب لإنسان » وتدافع الكواكب عن مصر ضد الأجنبى وتقول : « وما كان لنا أن نصمت عن هذر صحيفة أجنبية تصدر فى مصر وتربح من مصر وتعيش بين ربوع مصر ، وما كان لنا أن نصمت عن تعصبها لكل عمل أجنبى ومحاربتها اليوم لنواة الفيلم الناطق فى مصر » وأظهرت الكواكب حسنات فيلم « أولاد الذوات » الذى انتقدته تلك الصحيفة .

(١٢) الكواكب ١٩٣٢/٣/٢٨ .   (١٣) الكواكب ١٩٣٢/٤/١١ .

ولم يمض على صدور الكواكب عدة أسابيع حتى انهالت عليها رسائل التهنئة والتحية من أهل الفن لتنشيط دورها فقال يوسف وهبى : « مجلة الكواكب خفيفة الروح ، سامية المقصد ، ترمى الى البناء والتشجيع ، وطبعها ظريف متقن ، فأهلا بها لتحل كوكبا بين المجلات » (تاريخ الخطاب ١٩٣٢/٤/٩) كما نشرت الكواكب الرسائل المخطوطة التى بعث بها أمثال أحمد علام وفتوح نشاطى وعزيزة أمير وأمينة رزق وغيرهم[١٤] .

ولم يكن دور المجلة مقصورا على نشر الأخبار السريعة ، والصور الجاذبة ، والمادة الفنية الخفيفة ، ،إنما عمدت إلى تثقيف جمهورها بالصنعة الفنية ، والتجارب والخبـرات التمثيلية ، فكتب يوسف وهبى مقــالا تحت عنوان « كيف أرسم شخصية دورى ؟ » [١٥] وحكى محمد كريم عن تجاربه فى إخراج الروايات السينمائية ، وخاطب عشاق الفن فى مقالة عنوانها « كيف تكون ممثلا سينمائيا ؟ » [١٦] وتنتقل المجلة من التمثيل إلى التأليف من خلال مقالات متتالية كتبها أحمد خيرى سعيد عن « كيف تكتب الرواية المسرحية ؟ » [١٧] وهى دروس نافعة ، وأضواء باهرة تلقى على الأعمال والأدوار الفنية يفيد منها كل من يتطلع إلى التأليف المسرحى أو التمثيل السينمائى .

وتوالى صدور الكواكب حتى عام ١٩٣٤ .

وكانت إدارة دار الهلال قد أصدرت مجلة عام ١٩٢٩ دعتها « الدنيا المصورة » وتوقفت عام ١٩٣٢ ، كما كانت تصدر مجلة « الفكاهة » منذ أول ديسمبر ١٩٢٦ إلى عام ١٩٣٤ .

ثم رأت هذه الإدارة دمج مجلتى « الفكاهة » و « الكواكب » اعتبارا من ١٨ من يونيه ١٩٣٤ فى مجلة واحدة ، ومهدت لذلك بكلمة أظهرت فيها كيف التقت المجلتان «الفكاهة والكواكب » بعد فرقة ، وكانت هذه المجلة هى « الاثنين » أى الفكاهة والكواكب ، ويبدو أن الإدارة رأت أن تضم إليهما مجلة « الدنيا المصورة » المحتجبة فدعتها « الاثنين والدنيا » ، (وهذا مجرد اجتهاد) ولكن ما تأكدنا منه ورأيناه فى اعداد مجلة « الاثنين » عـــام ١٩٣٥ (لم أقف على مجـــلد سنة ١٩٣٤ لعـدم وجـــوده) هـــو أن « الفكاهة » + « الكواكب » = (٢) « الاثنين » ، وقد جاءت على الغلاف كلمة « الاثنين » بخط بارز طويل وبجوارها : الفكاهة والكواكب ، ببنط أصغر ، وهكذا تحولت « الكواكب » الملحق الفنى لمجلة المصور إلى جزء من مجلة « الاثنين » الشهيرة اعتبارا من يونيه ١٩٣٤ .

(١٤) الكواكب ١٩٣٢/٤/١٨ .
(١٥) المصدر السابق .
(١٦) الكواكب ١٩٣٢/٤/٢٥ .
(١٧) الكواكب ابتداء من عدد ١٩٣٢/٨/٨ .

واستمرت الكواكب ضمن « الاثنين » حتى صدرت منفصلة فى الثامن من فبراير عام ١٩٤٩ شهرية ، وكانت الاثنين مازالت توالى صدورها ، وعندما احتجبت فى الخمسينات صار اسم الكواكب « الكواكب والاثنين » . « الكواكب » بخط بارز وبنط كبير مما يعنى أنها الأصل ، و« الاثنين » ببنط أدق مما يعنى أنها الفرع ، وفى مرحلة أخرى سقطت كلمة « الاثنين » من الغلاف وصار اسم المجلة كما يراه القارىء الآن « الكواكب » فقط . وعلى هذا فالقول فى كل عدد منها « أسس الكواكب سنة ١٩٤٩ إميل زيدان وشكرى زيدان » فيه انكار لجهودها السابقة ، وتعريف غير دقيق بمولدها الحقيقى ، فضلا عن أن هذا القول يضلل من يؤرخ لها .



وصدرت « الكواكب » فى طورها الأخير فى ١٩٤٩/٢/٨ مجلة شهرية ، رئيس تحريرها فهيم نجيب ، وسكرتير التحرير السيد حسن جمعة ،ومقر إدارتها ١٦ شارع المبتديان بالقاهرة ، ثم جاء مجدى فهمى بدلا من السيد حسن جمعة كسكرتير للتحرير ، ثم صار مجدى فهمى هو رئيس تحريرها . كانت كواكب ١٩٤٩ تصدر فى مائة صفحة ، ولكنها لم تداوم على ذلك ، فانخفض عدد صفحاتها إلى حوالى النصف عام ١٩٥٤ ، ولم تلبث أن صدرت أسبوعية ، ثم تراوح عدد صفحاتها بين خمسين وست وخمسين صفحة .

والنظرة العاجلة أو المتأنية لكواكب ١٩٤٩ تفيد بأنها أغزر مادة ، وأحسن إخراجا ، وأدق تصويرا ، وأظهر تنسيقا وتنظيما وتبويبا ، وأكثر تحديدا لمسارها من سالفتيها ، ويأخذنا العجب من أعدادها الأولى ، فقد حشدت أكبر عدد من أرباب الأقلام وأهل الفن المشهورين للكتابة فيها من أمثال : العقاد وزكى طليمات ، وإحسان عبد القدوس ، و د. حسين مؤنس ، ويوسف وهبى ، ومحمد عبد الوهاب ، ونجيب الريحانى ، ومحمد فتحى ، وفاطمة رشدى ، وزكريا أحمد ، وأحمد بدرخان ، وسعد مكاوى وفكرى أباظة وحلمى مراد وسليمان نجيب وجورج أبيض وأحمد رامى ، وعبد العزيز محمد ... وغيرهم .

وقد كانت هذه الكوكبة من نبلاء الفن والأدب لها دورها فى النهوض بالمجلة ، فقد كتبوا فى جميع الفنون ، كما أن هذه الكوكية من أصحاب النظر العالى فى الأمور وازنت الى حد كبير بين الكلمة والصورة .

وقد واكب ظهور المجلة وفاة الممثل الفكاهى نجيب الريحانى ، وكان هذا باعثا على كتابة مقالات كثيرة عنه تحكى سيرته الشخصية والفنية ، وتظهر مواقفه الإنسانية ، وفى هذا المجال كتب العقاد مقالا بعنوان « رجل خلق للمسرح » وجاء فيه : « ... انك

تحاول أن تتخيله فى عمل غير عمله المسرحى فلا تفلح .. هو على المسرح كالسمكة فى الماء ، دخوله إليه ، وحركته عليه ، وكلامه وسكوته وايماؤه وقيامه وقعوده طبيعة من صميم الطبيعة تنسيك كل تكلف يحتاج إليه الفنان حتى ينتقل من العالم الخارجى الى عالم الفن والرواية .. » (١٨) .

ورد محمد عبد الوهاب على العقاد قائلا تحت عنوان « رجل خلق للسينما » : « إن للريحانى وجها معبرا صارخ الملامح ، ناطق السمة ، تكاد كل خلجة فيه تبرز قصة بليغة صامتة وله لمحات تطفر من عينيه يسجل فيها أروع أحاسيس الفنان الملهم .. دمعة كسيرة أو نظرة مرحة أو غشاء من ترح وفرح يكسبه لونا اعجازيا قل أن يكون له نظير فى العالم ، وكانت له نبرة صوت فيها كل شـجن الفنان تقفز رأسا من خفقة قلبه لتخـــرج من شفتيه أشــبه بهمسة واهنة لا تكاد تسمعها الأذن .. ولكنها انفاس حارة تنفخ أجيجــا من نار فى إحساس من يتتبعه .

« أقول هذا وأنا لا أكاد اتخيل شيئا غير عدسة الكاميرا يمكن أن تسجل فى أمانة هذه البلاغة التعبيرية لتقدمها للجماهير نطقا عبقرياً » (١٩) .

وإنه من الصعب الاقرار برأى العقاد لأن الريحانى نجح فى السينما أيضا . ولكن يجب الأخذ فى الاعتبار أن نجاحه فى السينما مردود إلى امكاناته التى تفوق بها فى المسرح . فالريحانى هو هو فى المسرح والسينما . والجديد فى تمثيله السينمائى أن عدسات الكاميرا تستطيع أن تبرز ملامحه أكثر مما تبرزها إمكانات المسرح ، ولكل فن وسائله وقدراته ، ومن ثم فإن بروز سمات الريحانى وتعبيراته ترجع إلى آلات السينما وأدواتها التى تستطيع التكبير والتضخيم لا إلى إمكانات فى الريحانى لا تتجلى إلا أثناء تمثيله السينمائى .

وتتنوع مادة الكواكب الثقافية ، وتثبت فى طيات اعدادها مادة نقدية يدلى بها نقاد اكفاء لهم باعهم الطويل فى العلم ، وتراثهم العظيم فى الفكر ، فقد انتقد الشاعر المؤرخ العالم اللغوى اللبنانى د . عمر فروخ أغانى أم كلثوم وعبد الوهاب واسمهان وفريد الأطرش نقدا علميا صائبا ، يكشف فيه عن ضعف الذوق والأخذ بظاهر اللفظ دون « البحث عن المراد المقصود من المعنى » ويحسن أن نضرب مثلا من أقوال فروخ التى انتقد فيها الألفاظ وما يترتب على ذلك من ضياع المعانى ، يقول : يغنى محمد عبد الوهاب من شعر مهيار الديلمى :

(١٨) الكواكب يوليه ١٩٤٩ . (١٩) الكواكب اغسطس ١٩٤٩ .

اعجبت بى بين نادى قومها

أم سعد فمضت تسأل بى

« غير أنه يقول : اعجبت بى بين نادى قومها ذات حسن .. هذا التبديل قد أتلف المعنى الذى قصده الشاعر . إن أم سعد هنا كناية عن العرب . والشاعر مهيار الديلمى فارسى فهو يقول : إن أم سعد العربية أعجبها شأنى فى الفعل الحميد والخلق الكريم فاستغربت أن يصدر ذلك عن فارسى ، لأن العمل الجيد تابع عند العرب للأصل الشريف عندئذ يعدد مهيار الفارسى فضائل قومه الفرس قبل الإسلام . ثم يفتخر بأنه لما ظهر الإسلام فى العرب دخل هو وقومه فى الإسلام ويختم مهيار قطعته الجميلة بهذه اللفتة البارعة :

وجمعت المجد من أطرافه

سؤدد الفرس ودين العرب

« فكيف يجوز أن تحل كلمة « ذات حسن » هنا محل كلمة « أم سعد » الا عند الذين تؤثر فيهم الكلمة الملفوظة أكثر مما يؤثر فيهم المعنى المقصود » (٢٠) .

ومن خلال هذا الشرح المبين يتضح لنا أن العيب لا يقتصر على المستمع فقط ، وانما على المغنى أيضا لعدم درايته بعمق المعنى . وقد شاعت هذه الطريقة فى كثير من الأغانى ، فنرى المطربين يبدلون ويعدلون فى كلمات الشعراء طبقا لما يرتضيه ذوقهم ، وقد يخل هذا بالمعنى المقصود .

وقد حفظت لنا المجلات الفنية مادة غزيرة عن سير أهل الفن إما بالكتابة عن حياتهم ، وإما بترك المجال لهم لرواية ذكريات ، ومن مجمل هذه المادة نستطيع أن نقف على فصول تاريخ الحركة الفنية ، ومازالت هذه المجلات مرجعا للباحثين المعنيين بتدوين السيرة الفنية .

والكواكب من هذه المجلات التى حفلت بذكريات أهل الفن ، فعلى صفحاتها نلتقى بذكريات زكريا أحمد عن أم كلثوم ، ويوميـــات تحية كاريوكا ،، ومآزق فاطـمة رشدى المسرحية (٢١) ، وليس هذا فقط فقد سجل عبد الوهاب اكثر من عشرين حلقة من مذكراته الفنية عام ١٩٥٤ ، ودون يوسف وهبى ذكرياته عن طريق استعراض مجموعات من الصور ، كل صورة تحكى موقفا ، وذلك فى حلقات متتابعة (٧٦ - ١٩٧٧) وابتداء من ٢٠ - ٧ - ١٩٨٣ نشر فؤاد دوارة مذكرات عبد الوارث عسر ومشواره الفنى . وإذا مضى القارىء مع الكواكب وجد حسين عثمان يكتب ذكرياته عن بشارة واكيم ، وفكرى

---

(٢٠) الكواكب ١٩٧٥/٨/١٢ .

(٢١) راجع اعداد أبريل ومايو وديسمبر ٤٩ من الكواكب .

أباظة يروى ذكرياته عن الفن على مدى نصف قرن ، وصبرى أبو المجد ينشر رسائل خطية بعث بها أهل الفن لزكريا أحمد من بينها رسائل لأم كلثوم وغير ذلك ، كثير كذلك نقف على مذكرات بعض كبار الأدباء التى تتعلق بالفن مثل مذكرات محمود تيمور عن المسرح المصرى (٢٢) والعقاد عن سلامة حجازى (٢٣) ورشاد رشدى (٢٤) .. إلى أخـره .

وهذه الذكريات أو المذكرات تروى أطرافا من السيرة الأدبية والفنية فى مصر منذ مطالع القرن العشرين وتظهر الأطوار المختلفة التى مرت بها الحركة الفنية ، والجديد فى هذه الذكريات هو سرد الملابسات والظروف والآثار الجانبية ، والوجوه الأخرى فى الحياة الفنية التى لا يعرفها القارىء من كتاب جاد يؤرخ للفن .

ومما يتصل بهذه الذكريات ، الحوارات الفنية التى تجريها الكواكب مع أهل الفن والأدب ، وتكشف عن وجهات النظر المختلفة ، وتقدم اقتراحات فيها جدة وغناء ، ومن هذه الحوارات المفيدة حوار أجراه حازم هاشم مع سميحة أيوب التى أثارت نقطة مهمة فى المسرح وهى أهمية تسجيل المسرحيات والأصوات المسرحية الجيدة على اسطوانات مثل الأغانى وطرحها على الجمهور ، كما طالبت بمسرح جديد اطلقت عليه « المسرح الهامس » الذى ينأى عن المباشرة ، ويستند إلى الاقناع والفكر (٢٥) .

كما أن الحوارات مع المطربات القدامى تلقى ضوءاً على الغناء القديم والمعاصر، وقد أجرت أمانى فريد عدة حوارات مع مطربات اشتهرن فى الجيل الماضى مثل رجاء عبده التى وازنت بين أداء الأغنية فى مطالع القرن الحالى وأدائها اليوم ، ومن الانتقادات التى وجهتها للأغنية التلفزيونية أن المطربات الحاليات يؤدين الاغنيات كما كانت تؤديها المطربات القدامى على المسرح . وتبين أن الأغنية التلفزيونية الحديثة يجب أن تصحبها حركات وخطوات وإشارات تعبيرية ، وامتدحت المطربة صباح لأنها « تعطى بحركاتها روحاً للأغنية » (٢٦) ومثل هذه الانتقادات والاقتراحات لها دورها فى التوجه الفنى .

وقد تولى رئاسة تحرير الكواكب عدد غير قليل نذكر منهم اميل زيدان ، فهيم نجيب ، مجـدى فهمى ، سعد الدين توفيق ، راجى عنايت ، كمـال النجمى ، حسن إمـام عمر ، حسن شاه .

(٢٢) كواكب ابتداء من ١٤ / ٩ / ٥٤ .
(٢٣) كواكب ديسمبر ١٩٤٩ .
(٢٤) الكواكب ابتداء من ٧ - ١٢ - ١٩٨٢ .
(٢٥) الكواكب ٤ من يناير ١٩٧٢ .
(٢٦) الكواكب ٢٣ - ٩ - ٨٠ .

وكان للمجلة مذاق خاص فى عهد كل واحد من هؤلاء فقد جعلها مجدى فهمى ترفيهية تغرى بالصور ، ومن أهم أعماله تقديم كتاب داخل عدد مارس ١٩٦٠ يروى تاريخ السينما المصرية جمع مادته وليم باسيلى وحسين عثمان . ونشر قصة أول فيلم سودانى ، وحفلت فى أيام كمال النجمى بمادة موسيقية غنائية وفيرة ، وفى زمن حسن إمام عمر أطلت على التلفزيون ومضت معه شوطا كبيراً ، وخصصت صفحة للفن السودانى ، واهتمت بالجانب الدينى ، وقدمت هدية سنوية عبارة عن نتيجة العام الجديد ، وكانت الكواكب أول مجلة تبتدع ذلك . وغذتها حسن شاه بمادة أدبية قصصية مثل قصص محمد الجمل وهدى جاد ومحمد كمال محمد ، وحاورت مثقفين جادين مثل : د . زكى نجيب محمود ونهاد شريف . ود . عبد القادر القط ، وغطت أخبار السينما من خلال المهرجانات العالمية .

وإذا كان للفن دور فى ترقية الشعور ، وتهذيب الخلق ، فإنه يجب الاعراض عن تقديم الصور المثيرة ، والمناظر الخليعة ، فالتربية الجمالية لا تتأتى عن طريق النهود الظاهرة والاكتاف العارية ، والعيون الغامزة ، والأجساد الفائرة . فهذا الاشعاع الجنسى من شأنه أن يصرف الذهن عن تعمق الفن ، وينسيه البحث عن معناه ، وهناك من يفصل بين الفن والأخلاق . ولكن ما قيمة فن يثير الشبق ، ويستنفر الحس ، ولا يقهر النزعات المادية المدمرة ؟ .

حواء (أسبوعية)

سعت دار الهلال لدى السلطات المسئولة فى محافظة القاهرة لاستخراج ترخيص بانشاء مجلة نسائية . وبعد مكاتبات ومداولات وافقت الجهات المعنية على إصدار مجلة نسائية تنطق باللغة العربية باسم « حواء الجديدة » . ووقع اختيار أصحاب الهلال على السيدة أمينة السعيد لتتولى قيادتها وريادتها نظراً لخبرتها ، ومكانتها الاجتماعية ، وشهرتها التى حققتها بكتاباتها على مدى عقدين من الزمن ، وبعد مرور فترة غير قصيرة فى الإعداد والتجهيز ، صدرت مجلة « حواء الجديدة » فى منتصف يناير عام ١٩٥٥ .

وظلت أمينة السعيد تصدر « حواء » وتجدد فى أبوابها وموادها طيلة ربع قرن تقريبا ، وحاولت بكل جهد أن تجعل من المجلة رسالة موجهة إلى آدم وحواء ، وأنشأت بابا بعنوان « أسألونى » لتجيب فيه عن الاسئلة التى تحير الرجل والمرأة ، بل إنها عملت

على أن تكون « حواء » مجلة للأسرة بكل افرادها لذلك ركزت على علاقات الآباء بالأبناء لتوطيد الروابط ، وترسيخ التفاهم بين جيل ذاهب ، وجيل ناهض .

ومن أجل توثيق الربط بين المجلة وقرائها ، راحت « حواء » تنشىء الأبواب التى يجد فيها القراء حلا لمشاكلهم النفسية والشخصية والقانونية ، فقادت القارئات والقر' . إلى النور ، وأعدت المسابقات ، ورصدت الجوائز ، فتغلغلت بذلك فى المجتمع ، وتداولتها العائلات على مختلف المستويات .

ولما كانت حواء « مجلة المرأة الانيقة والبيت السعيد » فقد عملت على تحسين مظهر المرأة بتحقيق اناقتها . وإبراز جمالياتها من خلال موضوعات ترشدها فيها إلى كيفية اختيار المساحيق الملائمة ، واستخدامها ، وتعرض المجلة عليها طرزا متنوعة أو «موديلات » تناسب الفصول ، وتساير المناسبات العائلية والأجتمـاعية ، وإلى جانب ذلك تقدم المعلومات الوافية عن التطريز والتفصيل ، والمعارف الضافية عن تنظيم البيت ، واستخدام الديكور الحديث فى تجميله . فإذا انتقلنا إلى « المطبخ » وجدنا المجلة تعطى دروساً متواصلة فى طرائق إعداد الأطعمة الشهية بأثمان اقتصادية ، ويعد باب « أطباق حواء » دليلا للمرأة الماهرة فى مطبخها ، ففى ثناياه تقدم السيدة نظيرة نقولا طرقا سهلة لاعداد الوجبات المغذية التى لو اتبعتها المرأة لصارت فى مأمن من النقد ، وفى هذا المجال أصدرت حواء كتابا دعته « أطباق لكل المناسبات » من تأليف نظيرة نقولا ، يمكن أن ترجع إليه من فاتتها قراءة الاعداد السابقة من المجلة .

ولم تحصر المجلة قضاياها فى الأناقة والظرافة ، وانما سعت إلى تحقيق السعادة فى العائلة ، فلا أناقة أو ظرافة دون استتباب ما يمكن أن نسميه بالأمن العائلى فتصدت لقضية الطلاق وتعدد الزوجات ، وما ينجم عن هذا من عواقب مذمومة ، تهز العائلة ، وتهدد مستقبلها ، فرأت ألا ينفرد الرجل بالطلاق ، وانما يتم ذلك عن طريق القضاء ، وبعد تقدير هيئة المحكمة للظروف ، واقتناعها بضرورة الانفصال وإذا كانت أمينة السعيد قد جاهدت من أجل نصرة هذه القضية الاجتماعية فإن السيدة سعاد حلمى ، واصلت العمل ، وأشادت بالتجربة النسائية الرائدة للاتحاد النسائى العراقى التى أوجزتها على هذا النحو :

« وإذا كان قانون الأحوال الشخصية فى العراق ينص على أن الزواج والطلاق كليهما يتم أمام القاضى ، وأن التعدد ممنوع إلا فى حالات محددة مثل مرض الزوجة أو

عدم قدرتها على الانجاب ، وبشرط اثبات قدرة الزوج المادية على الانفاق على بيتين ، وأن دعاوى الطلاق والحضانة والنفقة وأحقية شقة الزوجية .. لابد من البت فيها خلال مدة لا تتجاوز الشهور الستة .. أجل على الرغم من كل هذه الضمانات المنصوص عليها، فإن الاتحاد استطاع أن ينتزع لنفسه الحق فى أن تحضر مندوبة عنه كافة هذه المحاكمات . ولها الحق فى بحث الحالة المعروضة ، وتقديم تقرير عنها يقدم للقاضى .. وكثيرا ما يكون تقريرها مدينا لموقف الزوجة ، فالهدف ليس التحيز الأعمى ، وإنما إرساء القواعد المنظمة للأسرة السوية ، باعتبارها الخلية الاساسية فى المجتمع » .

وكل كلمة فى تعليق السيدة سعاد لها معنى ودلالة ، إذ أنها تنشد الحق والعدالة ، بعد تعمق اسباب الخلاف ، واستيفاء البحث فيه . ولم تكن مجلة « حواء » هى البادئة بالمناداة بهذه الأراء ، فقد أثارها من قبل محمد لطفى جمعه منذ أول الثلاثينيات على صفحات « البلاغ » ومجلة « الرابطة العربية » وتعرض بسببها لانتقادات شديدة .

ولكن قضية الطلاق التى نناقشها لها ابعاد أخرى . فالقاضى يحكم بمقتضى ما يسمع من الطرفين وربما كان ما يقال ليس هو سبب النزاع فقط ، وانما هناك أشياء فى مسارب النفس ، راسبة فى الاعماق ، ورغبات مكبوتة لا يمكن إذاعتها ، وهذا هو الجانب الخفى المعتم فى النزاع ، فكيف يوفق القاضى فى معرفته ؟ وقد يقضى القاضى بعودة الزوجين إلى حياتهما الزوجية ، ولا يعود الوئام بينهما بعد ذلك ، لأن الاسباب الحقيقية الخفية مازالت قائمة . ولكن لا بأس من التوفيق إذا أمكن ذلك ، فإذا عاد النزاع مرة أخرى وعرض الأمر من جديد على القاضى فعليه أن يدرك أن هناك أشياء أخرى فى أطواء النفس ينوء منها أحد الطرفين أو يرزح تحتها الطرفان معا ولا يمكن التصريح بها .

كذلك ناقشت « حواء » قضية تنظيم الاسرة عن طريق تحديد النسل ، وربطت بين تنظيم الاسرة واستقرارها ، فكلما شعرت المرأة بالاستقرار قل الانجاب .

وحبذت المجلة عمل المرأة إلى جانب الرجل ، ولم تقتصر على ذلك ، بل نادت بالمساواة التامة بين الجنسين فى جميع المجالات ، ومن ثم أشادت بثورة ١٩٥٢ التى أتاحت للمرأة فرصا كثيرة للعمل ، ومنحتها حقوقا سياسية واجتماعية ... وبالرغم من جهود المجلة لايجاد حلول لمتاعب المرأة العاملة ، فإن كثيرا من المشكلات التى تعانى منها المرأة العاملة غير قابلة للحل . فإنه من العسير عليها الجمع بين أعمال البيت وواجبات الوظيفة ، ولا يسعنا المجال هنا لمناقشة هذه القضية ، ولكن البحث عن حل للمشاكل فى ذاته عمل محمود .

وهكذا تناقش « حواء » مشاكل المرأة العصرية فى ظل علاقات اجتماعية معقدة ، وعلاقات عاطفية مضطربة ، وتحاول المجلة التغلغل فى أغوار النفس للوقوف على بواعث الفعل وبخاصة عند تحليل السلوك الشخصى للمرأة فى أحوال متغيرة ، ولعل باب «استراحة نفسية » الذى يقدمه د . يسرى عبد المحسن له فوائده الجمة .

ولا يفوت المجلة أن تعرض للاوضاع الاقتصادية المؤثرة على الحياة الاجتماعية فتناقش المشاكل السكانية وانعكاسها على التنمية .

وتحاول « حواء » أن تظهر المرأة بمظهر جاد ، فتبين أنها قادرة على أعمال الرجال ، فتعرض للمرأة التى تمارس الأعمال العسكرية ، والمرأة التى تحضر المؤتمرات العالمية ، والنساء الناجحات فى مختلف المجالات ، وغيرهن المناضلات فى سبيل تحرير الأوطان ، ومن هؤلاء النسوة اللائى عرضت لهن المجلة فى باب « يوميات نسائية » الذى تعده نائلة كامل ، السيدة عزيزة رضوان شقيقة الكاتب الكبير فتحى رضوان ، التى قادت مدرسة السنية فى مظاهرة عارمة أثناء ثورة ١٩١٩ ، وفصلت على أثرها من المدرسة .

ولحواء أعداد خاصة مثل أعداد عيد الأم ، والاعداد الخاصة بالعروس وما تقدمه فى هذا المجال من أنواع الازياء ، وعدد « الاعترافات » وهو عبارة عن قصص أو مذكرات تروى فيها المرأة واقعات من حياتها وممارستها ، وتبوح بشىء مما تطويه بين أعطافها . وهناك أقسام خاصة تقدم فيها دراسات جادة تتسم بالعمق حينا وبالطرافة حينا آخر ، مثل القسم الذى تناولت فيه المرأة والحب والجمال والازياء فى مصر الفرعونية واعدته ايمان الحفناوى وآمال عثمان ، والقسم الخاص بالصحة والجمال الذى كتبته ايڤون رياض ورأت فيه « أن الجمال يبدأ من الداخل أى من العناية بالصحة » وتربط فيه بين الذبول والضغط العصبى ، وما تود قوله أن الجمال والحيوية ناتجان عن الصحة النفسية والبدنية .

وبالرغم من اهتمام « حواء » بجمال المرأة ، ورشاقة قوامها ، ونعومة ملمسها ، واشراق وجهها ، وتقديم النصائح المتوالية لها من أجل أن تظل العيون ساحرة صافية ، فإنها لا تعزف دائما على وتر الاغراء ، ولا تنصح المرأة بلفت نظر الرجل إلى جمالها فقط ، وانما تبين لها من خلال دراسة قدمتها نهلة عبد العظيم انها تستطيع أن تجذب الرجل بسحر شخصيتها ، ورجاحة عقلها ، ونضج أفكارها ، ونمو وعيها ، ونظراتها العالية للأمور ، وتقول الكاتبة : « التحضر يتناسب تناسبا عكسيا مع الاغراء فكلما زاد الرقى والتحضر قل الاعتماد على الاغراء والعكس صحيح » وهذا الكلام – لو تم تطبيقه

- يضع المرأة على الطريق السليم لأن النظرات الفاترة ، والألحاظ الفاتنة ، والوجه البهى لا تبقى على حال ، أما الصفات المعنوية التى ذكرتها الكاتبة الفاضلة فإن أثرها يدوم .



رئيسات التحرير :

وتمثل فترة السيدة أمينة السعيد (٥٥ - ١٩٨١) أهم فترات « حواء » لطول المدة، وتأسيس المجلة ، وتكوين جمهور عريض لها ، والتصدى لقضايا اجتماعية حيوية ، وتوجيه الخطاب إلى الرجل والمرأة . وقد كان يعاونها فى كل هذا كوكبة من المحررات والمحررين على رأسهم ربيع غيث .

ثم تأتى فترة السيدة سعاد حلمى (٨١ - ١٩٩١) التى رفدت « حواء » بهمسات صادقة ، ووضعتها فى أجواء دافئة . واهتمت بالطفولة ، وجعلت للدين الحنيف مكانة عالية فيها من خلال باب « فى نور الهدى » الذى كانت تعدة السيدة ناهد سلام ويجيب فيه الشيخ الشعراوى على اسئلة القراء ، وليس هناك ما يسمو بوجدان المرأة اكثر من الدين ، والمرأة المتدينة هى المرأة المتمدنة ، وقد اتجهت المجلة بالجمال نحو الجلال ، وابتعدت عن الاغراء ما أمكن ، حتى الازياء التى عرضتها « حواء » اتسمت بالحشمة ، واتصفت بالوقار ، وكل هذا من عوامل البناء ، ودواعى التحضر ، لأن الانسان كلما عف وسما عن الحاجات العارضة ، كان فى مأمن من السقوط والسفول . كما امتازت هذه الفترة بغزارة المادة الثقافية ، وتنوعها .

أما السيدة ايڤون رياض والتى بدأت فترتها من عام ١٩٩١ فإنها تعمل على تواصل الأجيال وتعالج مشاكل المرأة الشخصية والعاطفية بجرأة ، وتغوص إلى جوهر الأمور ، وتبحث فى النفوس عن عناصر النجاح ، وتحارب العادات الضارة . وتقدم لقطات ثقافية من العالم الخارجى ، وأنه يصعب الحكم على هذه الفترة لأنها فى البدايات ، والسيدة ايڤون من كاتبات « حواء » القدامى والعارفات بالصحافة النسائية ، وينتظر منها الكثير ، وعلى وجه العموم فإنها قدمت « حواء » مفهرسة ورعت فيها النشاط الأدبى ، وأضفت عليها لمسات جمال ورقة ، وجعلتها خلابة الطلعة براقة .

وقد نهض بالمجلة إلى جانب من ذكرناهم ، كتاب عديدون على رأسهم أحمد زكى عبد الحليم .

مجلات الأطفال
سمير ١٩٥٦

أصدرت دار الهلال مجلتى « سمير » و« ميكى » وراعت أثناء إصدارهما :

★ الإكثار من الصـور ، مع تقليل الكلام . وهـذا يعنى أن الصـورة أكثر تعبيرا ولا تحتاج إلى سرد كلامى كثيف .

★ استخدام الفصحى فى الحوار والسرد مما يعوّد الطفل منذ صغره على استعمال اللغة ، وإن كانت هذه اللغة لم تسلم من اللفظ العامى أو الأجنبى الدخيل مثل « هييه براڤو » ..

★ الاعتماد على الصورة الملونة فى الغالب ، وهى أكثر جذبا للأطفال ، وأقوى فعلا فى نفوسهم ، وهذا من شأنه أن يجعلهم أقدر على التمييز بين الألوان منذ الصغر ، والتعرف على دلالة كل لون . وكل ذلك يظهر أن الطفل المعاصر أكثر حظا من مثيله الذى عاش فى أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين .

وقصة إصدار سمير بدأت عندما كانت السيدة ناديا نشأت قد اقتنعت بأهمية إصدار مجلة عصرية للأطفال تنمى مداركهم ، وتتلافى عيوب المجلات السابقة ، فسعت فى هذا إلى أن أقنعت أصحاب الهلال ، وأخذت تعد العدة كذلك ، فأجرت استفتاء لاختيار اسم لمجلتها فكان « سمير » ، ربما لأنه أكثر رقة ، وأدل على مضمون المجلة التى تستند إلى المسامرة ، وأعدت مادة يغلب عليها الاقتباس والترجمة من المجلات الأجنبية ، واستعانت بفنان فرنسى يدعى « برنى » لرسم الشخصية المحورية فى المجلة وهي شخصية سمير ، وأبدع هذا الفنان حتى استطاع أن يبرز فى وجه « سمير » الملامح المميزة للطفل المصرى ، واستطاعت بعد كل ذلك أن تصدر أول عدد فى منتصف أبريل ١٩٥٦ يتكون من ١٦ صفحة .

ولكن ملامح « سمير » لم تثبت على نحو معين فقد أضفى عليه المتفننون المصريون – فيما بعد – من أمثال بهيجة ومحمد أبو طالب وحلمى التونى وعلاء السعيد، وآمال خطاب وهدى المرشدى ، سمات أخرى تجعل الملامح أكثر تعبيرا عن المواقف التى يعرض لها « سمير » . وظلت السيدة ناديا نشأت ترعى المجلة وتغذيها بمبتكراتها وتحل المواد المؤلفة مكان المواد المترجمة شيئا فشيئا حتى استقام شأنها ، وأسلمتها إلى السيدة نتيلة راشد الشهيرة باسم « ماما لبنى » عام ١٩٦٣ .

واسم « ماما لبنى » – على قدر اجتهادى – تمثيل للأمومة الحانية التى ترعى الصغار ، وتحتضنهم وتمنحهم الحنان العاطف ، والدفء المنعش . كما أنه يعتبر امتداداً للأسماء الأبوية التى ظهرت من قبل مثل « بابا صادق » ، « بابا شارو » .

ولما كانت نتيلة راشد أو ماما لبنى متخصصة فى أدب الأطفال ، وحائزة على الجوائز الرفيعة فى هذا المجال فقد نهضت بالمجلة ، وجعلتها فى مصاف المجلات العالية .

ولمجلة « سمير » اهتمامات متنوعة ، فهى لا تقتصر على تقديم المادة القصصية المشوقة ، وإنما تحفل بالمعارف المتعددة التى تساهم فى تكوين الذهن والوجدان ، فنراها تقدم المادة العلمية والثقافية إلى جوار الموضوعات الدينية من خلال باب « أحباب الله » الذى يمد الأطفال بالمعلومات المبسطة عن حياة الأنبياء ، وبعض معانى القرآن الكريم .

ومن الأبواب الأخرى باب « البنات والصبيان » وباب « نادى العلوم » وباب « ستاد سمير » . ولا تنسى المجلة تفكيه الصغار ، والترفيه عنهم من خلال الباب الذى يعده مجدى سعد بالعامية بعنوان « ها . ها . ها » وهو باب يضفى على الطفل مرحا وفرحا وسعادة ، وجدير بالذكر أن حافظ عوض ومحمد مسعود أصدرا مجلة فكاهية فى الثامن من مارس عام ١٩٠٧ تحمل اسم « ها . ها . ها » وكانت تستخدم الفن الهزلى أو الكاريكاتور لجذب القراء . والفارق بين « ها . ها . ها » فى مجلة سمير ، ومجلة حافظ عوض « ها . ها . ها » هـو أن باب سمير موجـه إلى الأطفـال وينأى عن السياسة ، أما مجلة حافظ عوض فهى موجهة إلى الكبار وتعنى بتصوير الشخصيات السياسية بواسطة الكاريكاتور الساخر .

كذلك تنمى مجلة « سمير » فى الصغار الملكة الفنية ، وتدربهم على كيفية التذوق ، واختيار الألوان فترسم لهم عدة مناظر ، أو تصمم لهم رسومات غير ملونة وتحيطهم علما بموضوعها ثم تطلب منهم تلوينها ، وهذا يجعلهم أكثر فطنة ، وأرهف حسا ، وينبه فيهم ملكة الملاحظة ، وينشط قوى المخيلة ، فضلاً عن أنه يكشف عن ذوقهم الفنى ، ويعرب عن حالاتهم النفسية فالألوان فى كثير من الأحيان تمثل الشعور ، وتعبر عن الميول . وعلى أية حال فإن هذا الباب يدرب الطفل على تجسيم الفكرة فى شكل وصورة .

وإذا كانت « سمير » تعمل على التربية العقلية والنفسية ، فإنها تعمل كذلك على التربية الصحية ، من خلال الحركة البدنية التى تجعل الجسم مرنا معتدلا نشيطا ،

فتشجعهم على الألعاب الرياضية التى تعمل على إلانة الأعضاء ، وتسهيل التنفس والإخراج ، بل تبين المجلة أن أنواعا من الرياضة مثل ركوب الدراجات تحرك العظام والغضاريف مما يقلل من آلام الروماتيزم ، فهى تقدم لهم الرياضة كدواء أو علاج لبعض الأمراض .

وتقيم « سمير » علائق ودية بينها وبين قرائها الأطفال فتنظم لهم المسابقات ، وتحفزهم إلى الدخول فيها بمنحهم الجوائز ، كذلك تحاورهم بتلقى رسائلهم والرد عليها ، أو بنشر صورهم ، أو بذكر أسمائهم وهواياتهم ، ووصلت فى هذا حدا بعيدا فجعلت بعضهم مراسلين صحفيين لهم بطاقات عضوية ، وتقوم بتدريبهم على بعض الأعمال الصحفية ، وأعدت لهذا بابا دعته « باب المراسل الصحفى الناشئ » .

ومجلة « سمير » ليست مجلة مكونة من أربع وأربعين صفحة ، وإنما هى عدة مجلات متداخلة ، فهناك العدد الشهرى المميز ، وملحق العدد الشهرى « جريدة وسام » وهـــو عبارة عن جريدة للأطفـال صـــدرت فى البدايات منفصلة ، وسرعان ما ألحقت بالمجلة ، وإلى جانب ذلك تخصص للطفل الصغير ملحقا مكونا من ثماني صفحات يتضمن أقوالا مرحة ، وأخرى ناصحة ومرشدة . وهناك ملحق آخر باسم جبلاية القرود أقل فى عدد الصفحات من سابقه تغلب عليه الرسوم الملونة ، كما تقدم سمير صفحات أخرى تلخص فيها بعض الروايات العالمية بأسلوب بسيط ويمكن ضم بعضها إلى بعض أو جمعها فى كتاب صغير الحجم ، عدا « كابتن سمير » وهو مجلة شهرية تتجاوز صفحاتها الثمانين ، وتصدر أعداداً خاصة ، كل عدد يعنى بموضوع علمى أو أدبى مثل الفلك ، والخيال العلمى ، والكمبيوتر ، والموسيقى ، والأدب العالمى .

★★★

مجلة ميكى (١٩٥٩)

وتشبه مجلة « ميكى » سابقتها فى نواح كثيرة ، ولكنها تختلف فى أن توابعها تصدر منفصلة عنها ، وفى أن معديها ينكرون ذواتهم ، ويغفلون أسماءهم ، وأنها أكثر استخداما للعامية من « سمير » والشخصـية الرئيسية فيهـا تأخـــذ أسمـاء متنوعة مثل بطوط ، وعبقرينو ، وبندق أو دهب ، وهى شخصيات والت ديزنى المميزة بالرسم الفنى المتقن .

وتقدم ميكى قصصا قصيرة مفيدة مثل قصة « العمل الطيب » والتى تظهر أن الفعل الطيب يعود على صاحبه بالخير والأمان ، وأن الأشرار مصيرهم إلى غيابات

السجون ، وتتضمن عناصر القصص من تشويق ومفاجأة ، وعقدة وحل ، وتتميز بالبساطة والعرض اللطيف ، وقد تطول القصة القصيرة بعض الشئ فى « سوبر ميكى » مثل قصة « العروسة نونسة » مع احتفاظها بدقة السرد ، وجمال العرض ، وقوة الجذب إلى جانب بروز الغرض منها .

وتتضمن موادها المغامرات التى تعلم الطفل الشجاعة ، ووجه فائدة قصص المغامرات أنها تحاول إخراج الطفل عن دائرة الهدوء والانصياع لأوامر الأسرة والحذر الشديد ، والإرشادات التى تجعله طفلا مقيدا متحفظا بعيدا عن الانطلاق والوثب . وهذه المغامرات تعلم الطفل الحيلة ، وتمنحه الثقة ، وتعده لملاقاة الأخطار فى الحياة . ولكن حكايات المغامرات يجب أن تقف عند درجة معينة ، لأنها لو زادت عن الحد ، فإنها تبعث الخوف وينجم عنها التوتر ، وتسبب المتاعب المختلفة ، وقد لاحظنا فى القدر الذى وقفنا عليه من مغامرات « ميكى » أنه أكثر إثارة للخيال ، فبعضه يحدث فى الفضاء ، أو بواسطة السحر ، أو من خلال رحلات .

وتثير « سوبر ميكى » غريزة حب الاستطلاع لدى الأطفال من خلال « كتيب الكشافة » الذى يزودهم بمعارف عن وسائل الارتياد ، ويدفعهم إلى البحث عن المجهول ، فيحدثهم هذا الكتيب عن الدراجة البخارية وقصة اختراعها ، والزحافات الهوائية والآلات المزودة بعقول الكترونية ، وكيفية استعمالها والانتفاع بها . وهذا الباب مفيد لأنه يحوّل ميول الطفل عن التخريب والإتلاف إلى الاستطلاع والاستكشاف ، ويعمل على تفتيح ملكاته المستغلقة ، ويجعل الطاقة الفائضة عنده تتحول إلى عمل بناء يعينه على تفهم أوجه الحياة وإدراك خوافيها ، فضلا عن أن الاستطلاعات والاستكشافات تحيل الانطواء والكبت فى بعضهم إلى انطلاق ونشاط .

وتمد « ميكى » قراءها الأطفال بمعلومات علمية توسع مداركهم ، وترتفع بثقافتهم ، وتراعى فى ذلك أن تكون مسايرة للمخترعات الحديثة ، فتعرفهم بكيفية عمل التلفزيون وخطوات اختراع الترانزستور ، وتقدم لهم معارف عن كاميرات الڤيديو . وتمد نطاق معلوماتها إلى العلوم الاجتماعية مثل الجغرافيا فتورد نبذا عن المدن ، وترسم خرائط لبعض الجزر أو الدول وتطلب من الأطفال ذكر أسمائها .

ولمجلة « ميكى » أشكال مختلفة منها :

★« ميكى » التى صدرت شهرية فى يناير ١٩٥٩ ثم صارت أسبوعية منذ يناير ١٩٦٢ ، وتزايدت صفحاتها مع الأيام حتى بلغت أربعا وأربعين صفحة .

★ و « سوبر ميكى » التى تصدر فى الخميس الثالث من كل شهر بزيادة عدد الصفحات ، وسعة فى الموضوعات ، وتتيح الفرصة لبعض الأطفال لنشر آرائهم فيها .

★ و « ميكى جيب » وهى عبارة عن كتيب بحجم الجيب يقع فى نحو مائتى صفحة ، وتشتمل على أبواب عديدة ، كل باب منها يقوى جانبا فى الطفل ، ويشبع ميوله ، ويهذب من سلوكه . وصدرت فى أول أغسطس ١٩٧٦ .

★ و « موسوعة ميكى جيب » وتأتى على شكل بطاقات ملونة تحمل المعارف المفيدة ، والطرائف اللطيفة ، ولا شك فى أن أطفال ميكى يعرفون أفضال عفت ناصر رئيسة التحرير لجهودها الموصولة فى سبيل إسعادهم .

وقد عملت مجلات الأطفال الصادرة عن دار الهلال على ترقية الطفل ، وتوسيع آفاقه ، وتحويل طاقاته الزائدة إلى أنشطة ثقافية نافعة ، وساهمت فى بنائه المادى والروحى ، وإعانته على تفهم كثير من الأشياء التى يقع نظره عليها فى البيت أو الشارع أو المدرسة .

إصدارات أخرى
عن مؤسسة دار الهلال

وقد أصدرت مؤسسة دار الهلال عدة مجلات أخرى شهرية لها طابعها المميز وهى :

★ طبيبك الخاص (١٩٦١)

★ كتاب الهلال (١٩٥١)

★ روايات الهلال (١٩٤٩)

★ الكتاب الطبى (١٩٨١)

وهذا بخلاف قائمة طويلة من المطبوعات الخاصة والكتب المهمة .

أحمد حسين الطماوى

الفهـــــــرس

الشركة القابضة للصناعات المعدنية

الصناعات المعدنية هى عصب التصنيع فى مصر وبالتالى حركة التنمية لأن كل الصناعات وكل القطاعات المختلفة تعتمد على منتجاتها . وقد أدركت مصر منذ البداية أهمية هذه الصناعات فأنشأت قلاع الحديد والصلب والألومنيوم وغيرها من الشركات وفى كل الخطط الخمسية تحظى هذه الصناعات بالدعم والاستثمارات المطلوبة لزيادة الطاقات الانتاجية لسد احتياجات البلاد وتصدير الفائض .

وتقوم عشر شركات تتبع الشركة القابضة للصناعات المعدنية بإنتاج العديد من السلع فى إطار نشاطين أساسيين هما :

* صناعة المعادن الحديدية وتشمل :

- استغلال خامات الحديد والخامات المساعدة لاستخلاص الحديد وتحويله إلى كتل صلب .
- تشكيل كتل الصلب بالدرفلة إلى قطاعات وألواح وشرائط .
- تشكيل الكتل إلى حديد تسليح للمبانى .
- صناعة وإنتاج الأسلاك والحبال والشنابر .
- إنتاج المواسير الصلب والمواسير الزهر للأعمال الصحية والضغط العالى .
- إنتاج مسبوكات الزهر الرمادى ومسبوكات الحديد الزهر المطروق ومسبوكات الصلب والسلاسل والعدد اليدوية .

* صناعة المعادن غير الحديدية وتشمل :

- إنتاج النحاس الأحمر والأصفر والبرونز وتشكيله إلى قطاعات وألواح .
- إنتاج الألومنيوم وتشكيله إلى قطاعات وألواح ورقائق وأوانى منزلية .
- إنتاج الرصاص وتشكيله إلى مواسير وألواح وإنتاج أكاسيد الرصاص .
- إنتاج المسبوكات الزنك والألومنيوم .



مع تحيات الكيميائى **عادل الدنف**

رئيس مجلس إدارة

الشركة القابضة للصناعات المعدنية

شركة الحديد والصلب المصرية

هذه الشركة هى قلعة الصناعات الثقيلة فى مصر والشرق الأوسط وهى جامعة لصناعة الحديد والصلب ، يمثل إنتاجها أهمية استراتيجية كبيرة لكافة القطاعات وتضم الشركة عدة مصانع متكاملة فى مجال صناعة الحديد والصلب التى تعتمد على خامات محلية يتم استخراجها من مناجم حديد الواحات البحرية .

وقد دخلت الشركة مجال التصدير لما تتمتع به منتجاتها فى الأسواق العالمية إذ تصدر إنتاجها إلى أمريكا – انجلترا – إيطاليا – بلجيكا – السعودية – الكويت – تونس – المغرب – زمبابوى – السودان .

وتتنوع تشكيلة الإنتاج كالتالى :

أولا : خامات ومواد أولية ومنتجات ثانوية

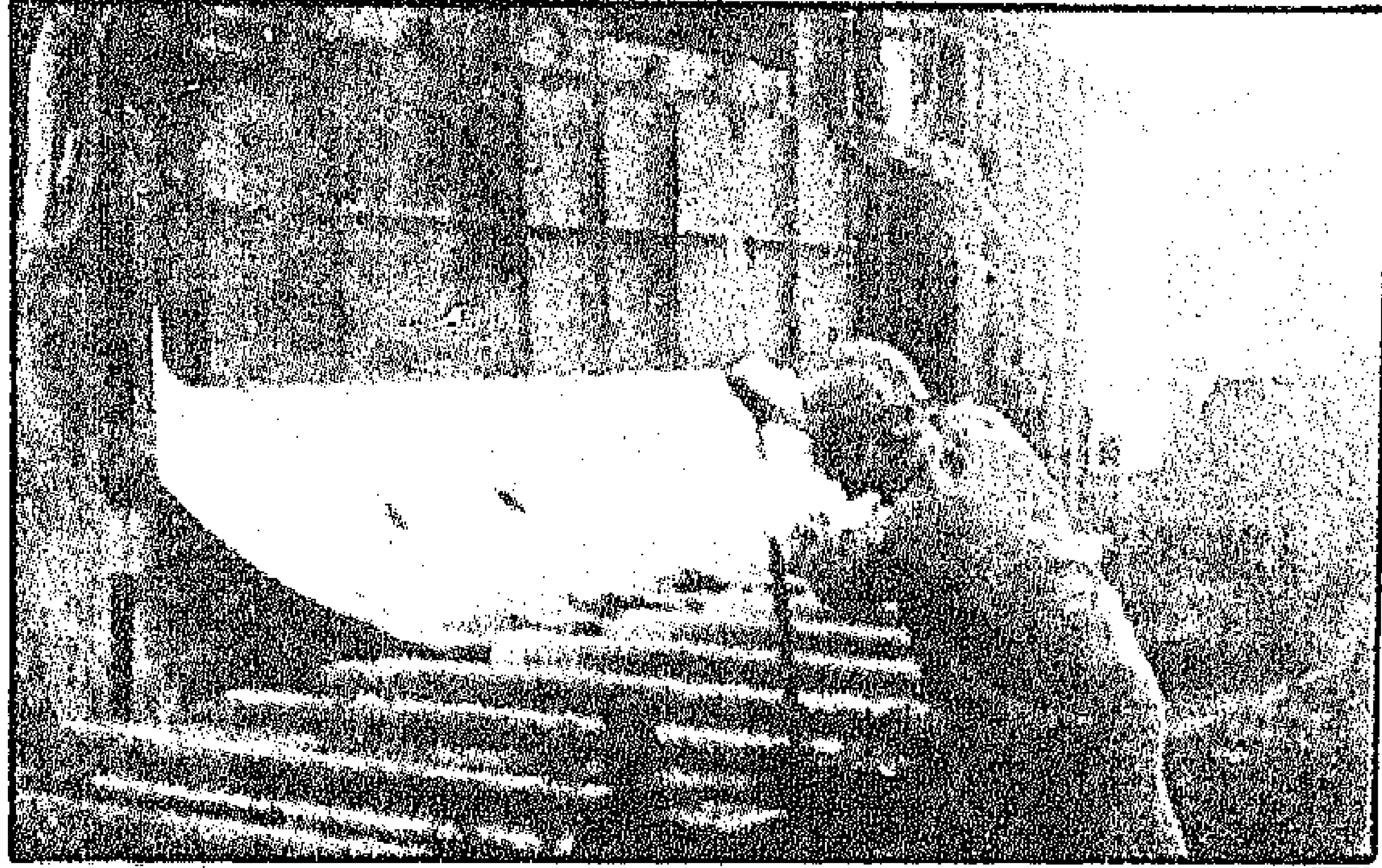
ثانيا : خامات صلب نصف مشكلة :

– كتل من إنتاج المسابك أو أفران الكهرباء بوزن حتى ٤ أطنان للكتلة .
– مربعات إنتاج الصب المستمر تخانة من ١٤٠ حتى ٢٠٠ مم وطول حتى ٦ أمتار .
– بلاطات إنتاج الصب المستمر تخانة من ١٥٠ حتى ٢٠٠ مم وعرض من ٦٥٠ حتى ١٠٤٠ مم وأطوال حتى ٦ أمتار .

ثالثا : منتجات درفلة القطاعات والألواح :

رابعا : منتجات درفلة الشرائط :

– لفائف مدرفلة على الساخن : تخانة من ٢ – ٨ مم وعرض حتى ١٠٥٠ مم ووزن حتى ٨ أطنان .
– مشقوقات مدرفلة على الساخن : تخانة من ٢ – ٦.٣٥مم وعرض من ٧٢ حتى ١٠٠٠ مم .
– ألواح مدرفلة على الساخن: تخانة من ٣–٧ مم وعرض ١.٠ متر وطول حتى ٦ أمتار.
– ألواح بقلاوة : تخانة من ٤–٧ مم وعرض ١.٠ متر وطول حتى ٦ أمتار .
– مشقوقات ولفائف مدرفلة على البارد: تخانة من ٠.٤ – ٢.٥ مم وعرض حتى ١ متر.
– صاج مدرفل على البارد : تخانة من ٠.٤ – ٢.٥ مم عرض ١.٠ متر وطول حتى ٤ أمتار .



خامسا : قطاعات مشكلة على البارد :

– زاويا متساوية .
– مصدات طرق .
– كمر مجرى .
– كمر مجرى بشفة خارجية .

شركة مصر للألومنيوم

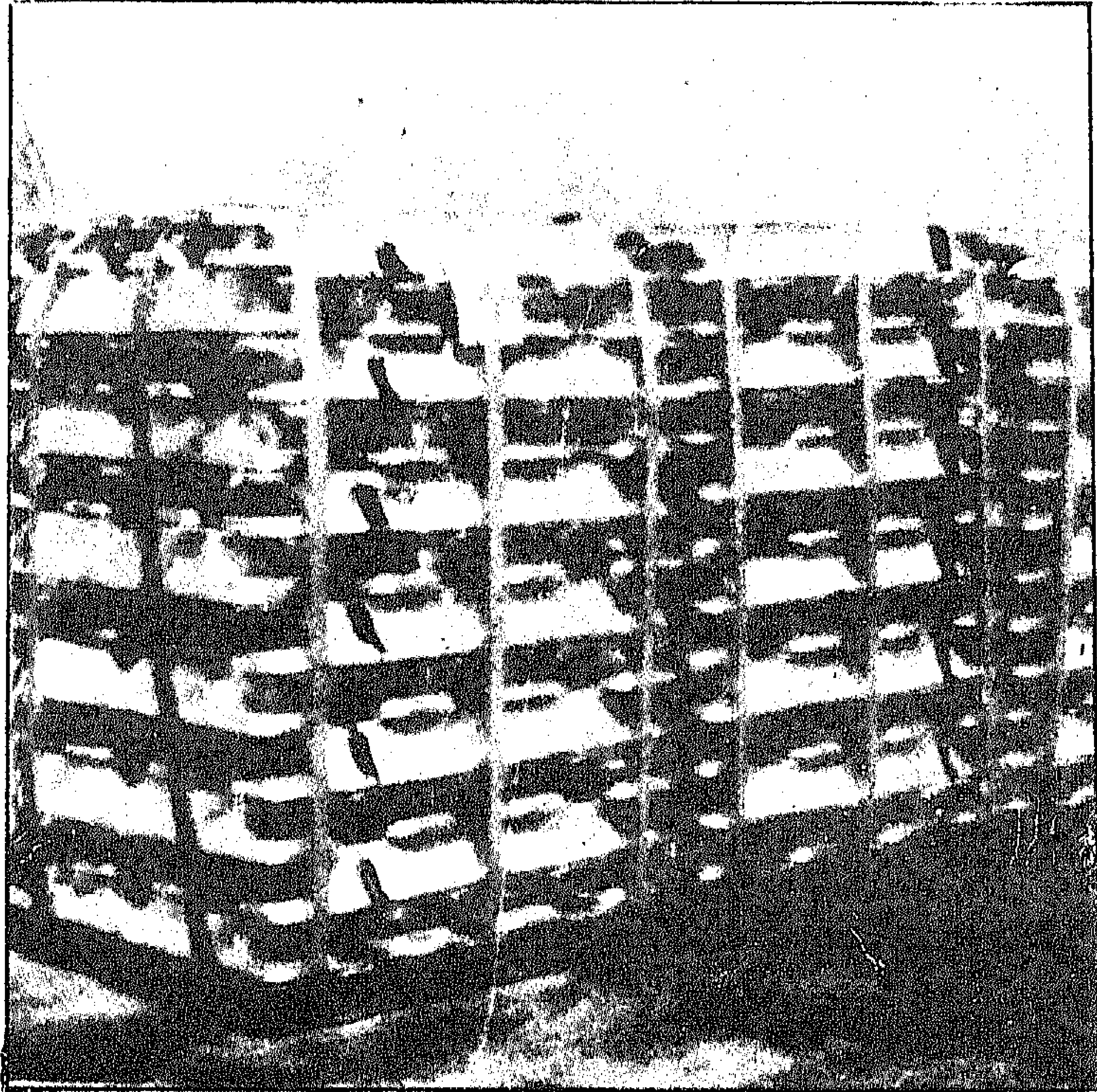
هذه الشركة إحدى قلاع الصناعات الثقيلة فى مصر التى أسهمت بدور اقتصادى واجتماعى على المستوى الاقتصادى تساهم فى توفير العملة الصعبة لمصر .

وعلى مستوى الدور الاجتماعى فقد أدى قيام شركة مصر للألومنيوم على تعمير منطقة صحراوية فى صعيد مصر .. كانت هذه المنطقة صحراد جرداء لا حياة فيها ولا ماء وقد أصبحت منذ إنشاء مجمع الألومنيوم مجتمعا حضاريا متكاملا .

ويتبع الشركة مدينة الألومنيوم وهى مجتمع متكامل للعاملين فى الشركة .

وتنتج الشركة معدن الألومنيوم فى شكل .. أسلاك - بلاطات - سلندرات - سبائك متنوعة . وفى حالة المعدن غير المشكل فإنه يتم إنتاج قوالب وكتل .

ويتم تصدير إنتاج الألومنيوم الذى يتمتع بدرجة نقاوة عالية إلى الدول العربية والأوروبية والدول الآسيوية والأمريكية إذ يتمتع الألومنيوم المصرى بسمعة عالية فى السوق العالمية .



شركة النصر لصناعة المواسير الصلب ولوازمها

هذه الشركة واحدة من قلاع الصناعات الثقيلة فى مصر ورائدة صناعة المواسير .. وتضم الشركة ثلاثة قطاعات صناعية ذات كفاءة عالية هى :

- قطاع المواسير الملحومة طوليا .
- قطاع المواسير الملحومة حلزونيا .
- قطاع المسابك .

أولا : قطاع المواسير الملحومة طوليا :

١ - مصانع المواسير الطولية والسحب على الساخن يقوم بإنتاج المواسير الملحومة طوليا من ٣/٨ بوصة إلى ٤ بوصات .

الطاقة الإنتاجية : ١٠٠ ألف طن سنويا .

٢ - مصنع جلفنة المواسير :

يقوم بجلفنة المواسير الملحومة طوليا من ١/٤ بوصة إلى ٤ بوصات .

الطاقة الإنتاجية : ٦٠٠٠٠ طن مواسير مجلفنة سنويا .

ثانيا : قطاع المواسير الملحومة حلزونيا :

١ - مصنع المواسير الحلزونية للأغراض العامة . وفيه يتم إنتاج مواسير ملحومة حلزونيا بأقطار من ٦ إلى ٢٤ بوصة بطاقة إنتاجية قدرها ١٢٠٠٠ طن سنويا .

٢ - مصنع المواسير الحلزونية الجديد : ويقوم هذا المصنع بإنتاج مواسير ملحومة حلزونيا لقطاع البترول بأقطار من ٦ بوصات إلى ٤٨ بوصة ، وطاقتة الإنتاجية ٣٠.٠٠٠ طن سنويا .

٣ - مصنع حماية المواسير : أقامت الشركة بالاشتراك مع شركة (تيسن) ألمانيا الغربية مصنعا لحماية المواسير الحلزونية بالبيتومين والصوف الزجاجى لحماية المواسير من الداخل والخارج لتكون مطابقة للمواصفات الأمريكية .

ثالثا : قطاع المسابك :

١ - مصنع اللوازم الصغيرة .

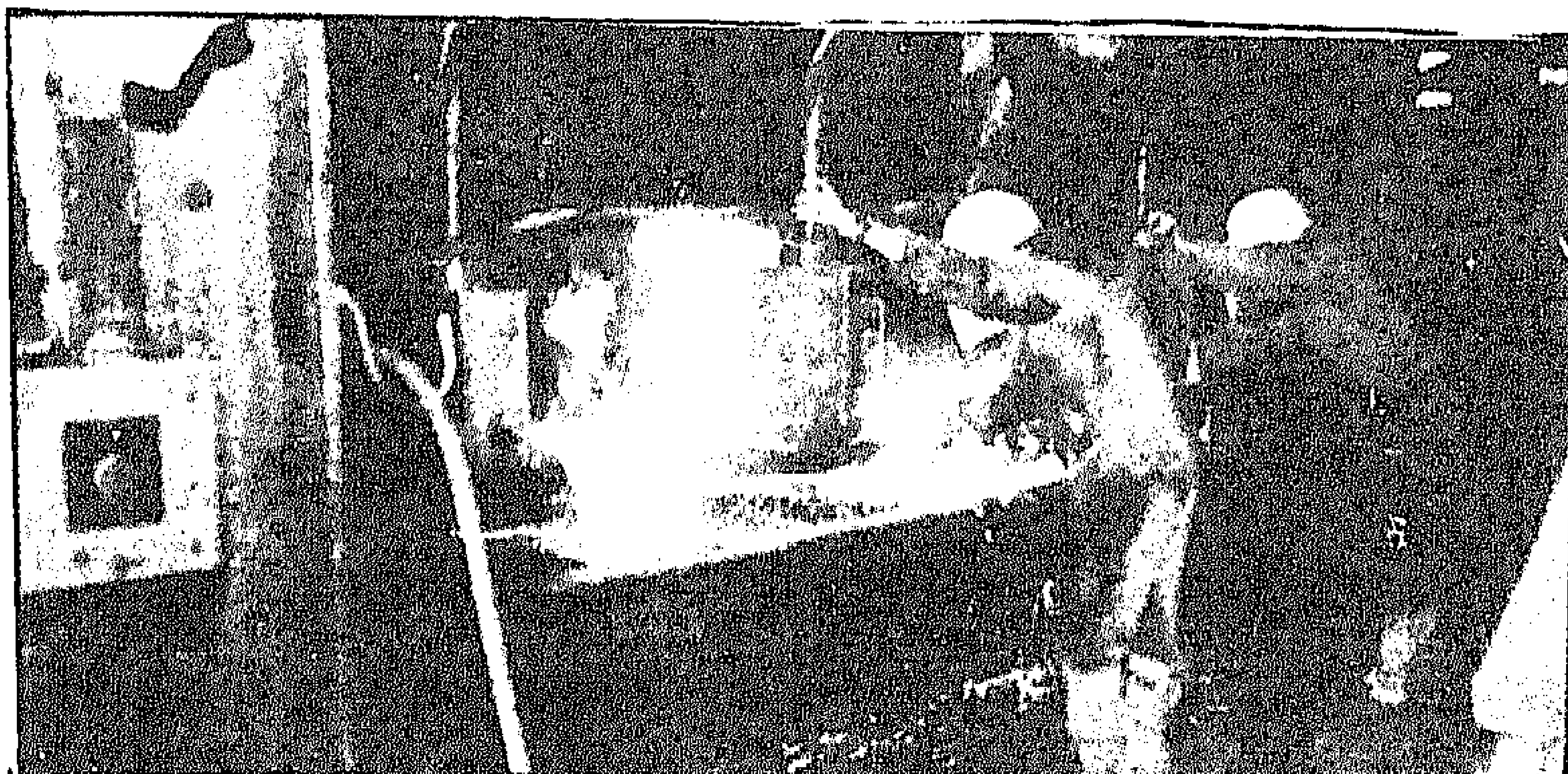
٢ - مصنع اللوازم الكبيرة .

٣ - مصنع قطع الغيار .

وبالنسبة للتصدير فإن الشركة تقوم بتصدير إنتاجها إلى العديد من الدول الأوربية وشركات البترول الأمريكية وبعض الدول العربية .



شــــركة النحـــاس المصــــرية



هذه الشركة من قلاع الصناعات الثقيلة فى مصر والشرق الأوسط .. وتنتج المعادن الحديدية والمعادن غير الحديدية .

ويتنوع إنتاجها بدرجة كبيرة لسد احتياجات السوق المحلية وتصدير الفائض .

منتجات حديدية :

- حديد التسليح – فى الأعمال الإنشائية .
- الدرافيل والمسبوكات – فى الأغراض الصناعية .
- الحبال الصلب – فى الأوناش والكراكات والأعمال البحرية وحفر آبار البترول .
- الأسلاك .
- صناعة المسامير والصوب الزراعية والرباط والأعمال المعمارية .
- النسيج المعدنى – فى الأغراض المعمارية والصناعية .
- شنابر حزم البال – فى حزم البالات وعزل الكبالات الكهربائية .

منتجات غير حديدية :

- النحاس الأحمر والسبائك .
- مدرفلات على شكل ألواح وأقراص فى الأغراض الصناعية .
- مسحوبات على شكل أسلاك وخوص ومواسير وشبكات وأشكال فى أغراض الصناعة المختلفة .
- الألومنيوم : مدرفل على هيئة أقراص وألواح ورقائق والورد للاستعمال فى الأغراض الصناعية والأوانى المنزلية والتغليف والعبوات .

شـــركة مصـــانع الدلتا للصلب

هذه الشركة تعد من الشركات الرائدة فى مصر فى مجال صناعة الصلب والزهر باختلاف أنواعه .

تنتج الشركة سنويا ما قيمته حوالى ٥٥ مليون جنيه من حديد التسليح والصلب المبروم والخاص والأسلاك العادية والمخصوصة والشبك الملحوم ومسبوكات الصلب والزهر بأنواعها ومواسير الزهر الصحى للإسكان .

وفى إطار الجهود المبذولة والمستمرة لتحسين وتطوير الإنتاج كما ونوعا فقد شهدت الشركة خلال الخطة الخمسية الأولى إنجازات على رأسها مشروع الشبك الملحوم ومشروعات إحلال وتجديد تشمل الصب المستمر والدرفلة وأفران الصهر بالمسابك . ويشمل الإنتاج :

حديد تسليح لأغراض الخرسانة المسلحة :

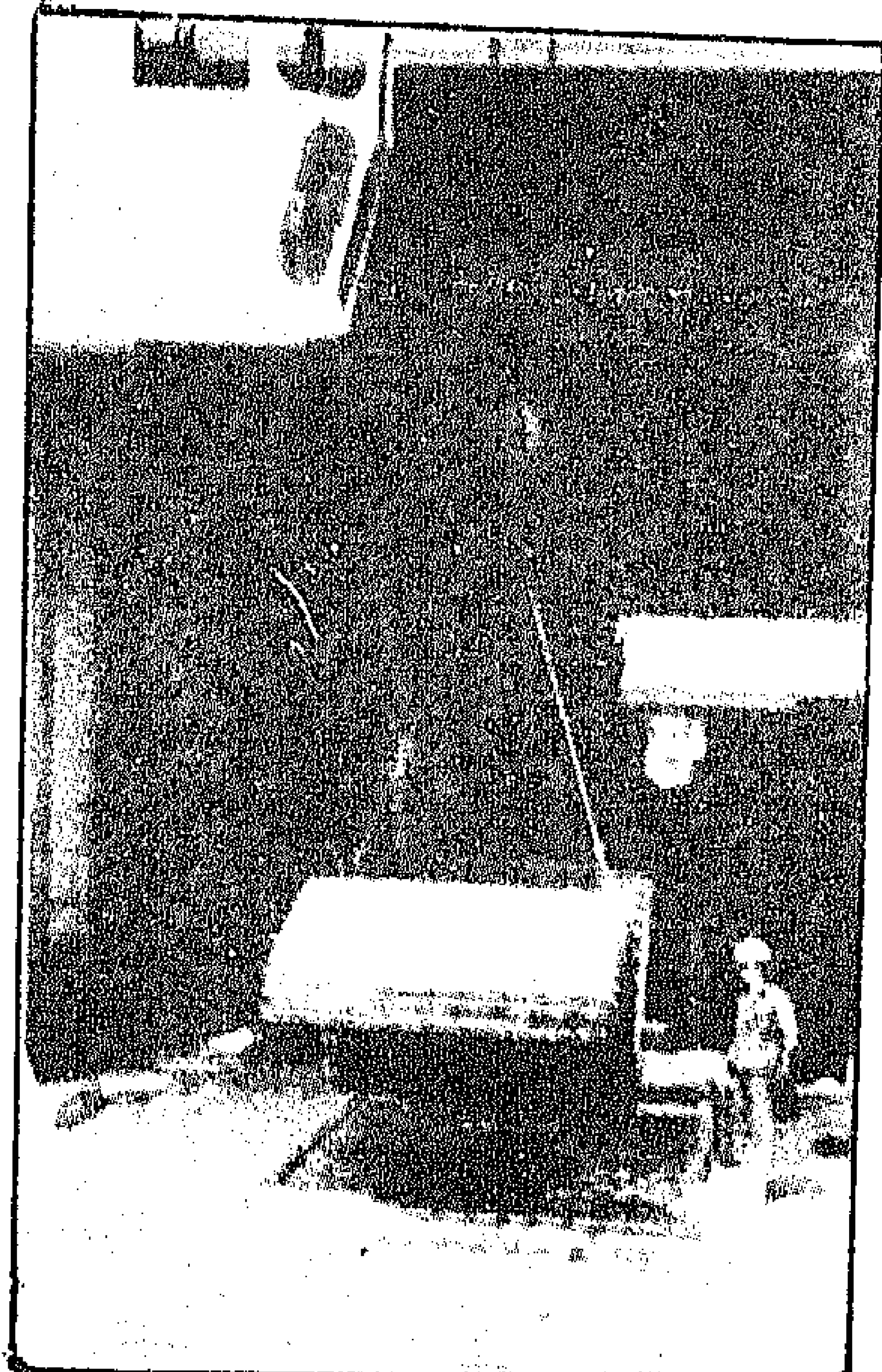
- صلب ٣٧ مبروم .
- صلب ٥٢ مبروم وعالى المقاومة .
- الشبك الملحوم .

الأسلاك اللامعة والمخصوصة :

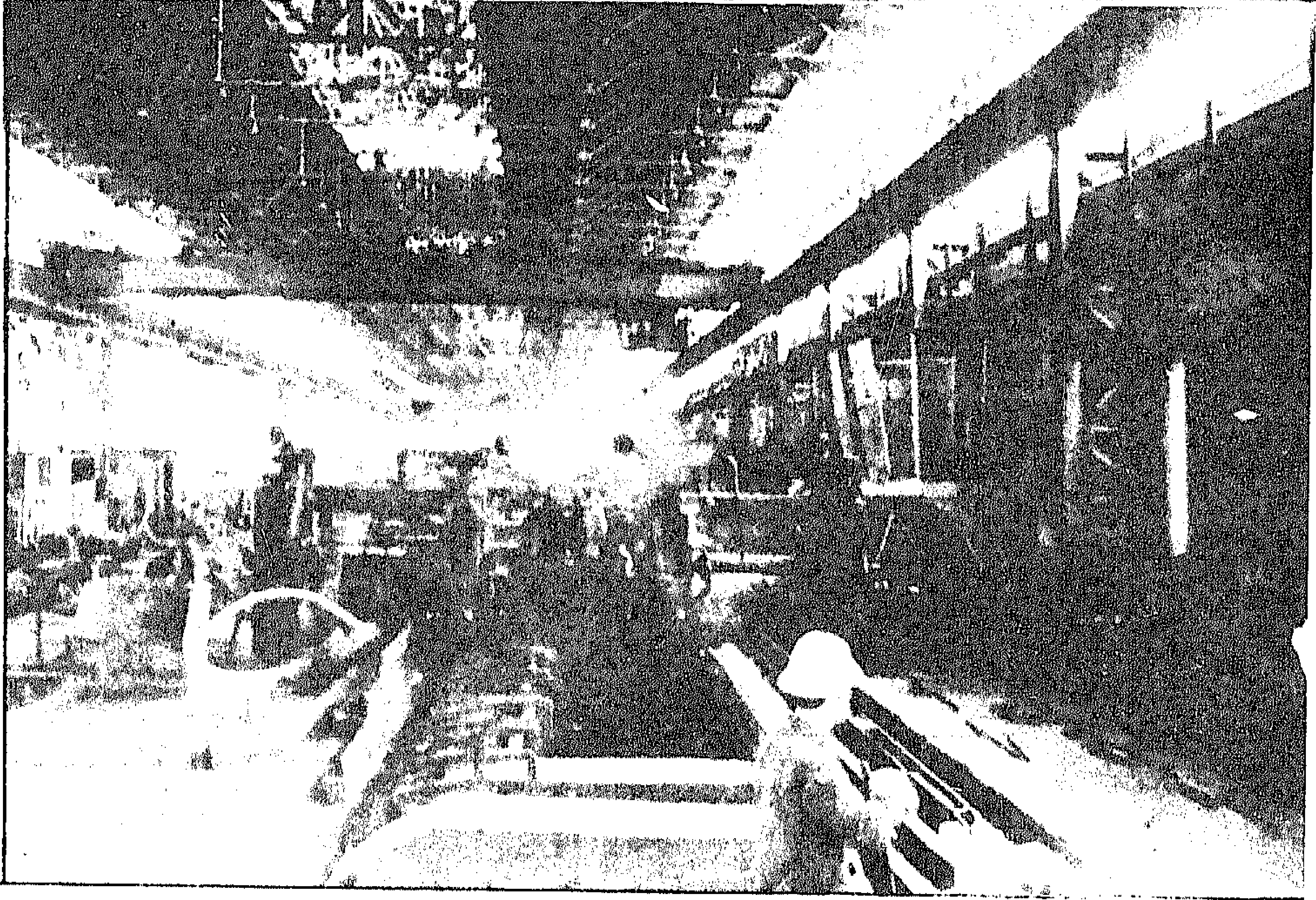
- أسلاك لامعة لصناعة المسمار .
- ترمسيون وشوماج للأغراض الهندسية والميكانيكية .
- أسلاك لأغراض اللحام .
- أسـلاك مخمرة لأغـراض الرباط للخرسانة المسلحة .

المسبوكات :

- مسبوكات صلب مقاوم للتآكل وكربونى .
- مسبوكات الزهر الرمادى والكربونى .
- صمامات صلب بوابة .
- مواسير الزهر الصحى .



الشركة الأهلية للصناعات المعدنية



هذه الشركة رائدة شركات حديد التسليح وأولى الشركات التى أدخلت صناعته فى مصر إذ تأسست عام ١٩٤٦ .. وكذلك هى أولى الشركات المنتجة لحديد التسليح فى الشرق الأوسط.. كما أنها الشركة المصرية الوحيدة المتخصصة فى هذا الإنتاج وهى أولى الشركات التى أنتجت حديد التسليح المعروف باسم «تورستيل» الذى يحقق وفرا فى كمية الحديدالمستخدم فى عمليات التسليح بنسبة ٣٠٪ .

وتشمل المنتجات :

- كتل صلب B. S. 13 للقطاعات والألواح .
- كتل صلب ٣٧ .
- كتل صلب ٥٢ .
- أسياخ صلب ٣٧ .

أقطار ٨ مم ، ١٣ مم ، ١٦ مم ، ١٩ مم ، ٢٥ مم ، ٢٨ مم ، ٣٢ مم ، ٣٨ مم .

- أسياخ صلب ٥٢ .

أقطار ١٣ مم ، ١٦ مم ، ١٩ مم ، ٢٥ مم .

شركة النصر لصناعة المطروقات

هذه الشركة من قلاع الصناعات الثقيلة المتخصصة فى المطروقات التى تعتمد عليها كثير من الصناعات الأساسية .

وتضم عدة مصانع متخصصة هى : مصنع التقطيع والتجهيز ، مصنع السلاسل وملحقاتها ، مصنع الطرق بالأسطمبات ، مصنع الطرق الحر ، مصنع المعالجة الحرارية ، مصنع التشطيب ، مصنع الاسطمبات .

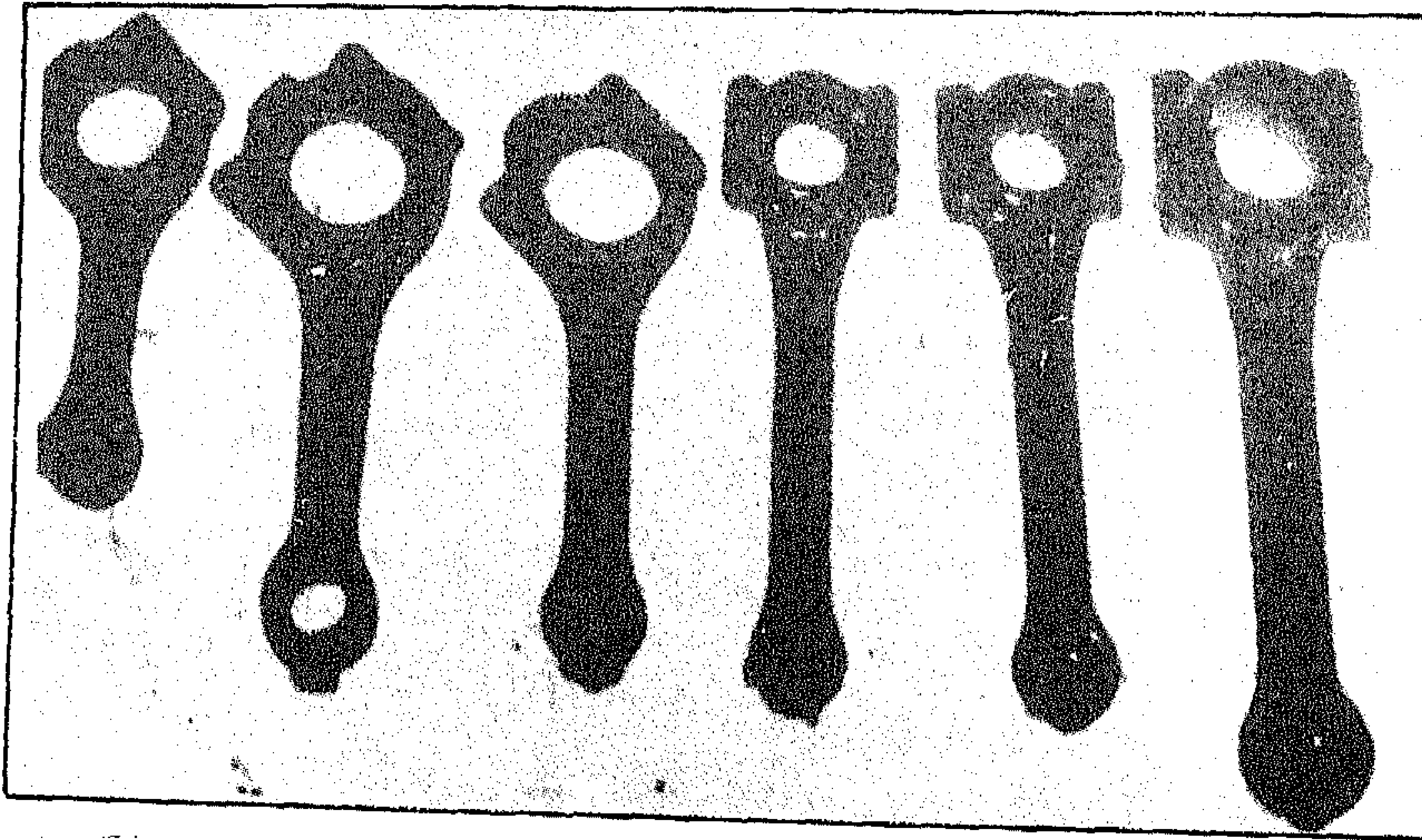
* وتقوم الشركة بإنتاج جميع أنواع المطروقات اللازمة للصناعات المختلفة مثل صناعة السيارات (لوارى ، أوتوبيسات ، جرارات) ومحركات الديزل والموتوسيكلات والدراجات والأدوات الزراعية ومعدات السفن وفلنسات البترول والسلاسل وملحقاتها وآلات الورش والاسطمبات اللازمة لمختلف الصناعات .

أما ورش الحدادة الحرة فهى مجهزة لإنتاج جميع أنواع قطع الغيار مثل التروس والكرنكات وأعمدة الإدارة لوزن قدره ٥٠٠ كجم للقطعة .

وتمثل العدد اليدوية بمختلف أنواعها إحدى منتجات المصانع مثل المفاتيح البلدى والصندوق والشواكيش والمرزبات ومقصات الصاج بالإضافة إلى معدات السكك الحديدية مثل الخطاطيف والأكسات والتصادمات ووصلات الجر .. إلخ .

كما تقوم الشركة بتصدير كثير من المنتجات إلى البلاد الأوروبية مثل الكرنكات المختلفة وآلات الورش والعدد اليدوية والتى حازت رضاء العملاء العريقين فى الصناعة .

وتقوم الشركة بتصنيع جميع أنواع الجنازير لشركات الأسمنت والحديد والصلب والسكر والصرف المغطى .



شركة النصر للمسبوكات

هذه الشركة رائدة صناعة المسبوكات فى مصر وتملك طاقات إنتاجية كبيرة إذ يشمل إنتاجها :

المواسير :

- مواسير ضغط عالى لخطوط المياه والصرف الصحى بأطوال ٥ مترات وأقطار من ١٠٠ - ٣٠٠ مم معالجة حراريا ، وذلك بطاقة ١٥ ألف طن سنويا .
- مواسير الصرف الصحى بأطوال حتى ٣ أمتار وأقطار من ٥٠ - ١٢٥ مم ، وهى تنتج بطريقة القلب الساخن التى تمتاز بعدم الحاجة إلى إجراء المعالجة الحرارية للمواسير المنتجة بها .. ويتم إنتاج ٣ آلاف طن سنويا .
- مواسير زهر مرن بأطوال وأقطار من ١٠٠ - ١٠٠٠ مم ، ويتم إنتاج ٤٧ ألف طن سنويا .
- القطع الخاصة لخطوط مواسير الزهر الضغط العالى بأقطار من ١٠٠ - ١٥٠٠ مم مختبرة هيدروليكيا ومغطاة بالبتومين طبقا للمواصفات القياسية .

المسبوكات :

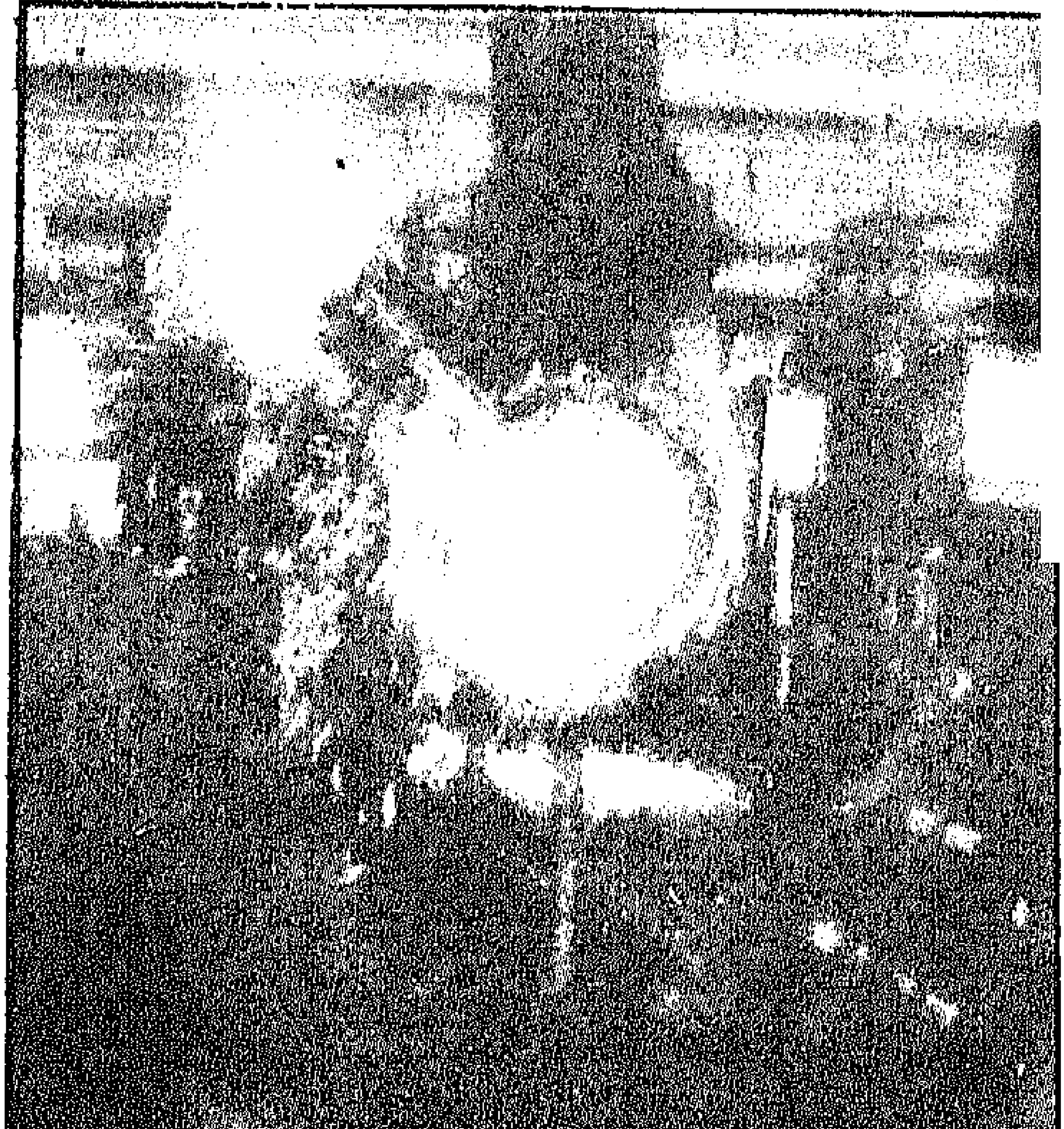
- تقوم الشركة بالوفاء باحتياجات شركة الصلب من قوالب الصب بأوزان من ٣٥٠ كجم حتى ٥ أطنان للقالب الواحد وكذلك حلل الجلخ وأم المصبات وبلكات الصب المستمر وقواعد الصب والشابلونات وقواعد محولات توماس وأجزاء من الماكينة الثلاثية لدرفلة الشرائط يصل وزن الجزء إلى ٢٢ طنا .
- إنتاج قباقيب الفرامل الخاصة لعربات السكك الحديدية وأجزاء اللوارى والجرارات وطنابير فرامل السيارات والأوتوبيس واللوريات الخاصة بقطع النقل والمواصلات .
- إنتاج احتياجات قطاع الكهرباء من بوطات وكوفريهات وصناديق التوصيلات وغيرها .

أنواع متميزة من الدرافيل :

تنتج مسابكنا أنواعا متميزة من الدرافيل المستخدمة فى الصناعات الأساسية للفلزات الحديدية وغير الحديدية وكذلك فى صناعات الأغذية والبلاستيك والورق وغيرها ، ويمثل الأداء المتميز لهذه الدرافيل حصيلة شوط طويل من البحث والتطوير الذى يهدف لإنتاج درافيل عالية الجودة تسهم بدورها فى رفع إنتاجية وحدات الدرفلة التى تستخدم بها .

درافيل الزهر المرن :

تعتبر شركة النصر للمسبوكات هى الشركة الوحيدة بالجمهورية التى قامت بإنتاج درافيل الزهر المرن المستخدمة فى درفلة الصلب .



الشـــركة العــامة للمعــادن

هذه الشركة رائدة إنتاج المعادن غير الحديدية على مدى أربعين عاما (الألومنيوم - الزنك - الرصاص - النحاس - القصدير - المعادن الثمينة) .

ويتنوع إنتاج الشركة ليشمل :

- الـــدرفلة ٧٨٠٠ طن (مدرفـلات - أقراص - ألواح) زنك ألومنيـوم - أحمـر - أصـــفر - رصاص .
- الصب والدرفلة : ٦٠٠٠ طن (مدرفلات ألومنيوم).
- تكرير النحاس الكهربائى ١٣٥٠ طنا (كاتود نحاس أحمر) .
- سحب الأسلاك ٢١٥٠ طنا (أسلاك نحاس من ٨ مم - ٠,٣ مم) .
- مسابك النحاس والزنك : ٧١٠٠ طن (سبائك نحاس - قوالب نحاس - قوالب زنك) .
- أكاسيد الرصاص : ٣١٠٠ طن (رمادى ، أحمر) .
- مكابس مواسير رصاص : ١٦٠٠ طن (مواسير رصاص وأختام وقوائم) .
- مسابك الرصاص : ٧٢٠٠ طن (قوالب رصاص انتيمونى زرنيخى ، سبائك رصاص) .
- مسبوكات ألومنيوم : ٦٥٠ طنا (قطع غيار سيارات - ماكينات - أجهزة منزلية ... إلخ) .

لتصل الطاقة الإجمالية ٣٦٩٥٠ طنا يساوى ٣٧٠٠٠ طن .

وتقوم الشركة بتصدير إنتاجها إلى :

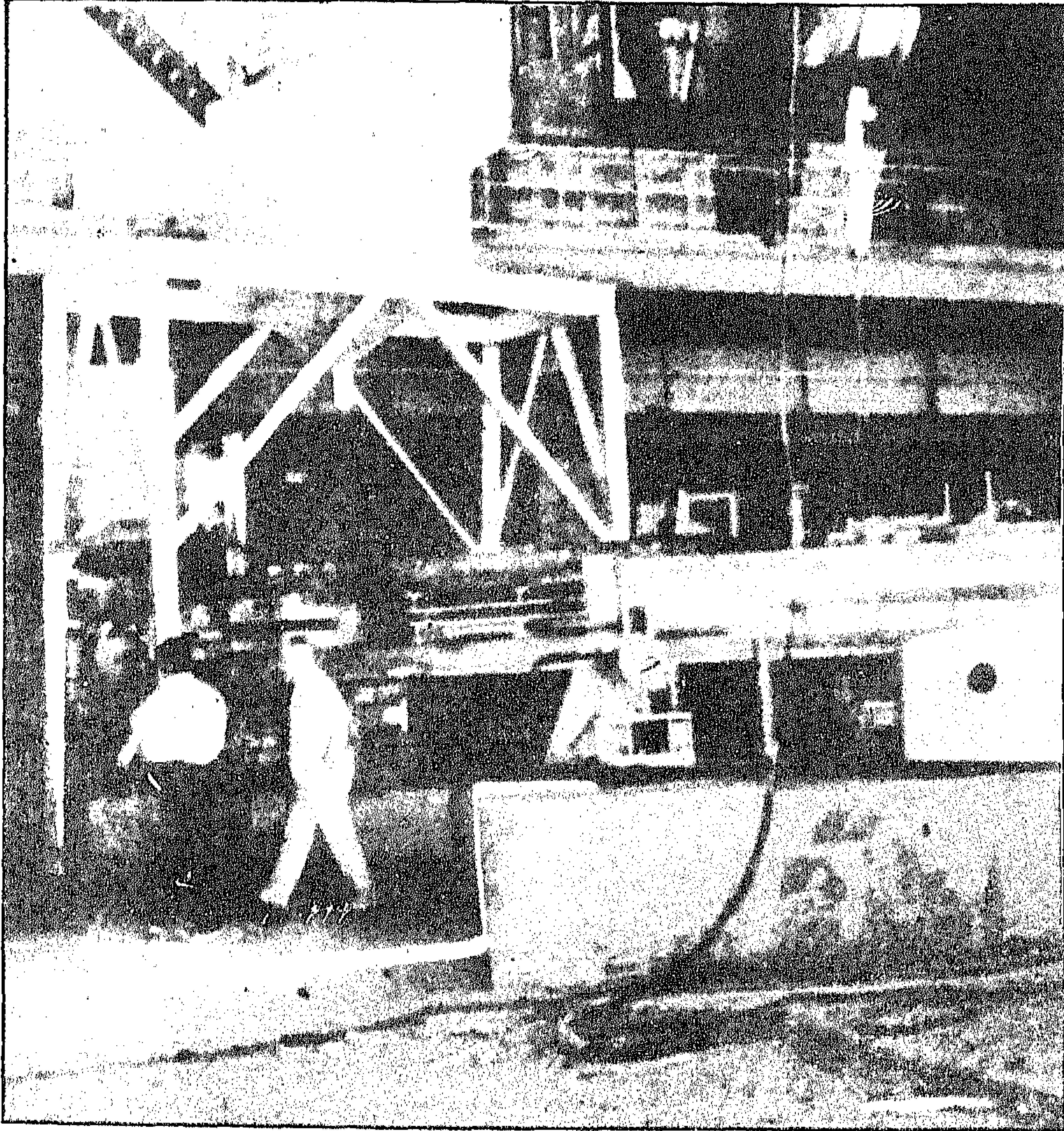
السعودية - تونس - العراق - السودان - زيمبابوى - إيطاليا - إسبانيا - قبرص - تشيكوسلوفاكيا - انجلترا .



الشركة المصرية للسبائك الحديدية

هذه الشركة تنتج سبائك الفيروسيليكون ، وهى إحدى الخامات الرئيسية اللازمة لصناعات الحديد والصلب .. وكانت مصر تستورد مثل هذه السبائك قبل أن تبدأ هذه الشركة إنتاجها .

ويستخدم جزء من إنتاج هذه الشركة لسد احتياجات صناعة الحديد والصلب المحلية ويذهب الباقى للتصدير حيث تستهدف الشركة إنتاج ٥٦ ألف طن من سبيكة الفيروسيليكون للتصدير إلى أسواق اليابان والولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا ودول الشرق الأوسط وبعض الدول العربية .



رقم الإيـداع
٩٢/٧٥٧١
I. S. B. N : 977-07-0200. 5

طبعت بمؤسسة دار الهلال